المدارس العصرونية

في بلاد الشام

تأليف

الدكتور صادق أحمد داود جودة

أستاذ مساعد في كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مؤسسة الرسالة

دار عمار

المَدارِسُ العَصْرُونِيَّة

في بلاد الشَام

الطبعة الأولى

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

مؤسسة الرسالة بيروت- شارع سوريا- بناية صمدي وصالحة

هاتف: ٣١٩٠٣٩- ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٢٤٦٠ برقياً: بيوشران

صَ. بَ: ٢٩٢١٦٩١ هاتف: ٦٥٢٤٣٧

دار عمّار سُوق البتراء- قرب الجامع الحسيني

المدارس العصرونية

في بلاد الشام

تأليف

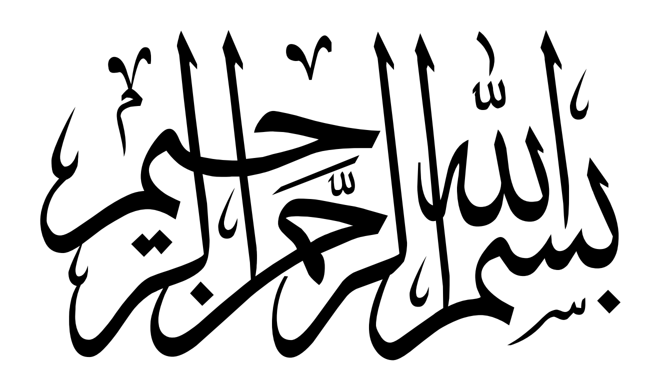
الدكتور صادق أحمد داود جودة

أستاذ مساعد في كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم

جامعة الإمَام محمد بن سُعود الإسلامية

مؤسسة الرسالة

دار عمّار


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

امتازت الفترة ما بين منتصف القرن الخامس الهجري وأواخر القرن السادس الهجري، بالتوسع في إقامة المؤسسات العلمية من مدارس ودور حديث ورابطة وخانقاوات وغيرها. حيث انتشرت في شتى بقاع الوطن الإسلامي الكبير.

وأصبحت مرور ونيسابور وبخارى وسمرقند والقاهرة وبغداد ودمشق والموصل وحب والإسكندرية والقدس ومكة والمدينة وقرطبة تعج بالآلف المؤسسات العلمية وبأعداد غفيرة من العلماء. وأصبحت مواكب العلماء تثرى بين شرق الوطن الإسلامي وغربية طلباً للعلم والتماساً للعلماء للأخذ والعطاء.

ومن حسن الحظ أن إقامة هذه المؤسسات العلمية لم تكن قاصرة على كبريات المدن الإسلامية، بل شملت معظم المدن الصغيرة وانتشرت في قلب التجمعات البشرية الممتدة عبر الوطن الإسلامي كله .

وانصب اهتمام هذه المؤسسات بالدرجة الأولى على العلوم الدينية من تفسير وقراءات وفقه وحديث، وعلى العلوم اللغوية وغيرها. وأصبحت بحق منائر هدي مثابر علم ومشاعل هداية.

والملاحظ أن عملية إنشاء المدارس والمؤسسات العلمية ازدادت منذ أن

قدم السلاجقة إلى بغداد في منتصف القرن الخامس الهجري. ويعود اهتمامهم هؤلاء بالمدارس والعلم إلى عدة أسباب نجملها بما يلي:

أولاً: كان هدف السلاجقة المعلن لإقامة المدارس، محاربة الشيعة ودحض أفكارهم وبخاصة أن السلاجقة كانوا سُنَّة أحنافاً متعصبين لمذهبهم[١].

ثانياً: التقرب إلى الله ونيل رضاع واعتبار هذا العمل من أعمال الخير والبر، ينال صاحبه الثواب الأكيد.

ثالثاً: ظهور شخصيات وزارية طموحة إلى تحقيق الهداف المعلنة كنظام الملك الذي كان يتمتع بمكانة مرموقة في الدولة السلجوقية فقام بإنشاء مجموعة من المدارس في شتى مدن المشرق الإسلامي، عرفت بالمدارس النظامية.

وعلى نهج السلاجقة ولنفس الأسباب تقريباً سار الأتابكة الزنكيون ومن بعدهم الأيوبيون حتى شملت المدارس كل أنحاء الوطن الإسلامي.

ويعود الفضل الأكبر في هذا الميدان بعد نظام الملك، الذي أقام النظاميات في كل من بغداد والموصل والبصرة ومرو وآملا ونيسابور وهراة وأصبهان وبلخ وجزيرة ابن عمر، إلى نور الدين محمود زنكي. الذي آمن بان دولة يوجهها العلماء ستدوم ويكتب لها النجاح.

ومن هذا المنطلق اهتم نور الدين محمود بالعلوم والعلماء وأقام المدارس في شتى بقاع دولته التي شملت الجزيرة وجزءاً كبيراً من الشام الإضافة إلى مصر واليمن وجزء من شمال أفريقيا. ولم يقعده واجبه العسكري في مقارعة

---

(1) أحمد الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي. دار الفكر العربي القاهرة ط/٣ سنة ١٩٧٧م. ص: ٦٠٨.

العدو الصليبي عن الاهتمام بالعلم وأهله، بل اهتم به لتصبح دولته دولة الحرب والعلم والإيمان معاً، متكاملة النواحي مترابطة الأطراف تسودها روح الإيمان والعلم.

ومن يتصفح سيرة محمود نور الدين زنكي يطلع علة الكثير الكثير مما قدمه هذا القائد إلى العلم والعلماء. فقد بنى الربط والخانقاوات والمدارس وأوقف عليها الأوقاف الجليلة لتواصل مسيرتها الخيرَّة في إزالة الجهل والخرافات والأباطيل ونشر العلم والمعرفة والنور[١].

ومما يفسر لنا اهتمام محمود نور الدين زنكي بالعلم انه يجد نفسه كان عالماً كثير المطالعة للكتب الدينية بعقد المجالس العلمية ويوجّه الأسئلة للفقهاء مستفسراً عما أشكل عليه من أمور ومسائل غامضة. وما هذا إلا طبع العلماء الأفذاذ ودلالة على الخلق العلمي الذي تمتع به نور الدين محمود زنكي[٢].

وكان من عادته أنه إذا دخل عليه فقيه يقوم له ويمشي بين يديه ويجلسه إلى جانبه ويقبل عليه بحديثه كأنه أقرب الناس له مما طمأن الفقهاء وجعلهم ينصرفون إلى العلم ويقبلون عليه بشغفٍ ونهم[٣].

ولم يقتصر نشاط نور الدين العلمي في إقامة المدارس على مدينة بعينها بل أقام المدارس في شتى بقاع الشام بصفة خاصة وفي سائر دولته بصفة عامة. فأقام المدارس في دمشق وحمص وحماة وحلب وغيرها للشافعية والحنفية حتى قيل: إن بلاد الشام كانت قبل نور الدين خالية من المدارس.

---

(1) ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية في السيرة النورية تحقيق: محمود زايد بيروت. ص: ٣٧/١٧(وتسمى سيرة محمود نور الدين زنكي).

(2) المصدر السابق نفسه ص: ٢٣-٢٤.

(3) المصدر السابق نفسه ص: ٣١

وفي زمنه صارت مقرأ للعلماء والفقهاء والصوفية[١].

ومن عادة نور الدين زنكي تقريب العلماء والإحسان إليهم وتقديم المساعدة لهم بشتى الطرق والسبل خاصة مشايخ الصوفية فإذا ما رأى أحدهم أدناه وباسطه الحديث وتواضع له. وكان نفس السلوك مع غيرهم من العلماء ورجال الدين بصفة خاصة. وكثيراً ما كان يجمعهم عند البحث والنظر.

إن مثل هذه السياسة الحكيمة من شأنها أن تستقطب العلماء ورجال الفكر وتقربهم من نور الدين خاصة وأن الشام قد أصبحت قطب الرحى في العالم الإسلامي ومركزه الاقتصادي القوي لذا تكاثر العلماء القادمون إلى الشام وزاد عددهم بشكلٍ ملحوظ. وباختصار أصبحت الشام آنذاك تمثل المناخ الملائم للحركة العلمية الجادة. فقدم العلماء من خراسان وسائر المناطق الشرقية، ومن مصر وغيرها. وكان مما شجعهم على الهجرة للشام بالإضافة إلى ما ذكرناه من سياسة نور الدين العلمية، إن نور الدين محمود كان لا يسمع طعناً ولا شكاية ضد عالم من أحد مهما كانت منزلته في الدولة.

وكان كثيراً ما يردد لمن ينقل إليه وشاية في عالم. ومن المعصوم؟ إنما الكامل من تعد ذنوبه[٢].

وكان نور الدين يحرص على أن يلتقي بالعلماء باستمرار وهذا يشحذ الهمم ويوقظ النفوس وينير العقول ويغرس الثقة في نفوس أهل العلم.

ومن هذا القبيل الاجتماع الذي عقده نور الدين محمود عام ٥٥٤هـ للنظر في أمر الأوقاف الموظفة علة الأماكن العمرانية في دمشق كالمساجد والربط

---

(1) ابن قاضي شهبة: سيرة نور الدين محمود ص: ٣٥.
(2) ابن قاضي شهبة: سيرة نور الدين محمود ص: ٣٨.

والمدارس وغيرها. وكان ممن حضر الاجتماع زكي الدين أبو الحسن علي بن محمد بن يحيى القرشي والفقهاء. الشيخ شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون، والخطيب عز الدين أبو البركات ابن عبد والإمام عز الدين أبو القاسم علي بن الحسن الشافعيون. وشرف الدين أبو القاسم عبد الوهاب بن عيسى المالكي، وشرف الإسلام نجم الدين عبد الوهاب الحنبلي ورضي الدين أبو غالب بن عبد المنعم بن محمد بن أسد التميمي رئيس دمشق. ونظام الدين ابن أبي المضاء متولي وزارة دمشق والأعيان من شهود العدالة وهم: عبد الصمد بنم تميم وعبد الواحد ابن هلال والصائن أبو الحسن وغيرهم[1].

وهذا الاجتماع يبرهن بلا شك على أن تور الدين لم يكن يتعصب لمذهبه بل كان يهدف إلى إيجاد مجتمع مسلم يعتنق عقيدة التوحيد وبدين الإسلام ليكون صلباً أمام العدو الصليبي. كما يبرهن هذا الاجتماع عن مدى تقبل نور الدين لأراء العلماء والقضاة وأهل العلم والمشورة.

وكان ما يهم نور الدين صدق العالم مع نفسه وعلمه فإذا ما شعر نور الدين بأن عالماً ما صادق مع نفسه وعلمه أدناه وقربه وأعطاه الإقطاعات وكرمه ومن هذا القبيل ما حصل مع عبد الله بن أبي عصرون إمام الشافعية في عصره حيث أحضره من سنجار وقربه إليه وأقام له جملة من المدارس في حلب ودمشق وحما وحمص ومنبج وبعلبك عرفت باسم المدارس العصرونية. وأصبح ابن أبي عصرون علماً في دولة نور الدين في مجال العلم

---

(1) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين ١/٤١-٤٤ حيث النص الكامل للاجتماع وما دار فيه من مجادلات وما أسفر عنه من قرارات.
عماد الدين خليل: نور الدين محمود، دار القلم. دمشق – بيروت- ١٤٠٠/١٩٨٠ ط/١ ص: ٨١-٨٢.

والفتيا والقضاء حتى أن نور الدين فوَّض إليه القضاء في جميع بلاد الشام[1].

ولعل أشهر رجال نور الدين الذين قدر لهم أن يرثوا عرش الزنكيين في بلاد الشام صلاح الدين الأيوبي الذي نشأ وترعرع في ظل البيت الزنكي، منذ ولادته عام ٥٣٢هـ في تكريت إلى أن أصبح يتمتع بمركز مرموق في دولة نور الدين محمود ثم ذهابه إلى مصر والقضاء على الدولة الفاطمية هناك عام ٥٦٧هـ.

وعلى الرغم من طغيان الجانب العسكري على أعمال صلاح الدين فإن الجانب العلمي لا يقل أهمية عنه في شيء. فقد أقام صلاح الدين جملة من المدارس وشجع العلماء ودفع بحركة العلم إلى الأمام.

ومن خلال استعراض الأحوال في الفترة ما بين منتصف القرن الخامس إلى نهاية القرن السادس نجد أن هذه الفترة قد شهدت تحدي الغزو الصليبي لمشاعر المسلمين في شمال الشام والعراق وكان على الكيانات السياسية في المنطقة أن تكون وحدة واحدة في مواجهة هذا الخطر دينياً واجتماعياً واقتصادياً وعلمياً وقد تحقق شيء من هذا القبيل أيام نور الدين زنكي ومن بعده صلاح الدين الأيوبي. وفي هذا الجو عاش وترعرع شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون إمام الفقه الشافعي. ونال الحظوة لدى نور الدين وصلاح الدين من بعده. ولاشك أنه تأثر وأثَّر بما كان يدور حوله من أحداث في المنطقة. واشتغل في القضاء والفتيا وكان نعم المشير على نور الدين بل ويحضر كل مجالسه العلمية وغيرها. وعلينا قبل كل شيء ذكر شيء من حياة شرف الدين هذا قبل الدخول بالبحث عما أنجزه في المجال العلمي والقضائي والإداري وعما خلفه من مؤسسات علمية لا تزال تحمل اسمه إلى

---

(1) عماد الدين خليل: نور الدين محمود ص: ٨٢، ٨٤، ٨٥.

الآن وأقصد بها المدارس العصرونية في مدن بلاد الشام.

والخلاصة أن النهضة العلمية أيام نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي تعود في الدرجة الأولى إلى السياسة الرصينة التي اتبعها كل من الرجلين من احترام العلم والعلماء وتقريب العلماء وتقديم ما يلزمهم حتى أن نور الدين محمود أقام المدارس للمذاهب المختلفة دون تعصب ووفر كل الأجواء اللازمة لانطلاق الفكر في مساره الإسلامي القويم وتعامل مع العلماء بلا تمييز وصادق رجالاً من السنة ومن الشيعة على السواء. وكل هذا في سبيل تمازج الفكر وظهور الإبداع وفق المسار الإسلامي[١].

وتجدر الإشارة إلى أن رجال نور الدين وكبار قادته وأمرائه قد ساروا على نهجه مما زاد في عدد المدارس وساهم في النهضة الفكرية الإسلامية. فهذا جمال الدين ريحان والي قلعة دمشق أنشأ المدرسة الريحانية بدمشق عام ٥٦٥هـ ووظف عليها الأوقاف[٢]. ومجاهد الدين بزان بن مامين أنشأ مدرستين قبل سنة ٥٥٥ هـ قبل وفاته[٣]. وزوجة نور الدين عصمة خاتون بنت مدرسة لأصحاب أبي حنيفة بدمشق عرفت بالخاتونية[٤] وغيرهم كثير. وعلى نفس النهج سار صلاح الدين ورجاله فيما بعد.

وبعد فقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وسبعة فصول وخاتمة. تناولت في المقدمة الحالة العلمية في العالم الإسلامي في القرنين الخامس

---

(1) عماد الدين خليل: نور الدين محمود ص: ١٦٥.
(2) النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٥٢٢/١-٥٢٣. ابن شداد: قسم دمشق ص: ٢٠٩.
(3) أبو شامة: الروضتين ٣٠٩/١. النعيمي: ٤٥٢/١.
(4) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ٣٨٥/٨. النعيمي: الدارس ٥٠٧/١.
ابن شددا: الاعلاق الخطيرة قسم دمشق ص: ٢٠٥.

والسادس باختصار كي أمهد للموضوع وقد أظهرت في المقدمة أن عملية إنشاء المدارس تعود إلى القرن الثالث الهجري ولكن القرن الخامس شهد تقدماً ملحوظاً في هذا الميدان على يد السلاجقة حيث أقام نظام الملك الوزير السلجوقي نظامياته العشر في الجزء الشرقي من الوطن الإسلامي. ثم جاء بعد ذلك الزنكيون والأيوبيون فساروا على نفس النهج مما جعل القرن السادس الهجري قرن ازدهار العلم وإقامة المدارس.

وتناولت في الفصل الأول حياة عبد الله بن أبي عصرون بالتفصيل لأطلع القارئ على المؤثرات العصرية آنذاك في مسار حياته. وتناولت في الفصل الثاني دراسة شيوخ عبد الله بن أبي عصرون الذي أقيمت من أجله المدارس العصرونية كي يتبين القارئ أيضاً الأصول التي كونت حياة ابن أبي عصرون وأثرت في شخصيته.

والفصل الثالث حمل دراسة لتلاميذ عبد الله بن أبي عصرون وذلك لإبراز أثر شخصية عبد الله بن أبي عصرون فيمن أحاط به. وأما الفصل الرابع فحمل عنوان((مكانة عبد الله بن أبي عصرون العلمية والسياسية والقضائية)). وهنا أبرزت الأثر العلمي والسياسي والقضائي لهذا الإمام الجليل. وجاء الفصل الخامس يحمل عنوان((شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون في الميزان)) وذلك لنضع هذه الشخصية في مكانها المناسب بين علماء العصر. وحمل الفصل السادس عنوان((أبناء شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون)) وذلك لإعطاء القارئ فكرة عن أبناء عبد الله بن أبي عصرون وإظهار دورهم في الحياة سلباً وإيجاباً.

والفصل السابع والأخير حمل عنوان ((المدارس العصرونية)) وقد حمل البحث كله هذا العنوان. وقد أبرزت دور هذه المدارس وأسباب إقامتها وترجمت لعلمائها وأظهرت مكان إقامتها وخلصت إلى أنها أقيمت إكراماً

لعبد الله بن أبي عصرون في دمشق وحلب وحماة ومنبج وبعلبك وحمص والرحبة.

وجاءت الخاتمة تظهر أهم نتائج البحث التي توصلت إليها أثناء العمل ثم زودت البحث بإحدى عشرة ضميمة تبين نواحي البحث التي تبدو بحاجة إلى توضيح أكثر للبعض. مما يعطي البحث وضوحاً لمن يطلبه.

الفصل الأول

حَياة عَبْد الله بن أبي عَصروُن

١- من هو ابن أبي عصرون.

٢- عبد الله بن أبي عصرون ونور الدين محمود بن زنكي.

٣- عبد الله بن أبي عصرون وصلاح الدين الأيوبي.

٤- عبد الله بن أبي عصرون يصاب بالعمى

من هو ابن أبي عصرون:

هو الإمام شرف الدين أبو سعد، عبد الله بن محمد بن هبة الله بن علي بن المطهر بن أبي عصرون بن السري التميمي الحديثي، ثم الموصلي[١] ثم الدمشقي[٢]، مفتي العراق والشام وأحد الأعلام المشهود لهم[٣].

وكان مولده بالموصل عام ٤٩٢هـ وقيل عام ٤٩٣هـ[٤]. ومن يستعرض

---

[1] ابن خلكان:وفيات الأعيان ٥٣/٣.
المنذري: التكملة لوفيات النقلة ٢٠١/١.
الصفدي: نكت الهميان ص: ١٨٥.
الأسنوي: طبقات الشافعية ١٩٣/٢-١٩٤م.
الحسيني: طبقات الشافعية ص: ٨١/٨٠.
أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠٩/٦.
ابن طولون الصالحي: قضاة دمشق ص: ٤٩.
عبد الصاحب الدجيلي: أعلام العرب في العلوم والفنون ١٢/٢.

[2] ناجي معروف: علماء النظاميات ص: ١٥٠.

[3] العدوي(محمود): الزيارات بدمشق ص: ٧٠.
ناجي معروف: علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي ص: ١٥٠.

[4] الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر. قسم شعراء الشام ٣٥١/٢. ويحدد المولد في المحرم ٤٩٢هـ.
المنذري: التكملة لوفيات النقلة ٢٠١/١ ولد في الموصل ٢٢ ربيع أول ٤٩٢هـ.
أبو شامة: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين. بيروت دار الجيل ١٥٠/٢ يقول المولد أوائل ٤٩٢هـ مؤيد للأصفهاني ولعلها روايته في كتاب الروضتين.
ابن الدمياطي: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ص ١٥٠ الولادة في ١٢ ربيع أول عام ٤٩٢هـ.
=

....[1]

= الذهبي: المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي ١٥٩/٢. الولادة عام ٤٩٢هـ.
السبكي: طبقات الشافعية ١٣٢/٧ ويقول ولد عام ٤٩٣.
الأسنوي: طبقات الشافعية ١٩٥/٢ يقول ولد في ربيع أول ٤٩٣هـ.
المقريزي: السلوك ق١/ج١/١٣٠ مولده أول عام ٤٩٢هـ.
النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٣٩٩/١ يقول ولد في ربيع أول ٤٩٢هـ أو ٤٩٣هـ.
ابن طولون: قضاة دمشق من الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام ص: ٤٩ الولادة ربيع أول ٤٩٢ أو
٤٩٣ هـ.
العدوي: كتاب الزيارات بدمشق ص: ٧٠ ويقول مولده ربيع أول عام ٤٩٢ أو ٤٩٣هـ.
ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٢٨٣/٤ يقول ولد في ربيع أول ٤٩٢ أو ٤٩٣هـ.
البغدادي(إسماعيل باشا): هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ٤٥٧/١ يقول ولد عام ٤٩٢هـ دون الشهر، واليوم.
الطباخ الحلبي: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ١٩٢٣م ٤ص ٢٨١ ويقول الولادة ٤٩٢ دون الشهر واليوم.
عبد القادر بدران: منادمة الأطلال ص: ١٣٢ ويقول: الولادة بالموصل إما عام ٤٩٢ أو ٤٩٣.
ناجي معروف: علماء النظاميات ص: ١٥٠ وقد حدَّد اليوم والشهر وقال الولادة إمّا في المحرم عام ٤٩٢هـ أو
ربع أول ٤٩٣هـ.
عبد الصاحب الدجيلي: أعلام العرب في العلوم والفنون ١٢/٢ ويقول: الولادة في ٢٢/ ربيع أول هـ بالموصل.
ونلاحظ أن الخلاف ينحصر في زمن ولادته تقريباً بروايتين رواية تقول أوائل ٤٩٢هـ والثانية تقول ربيع عام
٤٩٣هـ.
العدوي: كتاب الزيارات بدمشق ص: ٧٠ ويقول مولده ربيع أول عام ٤٩٢هـ أو ٤٩٣.

روايات المؤرخين المعاصرين أو من نقل عنهم من المتأخرين يلاحظ الخلط الحاصل في زمن ولادته مما يجعلنا غير قادرين على الجزم بتاريخ محدد نقبله كتاريخ لولادته خاصة وأن المؤرخين الأكثر معاصرة مختلفين اختلاف غيرهم في هذا الميدان.

ولعل الخلط الحاصل بين المؤرخين المعاصرين في تحديد تاريخ قاطع لزمن ولادة ابن أبي عصرون يعود على أن المؤرخين كانوا لا يهتمون بزمن الولادة خاصة إذا لم تكن الشخصية من الشخصيات الهامة التي يتوقع لها المستقبل الزاهر كأبناء الحكام والأمراء ومن إليهم.

وشخصية ابن أبي عصرون لم يهتم بتحديد زمن ولادتها لأنه ليس من الأهمية بمكان في أول حياته أو لم يكن يتوقع له المستقبل الزاهر، ولكن بعد أن اشتهر في الحياة ونال طرفاً من علو الجاه في ميدان العلم والقضاء تركزت أعين المؤرخين عليه وذكروا زمن وفاته باليوم والشهر والسنة دون خلاف فيما بينهم عكس اختلافهم في زمن الولادة.

ومهما يكن من أمر، فإن هذا الخلاف لا يقلل من شأن ابن أبي عصرون ولا ينال من مكانته العلمية التي وصلها في ميدان القضاء والحكم.ولو تمعنا في مجرى تاريخ حياة ابن أبي عصرون الأولى ظهرت لنا شخصيته الفذة، حيث التفت ابن أبي عصرون منذ نعومة أظفاره إلى مراكز العلم ونهل منها وارتشف من رحيقها الحلو ما لذّ له.

وتجمع المصادر والمراجع المتوفرة بين أيدينا على أن ابن عصرون لم يترك وسيلة من وسائل العلم ألا استغلها فنراه قد نشط في مسقط رأسه الموصل وتتلمذ على مشايخها في شتى العلوم والفنون فأخذ القراءات عن

الشيخ أبي الغنائم السلمي شيخ القراءات[١]، وتفقه على عبد الله بن القاسم بن الشهروزري المتوفَّى عام ٥١١هـ[٢]. ثم على أبي علي بن عمار[٣] وأبي محمد بن خلده[٤]، وسمع علي بن أحمد بن طوق جدّه لأمه[٥]، والحسين بن نصر بن خميس[٦].

---

[1] المنذري : التكملة لوفيات النقلة ٢٠١/١.
الذهبي: المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي ١٥٨/٢.

[2] المصدران:السابقان.
ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥٣/٣.
الصفدي: نكت الهميان ص١٨٥.
السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ١٣٢/٧.
الأسنوي: طبقات الشافعية الكبرى ١٩٤/٢.
العيني: عقد الجمان ج/١٣ ميكروفيلم بجامعة الكويت رقم ٦٠٢ حوادث٥٨٥هـ ص٧٦-٧٧
النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٤٠٠/١ الحسيني طبقات الشافعية ص٨١.
عبد القادر بدران: منادمة الإطلال ص١٣٢.
ناجي معروف: علماء النظاميات ص١٥٠.

[3] الذهبي: المختصر المحتاج إليه ١٥٨/٢.

[4] المصدر السابق نفسه.

[5] المصدر السابق نفسه.
المنذري: التكملة لوفيات النقلة ٢٠٢/١.
ابن الدمياطي: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ص١٥٠.
النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٤٠٠/١.
ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٢٨٣/٤.

[6] المنذري: المصدر السابق نفسه.
ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥٣/٣ مصدر سابق.
الصفدي: المصدر السابق ص١٨٥.
السبكي: طبقات الشافعية ١٣٢/٧ المصدر السابق. =

ولم يكتف ابن أبي عصرون بالأخذ عن علماء الموصل وفقهائها بل ارتحل في سبيل العلم إلى بغداد التي كانت تعج في القرن السادس بالعلماء حيث كانت الحركة المدرسية التعليمية على أشدها في المدرسة النظامية وغيرها ولا بد لأي عالم يريد الإبداع والشهرة في شتى البقاع الإسلامية من ورودها والأخذ أو العطاء في رحابها.

ولما قدم ابن أبي عصرون إلى بغداد اتصل بعلمائها الأجلاء الأفذاذ فاتصل بأبي عبد الله البارع وأبي بكر المزرفي[١] وسبط الخياط[٢]، شيوخ الأقراء آنذاك وقرا عليهم بالسبع والعشر. ابن أبي عصرون بهذا، بل قرأ المذهب (الشافعي) والخلاف على أسعد بن أبي نضر الميهني[٣]،

= الاسنوي: طبقات الشافعية ١٩٤/٢.
الطباخ الحلبي: أعلام النبلاء ٢٧٩/٤.
عبد الصاحب الدجيلي: أعلام العرب في العلوم والفنون ١٢/٢.

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥٣/٣.
الذهبي: المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي ١٥٩/٢.
السبكي:طبقات الشافعية ١٣٢/٧.
الصفدي: نكت الهميان ص١٩٥.
الطباخ الحلبي: أعلام النبلاء ٤ ص ٢٧٩.
ناجي معروف: علماء النظاميات ص١٥٠.
عبد الصاحب الدجيلي: أعلام العرب في العلوم والفنون ١٢/٢.

(2) الذهبي: العبر في خبر من غبر ٢٥٦/٤.
ابن العماد الحنبلي: شذراتالذهب٢٨٣/٤ز

(3) ابن خلكان وفيات الأعيان ٥٣/٣ مصدر سابق ذكره.
الذهبي: المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي ١٥٩/٢.
ابن الدمياطي: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ص١٤٩.
الاسنوي: طبقات الشافعية ١٩٤/٢.
=

والأصول على أبي الفتح من برهان[١]. وسمع من أبي القاسم بن الحسين، وأبي البركات البخاري، وإسماعيل بن أبي صالح المؤذن، وهبة الله بن الحصين، وأبي علي الحسين بن الخليل النسفي وغيرهم[٢].

ولم يترك ابن أبي عصرون فرصة تمر دن أن يستغلها لصالحه في طلب العلم فاستغل وجوده في بغداد ودرس النحو على عالميها آنذاك وهما: علي بن الحسين بن دبيس وأبي دلف. وأتقن ما أخذه عنهما وعن غيرهما وحصّل لنفسه قدراً كبيراً من علم النحو والقراءات والفقه الشافعي وغيرها.

ولم يترك ابن أبي عصرون ابن أبي عصرون فرصة تمر دون أن يستغلها لصالحه في طلب العلم فاستغل وجوده في بغداد ودرس النحو على عالميها آنذاك وهما: علي بن الحسن بن دبيس وأبي دلف[٣]. وأتقن ما أخذه عنهما وعن غيرهما وحصّل لنفسه قدراً كبيراً من علم النحو والقراءات والفقه الشافعي وغيرها. ويبدو أن طموح عبد الله بن عصرون وتصميمه على بلوغ أرفع الدرجات

= النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ١/ ٤٠٠.
ابن طولون: قضاة دمشق من الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام ص ٤٩.
ويقول خطأ: إسماعيل الميهني والصحيح ما جاء في المتن أعلاه.
الطباخ الحلبي: أعلام النبلاء ٢٧٩/٤ المصدر السابق.
عبد الصاحب الدجيلي: أعلام العرب في العلوم والفنون ١٢/٢ المرجع السابق نفسه.

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥٣/٣ المصدر السابق نفسه.
ابن الدمياطي: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ص ١٤٩.
السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ١٣٢/٧ – ١٣٣.
الأسنوي: طبقات الشافعية الصغرى ١٩٤/٢.
الحسين(المصنف). طبقات الشافعية ص ٨١.
ابن طولون: قضاة دمشق ص ٤٩ المصدر السابق نفسه.

(2) ابن الدمياطي: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد . المصدر السابق نفسه.

(3) الصفدي: نكت الهميان ص ١٨٥.
النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٤٠٠/١ ويقول ابن دبين بدلاً من ابن دبيس.
عبد الصاحب الدجيل: أعلام العرب في العلوم والفنون ١٢/٢ لم يذكر أخذه عن أبي دلف.

العلمية بمعناها الواسع دَفَعهُ على الرحيل والتنقل في شتى البقاع فارتجل عن بغداد إلى واسط حيث التقى هناك بقاضيها الشيخ أبي علي الفارقي ولازمه مدة للقراءة عليه وأخذ عنه فوائد((المهذب))[١].

وهكذا نرى أن ابن أبي عصرون قد تنقل ما بين الموصل وبغداد وواسط والتقى بكبار العلماء وأخذ عنهم ما وسعه الجهد وانتفع بما اخذ وأتقنه حتى أصبح عالماً عظيماً في هذا الميدان، فقرر العودة إلى بلده، الموصل، وقد سبقه ذكره وطار في الآفاق صيته. ولما وصل الموصل تولى مهمة التدريس في مدارسها ومراكز العلم فيها وذلك عام ٥٢٣هـ، وبقي مدة يمارس التدريس، ويفتي في بلده وفق المذهب الشافعي[٢].

---

(1) ابن خلكان: المصدر السابق نفسه.
الحسني: طبقات الشافعية ص ٨١.
الأسنوي طبقات الشافعية ١٩٤/٢.
ابن كثير: البداية والنهاية ٣٣٣/١٢.
العيني: عقد الجمان ميكروفيلم جامعة الكويت ج/١٣ رقم ٦٠٢ حوادث ٥٨٥هـ ص٧٦/٧٧.
ابن طولون: قضاة دمشق ص ٤٩.
الطباخ الحلبي: أعلام النبلاء ٢٧٩/٤.
بدران(عبد القادر) منادمة الأطلال ومسافرة الخيال ص ١٣٢.
ناجي معروف: علماء النظاميات ص ١٥٠.

(2) ابن خلكان: المصدر السابق.
الذهبي: المختصر المحتاج غليه ٥٩/٢.
السبكي: طبقات الشافعية ١٣٣/٧.
الأسنوي: المصدر السابق نفسه.
الحسيني: طبقات الشافعية ص ٨١ مصدر سابق.

ويقول العماد الأصفهاني[١]: لقيته بالموصل عام ٥٤٢هـ، وهو مدرس المدرسة الأتابكة العتيقة، ثم ارتحل بعد ذلك إلى سنجار وأقام مدة بها يزاول مهنة التدريس والإفتاء[٢]، حتى اتصل بنور الدين محمود زنكي صاحب حلب.

عبد الله بن أبي عصرون ونور الدين محمود بن زنكي.

التحق عبد الله بن أبي عصرون بحلب سنة ٥٤٥هـ ودّرس بها وتوطدت علاقته بنور الدين محمود زنكي صاحب حلب آنذاك ونال حظوة لديه وأصبح يعتمده في القضاء والفتيا ويأخذ برأيه ويقدره[٣].

= النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس المصدر السابق نفسه.
الطباخ الحلبي: المرجع السابق نفسه.
بدران: المرجع السابق نفسه.
ناجي معروف: المرجع السابق نفسه.

(1) الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء الشام ٣٥٢/٢.
ناجي معروف: المصدر السابق نفسه.

(2) ابن خلكان: المصدر السابق نفسه.
النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس المصدر السابق نفسه.
ابن العماد الحنبلي: الشذرات ٢٨٣/٤.
الطباخ الحلبي: المرجع السابق نفسه.
بدران: منادمة الأطلال ص ١٣٢.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥٣/٣.
السبكي: طبقات الشافعية ١٣٣/٧.
الأسنوي: طبقات الشافعية ١٩٤/٢.
الحسيني:طبقات الشافعية ص ٨١ دون ذكر السنة.
النعيمي:الدارس في تاريخ المدارس ٤٠٠/١.
ابن طولون: قضاة دمشق ص ٥٠ دون ذكر السنة.
ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٢٨٣/٤ دون ذكر سنة ٥٤٥هـ. =

ولما انتقل محمود نور الدين من حلب إلى دمشق بعد السيطرة عليها والقضاء على حكم البوريين عام ٥٤٩هـ، اصطحب معه عبد الله بن أبي عصرون وعلت منزلته في دمشق وأصبح يمارس مهنة التدريس فدّرس بالزاوية الغربية من المسجد الأموي. وبالمدرسة الغزالية والنورية بالإضافة إلى نظر الأوقاف. ولكنه عاد أخيراً إلى حلب[١].

وفي حلب لقيه العماد الأصفهاني الكاتب عام ٥٦٢/٥٦٣هـ، وتوطدت العلاقات بينهما أكثر من ذي قبل[٢].

والمهم أن عبد الله بن أبي عصرون سواء ظل في دمشق أم عاد إلى حلب فإن منزلته لدى نور الدين محمود صاحب حلب ودمشق والشام ظلت سامية وتميزت علاقته به، والدليل على ذلك أن نور الدين محمود قد أقام له مجموعة من المدارس إكراماً له وإجلالاً لقدره في دمشق وخلب وحماة وحمص وبعلبك ومنبج وفوَّض إليه التدريس بها، وتوظيف من يراه أهلاً لتولي مهنة التدريس فيها[٣].

= بدران: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ص ١٣٢.
ناجي معروف: علماء النظاميات ص ١٥٠.
عبد الصاحب الدجيلي: أعلام العرب في العلوم والفنون ١٢/٢.

(1) العماد الإصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء الشام ٣٥٢/٢.
ابن خلكان: وفيات الأعيان، المصدر السابق نفسه.
الصفدي: نكت الهميان ص ١٨٥.
الأسنوي: طبقات الشافعية الصغرى ١٩٤/٢.
بدران: منادمة الأطلال ص ١٣٢ ويقول ولاه نور الدين تدريس العادلية. وهذا خطأ لأن العادلية قد بنيت
فيما بعد.
عبد الصاحب الدجيلي: أعلام العرب في العلوم والفنون ١٣/٢.

(2) العماد الأصفهاني: خريدة القصر وجريدة العصر المصدر السابق ٣٥٢/٢.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥٤/٣، ١٨٥/٥. =

وخير دليل على الثقة المتبادلة بين نور الدين محمود وعبد الله بن أبي عصرون عن نور الدين صحب ابن أبي عصرون كمستشار له عندما أراد أن يخضع الموصل لسلطاته عام ٥٦٦هـ أثر استبداد نائبها فخر الدين عبد المسيح بالحكم أيام أميرها ابن أخيه سيف الدين غازي الثاني بن قطب الدين مودود.

وإن نور الدين محمود لم يوافق على عقد صلح بينه وبين ابن أخيه في الموصل إلا بعد أن درس ابن أبي عصرون شروطه بدقة ووافق عليها ونَعَتَها بأنها((نسخة جيدة))، عندئذٍ أمضاها نور الدين محمود وحلف عليها وأقرها وألزم نفسه بتنفيذها[١].

واعترفا بفضل ابن أبي عصرون هذا، وتقديراً لجهوده في هذا الميدان استقضاه نور الدين محمود زنكي على نصيبين وسنجار والخابور ومنطقتها وفوّض إليه الحكم والقضاء بتلك النواحي. ولكن ابن أبي عصرون لم يذهب إليها، وأناب عنه قضاة اعتقد بصلاحهم. وظل يلازم خدمة نور الدين زنكي ويباشر أمر التدريس بمدارسه الأنفة الذكر. أي أنه أصبح بمثابة قاضٍ للقضاة آنذاك[٢].

= العدوي: كتاب الزيارات بدمشق ص ٧١.
الصفدي: نكت الهميان، المصدر السابق ص ١٨٥.
الأسنوي: طبقات الشافعية ١٩٤/٢.
النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٤٠١/١ العدوي: الزيارات ص٧١.
ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٤٨٣/٢.
بدران(عبد القادر) منادمة الأطلال ص ١٣٢.
عمر موسى باشا: الأدب في بلاد الشام ص١١٠.

(1) أبو شامة: كتاب الروضتين ١٩٠/١.
(٢) البنداري: سنا البرق الشامي، تحقيق فتحية البنداوي، ص ٥٢

وظل عبد الله ابن أبي عصرون يمارس الحكم والقضاء في سنجار وحران ونصيبين والخابور وديار ربيعة، وتفقه عليه كثير من الطلاب هناك وأصبح يقصد بيته لتلقي العلم والأخذ عنه[١].

وتجمع المصادر والمراجع[٢] المتوفرة لدينا على أن عبد الله بن أبي عصرون عاد ثانية إلى دمشق عام ٥٧٠هـ، ليشارك في الأحداث التي أعقبت وفاة نور الدين زنكي الذي توفي عام ٥٦٩هـ. وقد أرسل إليه صلاح الدين الأيوبي رسالة من مصر إثر توقيع أمراء الشام آنذاك اتفاقية مهينة مع الصليبيين تدل على ضعفهم واستكانتهم وتخاذلهم أمام جموع الفرنجة القادمة من أوروبا.

وكانت تلك الرسالة تعبيراً عن حنق صلاح الدين وغضبه على الأمراء المتخاذلين اللاهين اللاهثين وراء السلام الزائف مع عدو الله الصليبي أمثال شمس الدين بن المقدم ومن لف لقمه من الأمراء.

وتلك الرسالة لاشك مؤشرٌ يدل على أن صلاح الدين قد أعجب

= أبو شامة: كتاب الروضتين ١٨٩/١.
ابن كثير: البداية والنهاية ٢٦٣/١٢.

(1) المنذري: التكملة لوفيات النقلة ٢٠٥/١.
الأسنوي: طبقات الشافعية ١٩٤/٢.

(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥٤/٣.
السبكي: طبقات الشافعية ١٣٣/٧.
الأسنوي: طبقات الشافعية ١٩٤/٢ المصدر السابق نفسه.
النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٤٠١/١.
الطباخ الحلبي: أعلام النبلاء ٢٧٩/٤.
عبد الصاحب الدجيلي: أعلام العرب في العلوم والفنون ١٣/٢.
ناجي معروف: علماء النظاميات ص ١٥١.

بشخصية عبد الله بن أبي عصرون وغنه كان يكن له الاحترام والتقدير ويعترف بقدرته على التأثير في مجريات الأحداث والعمل على إفشال الاتفاق الصليبي مع أمراء الشام.

ومما يدلنا على مقدار هذا الاحترام والتقدير أن صلاح الدين خاطبه في الرسالة إليه بقوله:(وسيدنا الشيخ أولى من أطلق لسانه الذي تغمد له السيوف وتجرد،وقام في سبيل الله قيام من يقطع عادية من تعدَّى وتمرد) (١)

وأي دليل أبلغ من هذا على تقدير صلاح الدين لعبد الله بن أبي عصرون وللعلماء الأفذاذ في شخصه.

عبد الله بن أبي عصرون وصلاح الدين الأيوبي:

كان صلاح الدين على معرفة تامة بعبد الله بن أبي عصرون منذ أيام نور الدين محمود زنكي فكلاهما نشأ في ظله وتحت رعايته خاصة صلاح الدين. وكان الاثنان من رجاله الأكفاء أحدهما يشتغل بالقضاء والحكم والفتيا والتعليم والعلم والآخر يشتغل بالأمور العسكرية ويوليها اهتماماً زائداً.

وتدل مجريات الحوادث منذ أيام نور الدين محمود زنكي على أن العلاقات بين الرجلين كانت سليمة تسيرها روح الود والمحبة والتقدير. فقد عرف كل منهما الآخر حق المعرفة وبادله الاحترام بمثله.

والدليل على ذلك كما أسلفنا تلك الرسالة التي بعثها صلاح الدين من مصر للشام إلى ابن أبي عصرون ولعل اختياره بالذات تفضيل له على غيره واعتراف بقدرته على التأثير في الأحداث، لذا كانت رسالته تحمل في طياتها نوعاً من العتب عليه وأملاً في أن يعمل بجد لإفشال تلك الاتفاقية الغادرة.

([1]) أبو شامة: كتاب الروضتين ٢٣١/١.

وكان عبد الله بن أبي عصرون لا يحبذ تلك الاتفاقية ولم يوافق عليها مع من وافق. ولعله كان يعاني الألم النفسي لما حل بالمسلمين من الضعف بل كان يحبذ مجيء صلاح الدين من مصر ليعملا سوياً وبانسجام تام لتحطيم مثل هذه الاتفاقية، والانطلاق إلى تحقيق الهدف المعلن، وهو طرد المحتل الصليبي الجاثم فوق الأرض الإسلامية في بلاد الشام.

ويبدو لنا أن ابن أبي عصرون من خلال ما ذكرناه كان يحبذ قدوم صلاح الدين من مصر إلى الشام ويؤيد هذا القول أنه لم يوقع أولاً على الاتفاقية شانه في ذلك شان أمراء الشام وقضاته خاصة وأنه كان من الشخصيات الكبيرة في المجتمع وثانياً أنه وقف ضد الأمراء الذين طلبوا الاستمرار في معاداة صلاح الدين الأيوبي والعمل ضد قدومه إلى بلاد الشام، الأمر الذي جعل صلاح الدين يوليه قضاء ديار مصر [١].

ومع ذلك ذهب عبد الله بن أبي عصرون من دمشق إلى حلب مع الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود زنكي قبل قدوم صلاح الدين إلى دمشق. ولم يمكث طويلاً بل عاد إلى دمشق ثانية وكان بها صلاح الدين الأيوبي عام ٥٧٢هـ، وذلك عندما أشرف كمال الدين الشهروزري قاضي الشام أيام صلاح الدين على الموت، بل كان من الذين غسلوه وكفنوه وسار على رأس المشيعين بجنازته بعد[٢] موته.

([1]) المقريزي: السلوك ج//١ ق/١ ص ٨٠-٨١.
ويقول: إن عبد الله بن أبي عصرون قد تولى قضاء ديار مصر من قبل صلاح الدين الأيوبي عام٥٧٠هـ.

([2]) البنداري: سنا البرق الشامي ص١٠٨ يقول قدم ابن أبي عصرون من حلب لدمشق ٥٧٢هـ.
ابن واصل: مفرج الكروب ٥٠/٢ يقول هاجر ابن أبي عصرون من حلب إلى دمشق. =

وتشير الروايات المعاصرة إلى أن كمال الدين الشهروزري عندما شعر بدنو أجله فوَّض القضاء في بلاد الشام إلى ابن أخيه، أبي الفضائل القاسم بن يحيى بن عبد الله الملقب ضياء الدين. [(١)].ولم يسع صلاح الدين

= سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج/٨ق/١ص ٣٤١.
ابن كثير: البداية والنهاية ٣٣٣/١٢ يشير إلى قدوم ابن عصرون من حلب لدمشق.
ابن طولون: قضاة دمشق من الثغر البسام ص٤٧ يقول هاجر ابن أبي عصرون من حلب لدمشق.
النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٤٠١/١.
ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤٥/٣ يشير إلى عودة ابن عصرون من حلب لدمشق عام ٥٧٠هـ.
أبو شامة: كتاب الروضتين ٢٦٢/٢ يشير إلى قدوم ابن أبي عصرون إلى دمشق من حلب عند صلاح الدين والصحيح من خلال استقراء هذه الروايات المختلفة.
إن ابن أبي عصرون كان موجوداً في دمشق وأرسل إليه صلاح الدين رسالة يعانيه فيها لأنه لمن يستغل نفوذه لإفضال معاهدة الدماشقة مع الصليبيين، وكانت علاقته به حسنة من قبل ولكنه من المؤكد انه سار في ركاب الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود من دمشق إلى حلب إكراماً له ولوالده ولكنه عاد إلى دمشق عام ٥٧٠هـ وولاه صلاح الدين قضاء ديار مصر في نفس السنة.
ومن المحتمل انه لم يذهب إلى مصر وظل في الشام وأناب عنه. وأما القول بأنه هاجر من حلب إلى دمشق فيه شيء من الحدة في الأسلوبن هاجر فكيف يهاجر وهو مرضي عنه في حلب ودمشق ومن قبل الحكام نور الدين وابنه إسماعيل وصلاح الدين بعدهما فذهابه إلى حلب وعودته منها إلى دمشق ثم بحريته
وإرادته. وهذا الأقرب إلى الصحة.
ابن كثير: البداية ٣٥/١٣.
وجاء فيها إن كمال الدين الشهرزوري قد توفي عام ٥٧٦هـ وهذا أغرب ما ذكرته المصادر فكلها تجمع على أنه توفي عام ٥٧٢هـ، وكذلك ابن كثير نفسه ويؤكد وفاته عام ٥٧٢هـ في موضع آخر ٣٣٣/١٢ كما مر معنا سابقاً.

سوى الموافقة على هذا التفويض لن ضياء الدين أهل للقضاء ليس إلا. لأن القضاء من الرتب العليا التي لا ينفع فيها توريث.

ولكن صلاح الدين في نفس الوقت كان يضمر في قرارة نفسه أن يفوض القضاء إلى ابن أبي عصرون صاحبه الذي يثق به والذي هو أهل لتولي هذا المنصب بالإضافة إلى وظيفة الإفتاء في البلاد[١].

ويدور في الذهن سؤال يحتاج إلى جوارب، ما الذي جعل صلاح الدين يفضل عبد الله بن أبي عصرون على ضياء الدين ابن الشهروزري مع أن ضياء الدين كان من الذين قدموا خدمات لصلاح الدين وكان هذا يحبه وهو كفء للمنصب؟.

وللإجابة على هذا السؤال نعود إلى جذور المشكلة من أساسها فنقول من المعروف أن كلاً من كمال الدين الشهروزري قاضي قضاة الشام أيام نور الدين محمود زنكي وشرف الدين عبد الله بن أبي عصرون أحد الفقهاء، بل رأس الشافعية في زمنه، وصلاح الدين الأيوبي احد فرسان دولة نور الدين زنكي قد وجدوا في الحكم جنباً إلى جنب في الدولة الزنكية. وكانوا على معرفة تامة ببعضهم البعض وبأهداف كل منهم.

ويبدو أن جذور المشكلة تبدأ عندما ساءت العلاقات بين كمال الدين الشهروزري وصلاح الدين فيورد ابن كثير في هذا [٢].المعنى أن صلاح الدين

---

(1) البنداري: سنا البرق الشامي: ص ١٠٨.
ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٤٤/٤
سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج/٨/ق٣٤١/١.
الأسنوي: طبقات الشافعية ١٠٠/٢.
ابن كثير: البداية والنهاية ٢٩٤/١٢.
(2) ابن كثير: البداية والنهاية ٢٩٤/١٢.

قد أمضى لكمال الدين الشهنروزري ما أوصى به منن استخلاف ابن أخيه ضياء الدين في منصب القضاء في بلاد الشام مع انه كان يجد عليه لما كان بينه وبينه حين كان صلاح الدين قد سجنه في دمشق أيام نور الدين. ثم لما أخرج من السجن اتبع سياسة معادية لصلاح الدين أيام نور الدين زنكي، وكان يعاكسه ويخالفه في كل ما يقوم به ومع هذا فإن صلاح الدين أمضى وصيته. ولعل من أهم الأسباب التي دعته إلى الموافقة على هذه الوصية هو موقف كمال الدين الشهروزري الأخير من احتلال صلاح الدين الأيوبي لدمشق عام ٥٧٠هـ، فقد وافق على هذا الاحتلال ما دام فيه مصلحة للإسلام ورحب بقدوم صلاح الدين.

وتؤكد روايات المصادر المعاصرة[١] إن صلاح الدين لما دخل دمشق واستعصت عليه قلعتها سار إلى دار كمال الدين الشهروزري فانزعج القاضي لهذا لأنه كان من المفروض أن يخرج هو إليه ولكن عادة القضاة الشرفاء أن يسار إليهم بل لعل انزعاجه هذا كان لظنه بأن يناله سوءٌ لتأخره عن الخروج. والمهم أن كمال الدين لما عرف بصلاح الدين وقدومه إلى بيته خرج لاستقباله ورحب به وأدخله وأجلسه. ثم بدأ صلاح الدين يهدئ من روع كمال الدين ولعله قد رأى ما ارتسم على جبهته من العبوس وقال له:((طب نفساً فالأمر أمرك والبلد بلدك)) [٢]. ويسند عمر باشا[٣] في كتابه((الأدب في بلاد الشام)) هذه المشكلة ويؤيد أن هناك خلافاً بين كمال الدين الشهرزوري وصلاح الدين عميق الجذور

---

(1) الذهبي: العبر في خبر من غبر ٢١٦/٤ وغيره من المصادر السابقة.
(2) المصدر السابق نفسه.
(3) عمر موسى باشا: الأدب في بلاد الشام وعصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، المكتبة العباسية بدمشق ط/١٣٩١/٢/١٩٧٢م ص: ٦٤.

ولعله أحد الأسباب النفسية داخل صلاح الدين دفعته إلى تسليم الحكم لعبد الله بن أبي عصرورن.

ويقول عمر باشا ما ملخصه[١]: أن علاقات كمال الدين وصلاح الدين لم تكن طيبة أيام نور الدين محمود زنكي، وكان كمال الدين يعاكس أراء صلاح الدين ومشاريعه ويقف حائلاً دون تحقيق أغراضه، ويعترض عليه في عدة أمور وذلك لدفعه إلى إتباع الشريعة الإسلامية في كل أعماله[٢]. وكان كمال الدين يقف لصلاح الدين وعمه شيركوه بالمرصاد ويشكوهما بكثرة إلى نور الدين. ولا نغالي إذا ما قلنا كما تشير المصادر أو تلمح إلى أن نور الدين قد أوجد محكمة عليا(دار للعدل) بمفهومنا الحاضر لتكون قادرة على محاكمة كبار القوم ومنهم شيركوه. حتى إن هذه المصادر تشير فيما تشير إليه أن شيركوه عندما عرف بهذا تأكد أن نور الدين ما أقام هذه المحكمة إلا له ولأمثاله فارتدع عما كان يقوم به من أعمال منافية للشرع أحياناً. وأن هذه المحكمة(دار العدل) فرضت هيبة نور الدين على الجميع لإمضاء شرع الله على الجميع[٣] وهي لاشك مأثرة من مآثر نور الدين الكثيرة أعادت الحق إلى نصابه وفرضت هيبة الدولة وهيمنتها على كبار الأمراء أمثال شيركوه وصلاح الدين وغيرهما.

ومهما يكن من أمر، فإن هذه المسألة لم تمنع كمال الدين الشهرزوري من أن يهيئ الأمور في دمشق بطريقته الخاصة لاستقبال صلاح الدين لأنه اعتقد أنه أكفأ من باقي الأمراء لمنازلة العدو الصليبي وهذا العمل من الأعمال المجيدة التي تحسب لكمال الدين الشهرزوري حيث وضع المصلحة العامة

---

(1) المرجع السابق نفسه.
(2) ابن طولون: قضاة دمشق من الثغر البسام ص ٤٧.
(3) المصدر السابق نفسه.

للمسلمين فوق كل اعتبار وفضّل صلاح الدين خصمه القديم إن جاز لنا التعبير على باقي أفراد مجموعة الأمراء في بلاد الشام الذين أمضوا الصلح مع العدو الصليبي.

ولعل هذه السياسة هي التي أقنعت صلاح الدين هوة الآخر بموقف كمال الدين الشريف من مصلحة المسلمين العليا وجعلته يزوره في بيته عندما تأخر عن الخروج، أو لعل زيارته له في بيته تعود إلى ضرب من ضروب السياسة الناجحة لصلاح الدين، إذ أن كمال الدين كان يتمتع برصيد شعبي في دمشقٌ. وأنه كان يُقدَّر ويُحترم حتى من جماعة الأمراء الذين أمضوا الصلح مع الصليبيين عام ٥٧٠هـ. فكانت زيارة صلاح الدين له في بيته لكسب وده وود الشعب، وللجميع في بلاد الشام خاصة وان صلاح الدين في تلك الفترة كان بحاجة إلى نوع من الاعتراف الشعبي به في بلاد الشام وبحاجة إلى مزيد من الاعتراف من جانب الأمراء والوزراء فكانت زيارته عاملاً مساعداً له في هذا الميدان. ومن هنا وافق صلاح الدين على استمرار كمال الدين في منصبه قاضياً لقضاة بلاد الشام جميعها حتى توفي عام ٥٧٢هـ كما مر، بل ووافقه على ترشيح ابن أخيه لنفس المنصب بعده.

ثم إن صلاح الدين كان ميله مع شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون وذلك يعود في رأينا إلى جملة أسباب نوجزها فيما يلي:

أولاً: قوة شخصية عبد الله بن أبي عصرون العلمية والأدبية، ومكانته كشيخ للمذهب الشافعي في زمنه، وقد شهد له معظم المعاصرين بهذا[١].

ثانياً: حب صلاح الدين الأيوبي لأتباع مذهب الشافعي وتقديرهم

---

[1] أبو شامة: : كتاب الروضتين ٢٦٣/١.
ابن واصل: مفرج الكروب ٥٠/٢.

سيما وإنه كان شافعياً إلى درجة التعصب أحياناً وأنه أراد أن يوَّحد الدولة على أساس المذهب الشافعي[١].

ثالثاً: احتضان صلاح الدين لعبد الله بن أبي عصرون عندما قدم إليه إلى دمشق لا بل تفويض قضاء مصر له كما روى المقريزي عام ٥٧٠هـ.[٢] وتوجيه كتاب له يحضه على إبطال مفعول معاهد دمشق مع الصليبيين في نفس العام[٣] لدليل على أن صلاح الجدين يكن له الحب والتقدير ويتمنى أن يكون قاضيه.بل تعتبر الرسالة تمهيداً لاختيار في المستقبل.

رابعاً: ثم عن علاقات صلاح الدين وابن أبي عصرون كانت على درجة كبيرة من المتانة. وكان ابن عصرون هو الذي تولى الإشراف على تزويج صلاح الدين الأيوبي بالخاتون عصمة الدين بنت الأمير معين الدين أنر، وزوجة السلطان نور الدين محمود زنكي التي كانت تقيم بقلعة دمشق عام ٥٧٢هـ[٤].

خامساً: خلاف عبد الله بن أبي عصرون مع كمال الدين الهشرزوري الدفين في النفس جعل ابن أبي عصرون يسعى بطرقه الخاصة لدى صلاح الدين ويوحي إليه بانه يرغب في القضاء والفتيا خاصة بعد وفاة كمال الدين الشهرزوري القاضي الشافعي نفسه. وكان ابن أبي عصرون لا يظهر خلافه مع كمال الدين حفاظاً على وحدة المذهب الشافعي فكلاهما له تقديره في هذا الميدان ولكنه لما عرف باحتضار كمال الدين وكان بحلب قدم مسرعاً إلى دمشق ولما التقى به تعانقا طويلاُ وبكيا. ثم لما قضى كمال نحبه غسله ابن

---

(1) عمر موسى باشا: الأدب في بلاد الشام ص ٨٠.

(2) المقريزي: السلوك ج/١ ق/ ١ ص ٨٠-٨١.

(3) أبو شامة: كتاب الروضتين ٢٣١/١.

(4) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج/ ١ ق/١ ص ٣٣٨ حوادث ٥٧٢هـ.

أبي عصرون وكفنه على رأس المشيعين لجنازته.

وقد صوَّر لنا الوهراني[١] هذا الخلاف بأسلوبه الرمزي الحاذق في مناماته ومقاماته وذلك عندما تخيل محاورة يوم الحساب يتدخل فيها جبريل عليه السلام إلى جانب كمال الدين الشهرزوري لكرمه فيطلب من الحق جل جلاله أن يقف كمال الدين بين الجنة والنار، ويحضر المقام المشهود في كل يوم حيث تقام مجالس الحكم والحساب ويتم فيها بإرادة الله ما يشاء. ويصور الوهراني أن كمال الدين قد قدَّم في هذه المجالس مقدمات رديئة وفاسدة في حق ابن أبي عصرون ويقول الوهراني ما أظنه بناجٍ من شرها[٢].

وهذا لاشك تصوير للخلاف بين ابن أبي عصرون وكمال الدين يعبر عن أدق خلجات النفس البشرية.

سادساً: وجود شخصيات هامة في دولة صلاح الدين الأيوبي تحبذ أن يسند قضاء قضاة الشام إلى عبد الله بن أبي عصرون أمثال القاضي الفاضل الذي كانت علاقاته به متميزة وكان ابن أبي عصرون كثيراً ما يخاطبه في مرسلاته بمجير الدين القاضي الفاضل دليلاً على احترامه وعلو شأنه[٣] وكذلك الفقيه عيسى الهكاري أحد أمراء صلاح الدين والذي تتلمذ على يدي عبد الله بن أبي عصرون والذي كان يميل إلى أستاذه ويتمنى أن يراه قاضياً لقضاة الشام.

([1]) الوهراني(ركن الدين محمد بن محمد بن محرز): منامات الوهراني ومقاماته ورسائله تحقيق: إبراهيم شعلان، ومحمد نغش. دار الكاتب العربي بالقاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م. ص ٢٨.

([2]) الوهراني: المرجع السابق نفسه والصفحة.

([3]) ابن خلكان: وفيات الأعيان ١٦٣/٣.

ولا شك في أن لهاتين الشخصيتين أثراً كبيراً جعل صلاح الدين يميل إلى عبد الله بن أبي عصرون ويسند إليه القضاء. فالناس فيما يذهبون ويهوون مشارب ومذاهب.

سابعاً: خطة عبد الله بن أبي عصرون وأعوانه الذين بدأوا يذيعون أن ضياء الدين سيعزل وربما يناله المكروه فتحرج موقف الرجل ودفعه هذا العمل إلى تفضيل السلامة وقدّم استقالته من القضاء والتي قبلت بسرعة(١) ودون تردد مما يفسر لنا أن صلاح الدين كان((يميل إلى عبد الله بن أبي عصرون)) مع انه في نفس الوقت لا يريد الإحراج لضياء الدين وإقالته(٢)

خاصة وأنه ممن قدم له خدمات جلى(٣)وهو كفء في القضاء ولم يرد الإساءة

([1]) أبو شامة: كتاب الروضتين ٢٦٣/١.
ابن واصل: مفرج الكروب ٥٠/٢.
ابن كثير: البداية والنهاية ٢٩٤/١٢.
ابن طولون الصالحي: قضاة دمشق ص ٤٧.
عمر موسى باشا: الأدب في بلاد الشام ص ٨٠.

([2]) أبو شامة : : كتاب الروضتين المصدر السابق نفسه والصفحة.
ويقول: كان صلاح الدين يؤثر أن يفوض القضاء إلى ابن أبي عصرون ولا يرى عزل الضياء الشهرزوري لخدماته وكفاءته.
ابن واصل: مفرج الكروب: المصدر السابق نفسه والصفحة.

([3]) البنداري: سنا البرق الشامي ص ١٠٨.
ويصور الأصفهاني الموقف أبلغ تصوير بأسلوبه الأدبي المؤثر فيقول كما لخصه البنداري في سنا البرق الشامي:
قدم شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون من حلب على دمشق وقد انزله السلطان صلاح الدين بدمشق، وهو شيخ المذهب الشافعي وأقوم العلماء بالفتيا وأعرفهم بما تقتضيه الشريعة من مصالح الدين والدنيا. والسلطان يؤثر أن يفوض إليه منصب القضاء ولا يرى عنه عزل الضياء وأقضى بسر مراده إلى الأجل الضيائي بفسخه =

إليه. ولكنه الآن هو الذي قدم الاستقالة بنفسه فقبلها.

ولكن مهما قيل فإن مجمل هذه الأسباب مجتمعة هيأت الظروف لن يتولى شرف الدين بن أبي عصرون قضاء القضاة في جميع ممالك بلاد الشام الخاضعة لصلاح الدين الأيوبي عام ٥٧٣هـ[1].

= واستشعر ضياء الدين من عزله وتزلزلت قدمه في شغله ولو قوى نفسه ونفسه وثبت على الإباء المحض اسمه لما خرج القضاء على حكمه ولا واجه السلطان بصرفه عن منصب عمه. وأشاروا عليه بالاستعفاء وأنه كاره لمنصب القضاء فكتب يستعفي فقيل لا وجه لاستغنائك فلح القول فاستفهم عن معنى طلبه وإبداء سببه فقال:((ما أوثر فراغ الشر والخلاص من تبعات هذا الأمر فأجيب سؤاله وأجيب سؤاله)).

ويستخلص من هذا أن ضياء الدين قد أثر السلامة بالاستقالة لما عرف أن هناك من يسعى لعزله كالقاضي الفاضل والفقيه عيس الهكاري وهما من كبار الأمراء وأنهما وأتباعهما لا يريدانه بل يريدان عبد الله بن أبي عصرون وانهما لاشك سيسعيان إلى الإيقاع به وإيجاد المشاكل في طريقه فاستقال من منصبه. انظر أيضاً ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٤٤/٤.

حيث يقول: وأقال الضياء نفسه لما عرف يميل السلطان إلى ابن أبي عصرون.

[1] البنداري:سنا البرق الشامي ص ١١٣.
أبو شامة: كتاب الروضتين ٢٦٣/١.
ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥٤/٣.
ابن واصل: مفرج الكروب ٥١/٢.
ابن الدمياطي: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ص ١٥٠.
العيني: عقد الجمان مخطوط ميكروفيلم جامعة الكويت ج/١٣ رقم ٦٠٢ ص ٧٦، ٧٧.
النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٤٠١/١.
ابن طولون: قضاة دمشق ص ٥٠.
الطباخ الحلبي: أعلام النبلاء ٢٨٠/٤.
خير الدين الزركلي: الأعلام ٤/ ٢٦٨.:

وكان شرط صلاح الدين على هذا التعيين أن يكون محي الدين أبو المعالي محمد بن زكي الدين والأوحد داود نائب كمال الدين الشهزوري في الحكم والقضاء قاضيان يحكمان، وهما عن منابته يوردان ويصدران وتوليتهما بتوقيع من السلطان نفسه(١).

عبد الله بن أبي عصرون يُصاب بالعمى:

وظل شرف الدين بن أبي عصرون قاضياً يحكم بالشرع حتى عام ٥٧٧هـ حيث أصيب آنذاك بالعمى وفقد بصره فتكلم الناس في عدم أهليته للقضاء وطعنوا بها(٢). وهنا وقع صلاح الدين في حرج شديد وورطة فقهية، فهو لا يريد أن يمس مشاعر صاحبه الذي فقد بصره ويعزله عن

= عبد الصاحب الدجيل: أعلام العرب في العلوم والفنون ص ١٣.
الذهبي: المختصر المحتاج إليه ١٥٩/٢.
السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ١٣٢/٧.
ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٢٨٣/٤.

(1) البنداري: سنا البرق الشامي المصدر السابق نفسه.
أبو شامة: المصدر السابق نفسه.
ابن واصل: مفرج الكروب ٥٠/٢-٥١ المصدر السابق نفسه ويقول: وكانا في حكم المستقبلين وإن كانا لي
الظاهر نائبين عن الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون. ويقول كذلك أن صلاح الدين كان يميل إلى أفراد
بيت زكي الدين.
ابن كثير: البداية والنهاية ٢٩٤/١٢ باختصار.
ابن طولون: قضاة دمشق مصدر سابق ص ٤٧.

(2) البنداري: المصدر السابق نفسه.
أبو شامة: المصدر السابق نفسه.
ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥٤/٣.
ابن واصل: المصدر السابق نفسه.

منصب القضاء، وهو في نفس الوقت يتعرض لأقوال الفقهاء التي تطعن في بقاء ابن أبي عصرون في منصبه لعدم أهليته.

وهنا تصدى شرف الدين بن أبي عصرون لهذه المشكلة بنفسه وأصدر كتاباً في جواز قضاء الأعمى مخالفاً في هذا مجموع الفقهاء، وكان سند ابن أبي عصرون فيما ذهب إليه من جواز قضاء الأعمى وجه ورد في جمع الجوامع للروياني اختاره شرف الدين بن أبي عصرون وصنف فيه جزءاً في جواز قضاء الأعمى وظل هو قاضياً لما أصيب بالعمى. وكانت حجة الجمهور أن الأعمى لا يعرف الخصوم ولا الشهود فكيف يحسن قضاؤه فيما يعرض عليه. وحجة من جوَّز هذا أن شعيباً نبي الله كان أعمى فما دام هذا نبي مرسل فالقاضي بطريق أولى أن يكون قاضياً لن النبي أشرف من القاضي لتفضيل الله له على غيره. وقيل أن شعيباً لم يثبت عماه، فلو سلمنا بعمى شعيب فإن الذين آمنوا به كانوا قلة فربما أنهم لم يحتاجوا إلى من يحكم بينهم. ولو فرضنا أنهم احتاجوا فإن الوحي ينزل على النبي شعيب يزوده بالحكم الفاصل ولا يتسنى هذا للقاضي إذ لا وحي ينزل عليه[١].

وأمام هذه المشكلة التي يقف فيها شرف الدين بن أبي عصرون لوحده في جانب وجميع الفقهاء في الجانب الآخر بالشام. انتابت صلاح الدين الحيرة فماذا عساه صانع؟.

التفت صلاح الدين إلى القاضي الفاضل وكان في مصر آنذاك فأرسل إليه يستعين به على حل هذه المشكلة ويعلمه بأنه يتوجب عليه أن يتصل بالشيخ أبي طاهر بن عوف الاسكندري ويسأله عما ورد من الأحاديث في

([1]) ابن واصل: مفرج الكروب ٥١/٢.
الصفدي: نكت الهميان ص ٦٠.

قضاء الأعمى[١]، علّه بجد له حلاً لما استعصى عليه.

ثم لم تلبث أن وردت إجابات القاضي الفاضل إلى صلاح الدين الأيوبي وجاء في فصل في جواز الأعمى للقضاء أو منعه ما يلي[٢]: ((لن يخلو الأمر عن قسمين، والله يختار للمولى خيرة الأقسام ولا ينسى له هذا التخريج الذي لا يبلغه ملك من ملوك الإسلام: إما إبقاء الأمر باسم الوالد بحيث يبقى رأيه ومشورته وفتياه وبركته ويتولى ولده النيابة ويشترط عليه المجازاة لأول زلة وترك الإقالة لأقل عشرة، فطالما بعث حب المناقشة الراجحة على اكتساب الأخلاق الصالحة.

وإما أن يفوض الأمر إلى الأمام قطب الدين فهو بقية المشايخ وصدر الأصحاب ولا يجوز أن يتقدم عليه في بلد إلا من هو أرفع طبقه في العلم منه)).

وفي هذا الفصل الرائع من رسالة القاضي الفاضل وجد صلاح الدين المخرج بلا حرج فأبقى شرف الدين على رأس القضاء وفوّض الأمر إلى ولده محي الدين أبي حامد محمد بن شرف الدين على أن يكون والده هو الحاكم الحقيقي[٣] ويظهر للناس على أنه نائب عن أبيه بحيث لا يظهر للناس صرفه عن القضاء.

---

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥٤/٣.
ابن واصل: مفرج الكروب ٥/١٢ باختصار.
الصفدي: نكت الهميان ص ١٨٥.

(2) البنداري: سنا البرق الشامي ص ١٤٠، ١٥٠.
ابن واصل: مفرج الكروب ٦٧/٢-٦٨.

(3) البنداري: سنا البرق الشامي ص ١١٣.
أبو شامة: كتاب الروضتين ٢٦٣/١.
ابن واصل: مفرج الكروب ٥١/٢.

وهكذا بقي شرف الدين بن أبي عصرون يمارس قضاء القضاة في بلاد الشام وولده نائب عنه، بفضل دفاعه عن نفسه والغوص في أعماق الفقه واستخلاص مات يجيز قضاء الأعمى ثم تضامن صلاح الدين معه ومساندة صاحبه القاضي الفاضل بالحق.

وظل ولده محيي الدين أبو حامد ينوب عنه في القضاء حتى وفاته عام ٥٨٥هـ[1]. فاستقل محيي الدين بعدها بالقضاء حتى عام ٥٨٧هـ، حيث

= ابن كثير: البداية والنهاية ٢٩٤/١٢.
ابن طولون: قضاة دمشق ص ٤٧: ويقول استقل أبو حامد بالحكم عن والده لضعف بصره والصحيح أن شرف الدين بن أبي عصرون ظل هو الحاكم الفعلي وابنه كالنائب عنه.
وفي ص ٥٠ يقول:
فولى صلاح الدين نجم الدين ابنه مكانه تطيباً لنفسه وهو يخالف فإنه الذي ولى القضاء هو محيي الدين وليس نجم الدين.
عمر موسى باشا: الأدب في بلاد الشام ص ٨٠-٨١.

(1) ابن الأثير: الكامل ٤٢/١٢ ويقول الوفاة في رمضان ٥٨٥هـ.
ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥٥/٣ الوفاة: الثلاثاء ١١ رمضان ٥٨٥هـ.
الذهبي: دول الإسلام ٩٧/٢ الوفاة ٥٨٥هـ.
ابن الدمياطي: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار. رمضان ٥٨٥هـ.
الصفدي: نكت الهميان ص ١٨٥ الوفاة/: رمضان ٥٨٥هـ.
ابن كثير: البداية والنهاية ٣٣٣/١٢. الوفاة عام ٥٨٥هـ.
المقريزي: السلوك ج/١ ق/ ١ ص ١٣٠. الوفاة ١١ رمضان ٥٨٥هـ.
العيني: عقد الجمان ميكروفيلم بجامعة الكويت ج/١٣ رقم ٦٠٢ ص ٧٨. الوفاة ليلة الاثنين ١١ رمضان ٥٨٥هـ.
أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٠٩/٦
ابن طولون: قضاة دمشق ص ٥١. الوفاة رمضان ٥٨٥هـ.
الحسيني: طبقات الشافعية ص ٨١ . الوفاة رمضان ٥٨٥هـ. =

عزله السلطان صلاح الدين واستبدله بابن الزكي لميله إليه[١]. ولعل هذا الميل يعود إلى جملة من الأسباب سنناقشها فيما بعد.

يقول الصفدي[٢]:((وكان القاضي محيي الدين بن زكي يترك النيابة عن ابن أبي عصرون)) وهذا معناه عدم الاستجابة إلى ما أراده صلاح الدين الأيوبي عندما عيّنه نائباً لشرف الدين بن أبي عصرون، الأمر الذي اضطر معه صلاح الدين إلى استدعاء مجد الدين بن النحاس والد العماد عبد الله الراوي أحد كبار الوجهاء العلماء وكلفه بمهمة الاتصال بالقاضي محيي الدين بن الزكي بل أمره أن يضرب على علامته في مجلس حكمه. فلزم ابن الزكي بيته حياءً وخجلاً.

وهنا اضطر شرف الدين بن أبي عصرون إلى أن يختار شخصية أخرى غيره تنوب عنه في القضاء فاختاره ضياء الدين الدولعي الخطيب[٣] وأرسل إلى الخليفة العباسي يخبره بالنيابة مع البدريونس الفارقي، ألا أن هذا لم يستجب لهذا الاختيار بدوره ويعود سبب أحجام هذين عن تولي منصب نيابة القضاء لشرف الدين ابن أبي عصرون في اعتقادنا إلى أسباب منها:

أولاً: إما أن هذين القاضيين لم يودا ابن يعيشا في الظل في نيابة ابن أبي

= العدوي: كتاب الزيارات ص ٧١ الوفاة: رمضان ٥٨٥هـ.
البغدادي: هبة العارفين ٤٥٧/١. الوفاة عام ٥٨٥هـز
خير الدين الزركلي: الأعلام ٢٦٨/٤.

([1]) البنداري: سنا البرق الشامي ص ١١٣.
ابن واصل: مفرج الكروب ٥١/٢.
ابن طولون: قضاة دمشق ص ٥١.

([2]) الصفدي: الوافي بالوفيات ط/ ٢ أغناء س. ديدرينغ ١٣٩٤/ ١٩٧٤م ١٦٩/٤.

([3]) الصفدي: الوافي/ المصدر السابق نفسه.
ابن طولون: قضاة دمشق ص ٥٣.

عصرون القوي الشخصية والهيبة.

ثانياً: أو أنهما كانا من أتباع كمال الدين الشهرزوري وابن أخيه ضياء الدين الذي تولى ابن أبي عصرون القضاء بعده.

ثالثاً: أو انهما لم يريدا الانخراط في الحياة العامة ويمارسا الحكم في وسط يمكن أن يؤثر عليهما فيه رجال من أتباع ابن أبي عصرون كالقاضي الفاضل أو غيره من الأمراء وعلية القوم.

والمهم أن شرف الدين بن أبي عصرون لم ييأس من العثور على شخصية تقبل نيابته في القضاء فاهتدى إلى جمال الدين ابن الخرستاني الذي أجابه عندما دعاه لاستلام نيابة القضاء عنه(١) وظل ابن الخرستاني نائباً لشرف الدين طيلة حياته القضائية حتى توفي عام ٥٨٥هـ، وكذلك نائباً لابنه القاضي محيي الدين أبي حامد حتى عُزل عن رتبة القضاء عام ٥٨٧هـ.

---

(1) الصفدي: الوافي بالعميان ١٦٩/٤ مصدر سابق.
ابن طولون: قضاة دمشق ص ٥٣.

الفصل الثاني

شيوخ شرف الدين عبد الله بن أبي عصرونَ

أبو بكر المزرفي

البارع أبو عبد الله الدباس

سبط الخياط

دعوان

المرتضى الشهرزوري

الحسين بن خميس الموصلي

أسعد الميهني

أبو الفتح ابن برهان الدين الأصولي

أبو علي الفارقي

أبو الحسين علي بن دبيس النحوي

ابن الحصين

ابن عمار الموصلي

أبو سعد إسماعيل المؤذن

مجموعة أخرى من مشايخ ابن أبي عصرون

لا بد من الإشارة إلى المشايخ الذين تتلمذ على أيديهم عبد الله بن أبي عصرون حتى وصل إلى ما وصل إليه من الشهرة والعلم والقضاء، بشيء من التفصيل وذلك لنستطيع أن نرسم صورة دقيقة لمكونات شخصية ابن أبي العلمية ونسير أغوار نفسه ما أمكننا البحث إلى ذلك وأسعفنا الجهد.

لقد قرأ عبد الله بن أبي عصرون القراءات السبع والعشر وتزوّد بعلم الفقه والنحو والأصول والخلاف على مشايخ العصر وعلمائه الأفاضل واستطاع بما غرس من ذكاء فطري واستعداد عجيب للعلم وبما توفر له من الجو العلمي السليم أن يبني شخصية عليمة فذة برهنت على مقدرة فائقة في ميدان الحكم والقضاء والفتيا. وتبوأ مكانة مرموقة أيام نور الدين محمود ابن زنكي في الدولة الزنكية سواء بالموصل أو في حلب أو دمشق.ولا تقل المكانة التي توصل إليها لدى صلاح الدين عن ما توصل إليه من زمن نور الدين محمود من قبل بل وصل مركزاً يفوق مركزه أيام نور الدين.

ولاشك في أن هذا راجع إلى الأساس المتين الذي بناه ابن أبي عصرون لنفسه باستعداده وطموحه وتتلمذه على أيدي الأجلاء الأفاضل سواء بالرواية أو السماع، والأخذ أو غير ذلك من ضروب تلقي العلم.

وسوف نعرج على التعريف بأشهر الأساتذة في العلوم والذين أثروا في مجرى حياته العلمية في شتى ميادين العلم ونواحيه من التفضيل بقدر الجهد.

ومن أشهرهم:

أولاً: أبو بكر المزرفي:

هو أبو بكر، محمد بن الحسين بن علي المزرفي نسبة إلى قرية مزرفة العراقية الواقعة بالقرب من بغداد[١]. وعرف بمحمد بن الحسين الفرضي الحنبلي لمقرئ الحاجي[٢].

ولد أبو بكر هذا عام ٤٣٩هـ في بغداد وقرأ القراءات على جماعة من الشيوخ في عصره من اصحاب الحمامي المشهور. وسمع من ابن المسلمة وعبد الصمدين المأمون والصريفيني وطائفة من الفضلاء الأجلاء. وأشهر من روى عنه ابن عساكر وابن أبي عصرون والمديني وابن الجوزي.

وقد وثقه العلماء وشهدوا له. مات ساجداص لله في اول عام ٥٢٧هـ. وقرأ عليه عدد كبير من العلماء منهم: يوسف الحربي وعلي بن عساكر البطائحي وعوض المراتبي وغيرهم[٣].

ثانياً: البارع أبو عبد الله الدباس:

هو أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن احمد بن محمد بن

---

(1) الحموي: معجم الأدباء ١٢١/٥.
ابن الأثير: اللباب في نهذيب الأنساب. دار صادر مجلد ٢٠٣/٣.
(2) الذهبي: العبر في خبر من غبر ٧٢/٤-٧٣.
الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار تحقيق محمد سيد جاد الحق. ط/١ دار الكتب الحديثة ٣٩١/١.
(3) الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق ١٢١/٥.
الذهبي: العبر، المصدر السابق نفسه.
الذهبي: معرفة القراء الكبار ٣٩٢/١.
أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٢٥١/٥.

حسين بن عبد الله بن الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان البكري. وينتمي بهذا إلى سليمان بن وهب الوزير الحارثي. واشتهر بالبارع الشاعر الأديب النديم البغدادي[١] المقرئ[٢].

وينتمي البارع إلى بيت الوزارة فجده القاسم كان وزيراص للمعتضد والمكتفي من بعده من خلفاء بني العباسز وعبد الله كان وزيراً أيضاً، وكذلك سليمان بن وهب شغل مركز الوزارة واشتهر به[٣].

كان البارع نحوياص لغوياً مقرئاص حسن المعرفة بصنوف الأدب وعلوم اللغة وقد تخرج عليه الكثير خاصة بالإقراء[٤]. وقد صنف كتباً في القراءات أهمها: ((الشمس المنيرة في التعسة الشهيرة)) [٥] وله ديوان شعر جيد ومصنفات حسان ومؤلفات غريبة[٦].

وكانت ولادته في العاشر من صفر عام ٤٤٣هت ببغداد ووفاته يوم الثلاثاء ١٧ جمادى الآخرى وقيل الأولى عام ٥٢٤هـ[٧]. وقد عرف بألقاب كثيرة منها:

---

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان ١٨١/٢.
الذهبي: العبر ٥٦/٤.
(2) الذهبي: معرفة القراء الكبار ٣٨٦/١.
(3) الحموي: معجم الأدباء ١٤٨/١٠.
ابن خلكان: المصدر السابق ١٨١/٢.
الكتبي: عيون التواريخ ٢١١/١٢.
الزركلي: الأعلام ٢٨٠/٢.
(4) ابن خلكان: وفيات الأعيان المصدر السابق نفسه.
(5) الذهبي: معرفة القراء الكبار ٣٨٦/١.
(6) ابن خلكان: وفيات الأعيان المصدر السابق ١٨١/٢.
(7) ابن الجوزي: المنتظم ١٩/١٠ يقول توفي: ١٧/جمادي الأولى/٥٢٤هـ.
الحموي: معجم الأدباء ١٤٩/١٠.

الدباس نسبة إلى بيع الدبس وصنعه[١]، والبدري نسبة إلى البدرية، إحدى محال بغداد، وكان الدباس يسكنها فنسب إليها[٢].

قرأ القراءات على أبي بكر محمد بن علي بن موسى الخياط، وأبي علي بن البنا وجماعة غيرهما[٣]. وقرأ عليه جماعة أيضاً منهم: أبو جعفر عبد الله الواسطي الضريرن وعلي بن المرحب البطائحي، وأبو العلاء الهمذاني العطار، وأبو الفتح نصر الله بن علي الكيال، ويوسف الحربي[٤]، وشرف الدين ابن أبي عصرون وغيرهم. وأخذ الأدب واللغة عن جماعة وروى عنه ابن الجوزي وابن عساكر والميداني وغيرهم[٥].

ثالثاً سبط الخياط[٦]:

هو أبو محمد عبد الله بن علي البغدادي المقرئ النحوي سبط أبي منصور.

= ابن الأثير: الكامل ٦٦٧/١٠ حوادث ٥٢٤هـ.
ابن خلكان: وفيات الأعيان ١٨١/٢ مصدر سابق ذكره.
الذهبي: العبر ٥٦/٤.
الكتبي: عيون التواريخ ٢١١/١٢.

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان ١٨٤/٢.

(2) ابن الأثير: اللباب ١٢٧/١.
ابن خلكان: وفيات الأعيان المصدر السابق نفسه.
الذهبي: معرفة القراء الكبار ٣٨٧/١.
الكتبي: عيون التواريخ ٢١١/١٢.
الزركلي: الأعلام ٢٨٠/٢.

(3) ابن الجوزي: المنتظم ١٧/١٠.
الذهبي: المصدر السابق نفسه ٣٨٦/١.

(4) الذهبي: معرفة القراء الكبار ٣٨٧/١.

(5) الذهبي: المصدر السابق نفسه.

(6) السبط: ابن البنت فسبط الخياط ابن بنته.

الخياط، شيخ المقرئين في العراق وصاحب التصانيف الشهيرة[١].

ولد أبو محمد سنة ٤٦٤هـ وسمع من جماعة كثيرة منهم: الحسن بن منظور وابو منصور العكبري، وطراد الزيني، وطائفة. وقرأ علي الشريف عبد القاهر العباسيي وأبي طاهر بن سوار، وابن بندار، وابن الجراح،وابن الوكيل[٢]، وجده الزاهد أبي منصورن وأبي الغنايم محمد بن علي النرسي، وأبي العز القلانسي[٣].

وقرأ العربية على أبي الكرم فاخر[٤]، وأقرأ الناس مدة بالمسجد مسجد بن جُردة بضعاً وخمسين سنة[٥]. وكان حسن السيرة ثقة صدوقاً معروفاص بحسن الخلق وصفاء النفس وصنف عدة مصنفات منها:

((المبهج))، وكتاب ((الكفاية)) و((القصيدة المنجدة في القراءات))، وكتاب ((الروضة)) والإيجاز في السبعة، المؤيدة للسبعة والموضحة في العشرة)) ((الاختيار)) وكتاب ((التبصرة)) [٦]. وله تلاميذ كثيرون أشهرهم عبد الله بن أبي

---

(1) الذهبي: معرفة القراء الكبار ٤٠٣/٢.
الذهبي: العبر في خبر من غبر ١١٣/٤.
(2) الذهبي: معرفة القراء المصدر السابق ٤٠٣/٢.
(3) الذهبي: المصدر السابق ٤٠٤/٢.
(4) الذهبي: المصدران السابقان.
(5) المصدر السابق نفسه.
(6) الذهبي: معرفة القراء الكبار ٤٠٤/٢.
البغدادي: هدية العارفين ٤٥٥/١ وقد عدد المؤ لفات.
- إرادة الطالب وإفادة الراهب في القراءة.
- ٱيجاز في القراءات السبع.
- تبصرة المبتدئ وتذكرة المنتهي.
- الروضة في القراءات.

عصرون[١].

وقد أثنى عليه العلماء والفقهاء ومدحوه ومنهم ابو سعد السمعاني الذي أشاد بتواضعه وحسن قراءته، وطار ذكره في الأغوار والأنجاد واصبح رأس أتباع الإمام أحمد بن حنبل[٢].

وتوفي سبط الخياط في ربيع الأول عام ٥٤١هـ[٣]، ودفن عند جده أبي منصور على دكة الإمام أحمد رضي الله عنه. وحضر جنازته يوم تشييعه عدد يفوق الحصر وأغلقت أكثر محال بغداد عرفاناً بفضله وتقديراً له. عند مماته كما كان في حياته. وذكر ابن الجوزي انه ما راى جمعاً أكثر من جمع جنازة سبط الخياط[٤].

رابعاً: دعوان:

هو دعوان بن علي بن حماد بن صدقة، الإمام أبو محمد الجبي البغدادي الضرير المقرئ. ولد عام ٤٦٣هـ بقرية جُبّة من سواد بغداد[٥]. وسمع في

= - الشمس المنيرة.
- الكفاية في القصيدة المنجدةز
- المبهج في القراءات الثمان.
- قراءة الأعمش وابن محيص واختيار خلف واليزيدي الموضحة كذا او المؤية كذا.

(1) معرفة القراء الكبار ٤٠٤/٢.

(2) الذهبي: معرفة القراء الكبار ٤٠٥/٢

(3) ابن الجوزي: المنتظم ١٢٢/١٠.
الذهبي: المصدر السابق ٤٠٥/٢.

(4) ابن الجوزي: المصدر السابق نفسه.
الذهبي: العبر ١١٣/٤.
الذهبي: معرفة القراء ٤٠٦/٢.

(5) ابن الجوزي: المنتظم ١٢٧/١٠ ويقول: جُبةعند العقر على طريق بغداد- خراسان. =

بغداد من رزق الله التميمي وجماعة غيره. وقرأ القراءات على الشريف عبد القاهر المكي وأبي طاهر بن سوار[١]. وتفقه على أبي سعيد المخرمي الحنبلي وقرأ عليه طائفة منهم منصورين الحميلي وابن الكيال والازجي وابن أبي عصرون وغيرهم[٢].

وتشير المصادر إلى أن دعوان قد توفي عام ٥٤٢هـ، بعد عمر حافل بجلائل الأعمال[٣].

خامساً: المرتضى الشهرزوري:

هو أبو محمد عبد الله بن القاسم بن المظفر بن علي بن القاسم الشهرزوري المنعوت بالمرتضى وهو والد القاضي الشهير كمال الدين الشهزوري المار ذكره. واشتهر أبو محمد بالفضل والدين والتقوى والورعز وكان مليح الوعظ مع الرشاقة والتجنيس مما يؤثر في السامع ويجلب انتباهه. واشتغل مدة في بغداد بالحديث والفقه ثم عاد إلى بلده الموصل وروى الحديث وله شعر رائق[٤].

= ابن الأثير: ٢٥٩/١. ويقول موضع آخر في مصدر يدعى جُبَة. وجبة المقصودة قرية من أعمال النهروان وينسب إليها دعوان الجبي ويقال. الجبائي أيضاً.

([1]) ابن الجوزي: المنتظم، المصدر السابق نفسه.
الذهبي: معرفة القراء ٤٠٩/٢.

([2]) ابن الجوزي: المصدر السابق نفسه.
الذهبي: المصدر السابق نفسه.

([3]) ابن الجوزي: المنتظم ١٢٧/١٠ مصدر سابق ذكره.
الذهبي: معرفة القراء الكبار ٤٠٩/٢.

([4]) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤٩/٣.
ابن شاكر(الكتبي): عيون التواريخ ٧٣/١٢.
العيني: عقد الجمان ميكروفيلم جامعة الكويت ج/١١ رقم ٦٠٠ حوادث عام

وكانت ولادته حواي عام ٤٦٥هـ، وتوفي في ربيع اول عام ٥١١هـ بالموصل ودفن في تربة الشهزوري في البلد[١].

وجاء في أقوال الأصفهاني في الحزيدة أن المرتضى الشهزوري توفي بعد عام ٥٢٠هـ[٢]، وذكر البغدادي في هدية العارفين أنّ له القصيدة المشهورة((بالموصلية)) وهي في التصوف وطويلة جداً وهذا يثبت لنا زهده وتقشفه وورعه[٣].

سادساً: الحسين بن خميس الموصلي:

هو أبو عبد الله الحسين بن نصر بن محمد بن الحسين بن القاسم بن خميس بن عامر المعروف بابن خميس الكعبي الموصلي الجهني الملقب تاج الإسلام مجد الدين الفقيه الشافعي[٤]. والجهني نسبة إلى قرية جهينة جنوب الموصل والكعبي نسبة إلى قبيلة كعب مما يطلعنا على نسبه وأصله[٥].

= ٥١١هـ.
البغدلدي: هدية العارفين ٤٥٤/١.
([1]) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥٢/٣.
العيني: المصدر السابق. ويقول: مولده عام ٤٧٥هـ ووفاته ربيع أول/ ٥١١هـ.
والظن أن هذا خطأ من النساخ.
البغدادي: هدية العارفين ٤٥٤/١ز
([2]) المصادر السابق نفسها.
ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥٣/٣
الكتبي(ابن شاكر): مصدر سابق ذكره.
([3]) البغدادي: هدية العارفين ٤٥٤/١.
([4]) ابن خلكان: وفيات الأعيان ١٣٩/٢.
داود الحلبي: مخطوطات الموصل ص١١.
([5]) ابن الأثير: اللباب في تهذيب النساب ٣١٧/١.

أخذ الفقه عن أبي حامد الغزالي ببغداد ثم تتلمذ على غيره من أفاضل العلماء فيها كأبي بكر الشامي وأبي الفوارس بن طراد الزيني وغيرهما. ولما عاد إلى بلده الموصل اشتهر أمره وولي القضاء برحبة مالك بن طوق وكان فقيهاً شافعياً مشهوراً[١].

وقد مال إلى التصنيف والتأليف فألف عدة مصنفات منها((مناقب الأبرار)) وهو على أسلوب رسالة القشيري و((مناسك الحج)) و((أخبار المنامات)) وغيرها كثير[٢].

وكان مولده بالموصل عام ٤٦٦هـ[٣] ووفاته في ربيع الآخر عام ٥٢٢هـ، في الموصل أيضاً[٤].

= يقول نقلاً عن السمعاني أن جهينة قبيلة من قضاعة ونسب إليها خلق كثير ويضيف ابن الأثير معقباً في اللباب ٣١٨/١ أن الجهيني أيضاً نسبة إلى قرية جهينة وهي من قرى الموصل ونسب إليها تاج الإسلام أبو عبد الله الحسين بن نصر بن محمد بن خميس الموصلي الجهني الفقيه المحدث الذي تترجم له.

الحموي: معجم البلدان١٩٤/٢ يقول جهينة قبيلة من قضاعة نسب إليها أمكنة منها من قرية من قرى الموصل ونسب للقرية تاج الإسلام ابن خميس.

ابن خلكان: وفيات الأعيان ١٣٩/٢-١٤٠ جمع النسبة إلى القرية والقبيلة وأوضح ذلك وقال: أن جهينة تجاور القرية التي بها عين القيارة التي تشفي من الفالج والأمراض الريحية وهما في البر أسفل الموصل.

([1]) الحموي: معجم البلدان ١٩٤/٢.

ابن خلكان: وفيات الأعيان ١٣٩/٢.

داود الحلبي: مخطوطات الموصل ص١١.

([2]) ابن خلكان: وفيات الأعيان ١٩٣/٢.

([3]) الحموي: معجم البلدان ١٩٤/٢

([4]) الحموي: معجم البلدان المصدر السابق ذكره.

ابن خلكان: المصدر السابق ذكره.

ومن أشهر تلاميذه الشيخ رضي الدين بن يونس بن محمد بن منعه جد آل منعه المشهورين في الموصل والجزيرة والذين منهم العالم العظيم الذي كان يتقن ٢٤ علماً إتقاناً تاماً، كمال الدين بن يونس بن منعهن وأخيه عماد الدين بن منعه، وشرف الدين بن أبي السرين عبد الله بن عصرون الذي نتحدث عنه(١).

سابعاً: أسعد الميهني(٢):

هو أبو الفتح أسعد بن أبي نصر بن أبي الفضل الميهني، الفقيه الشافعي الملقب محيي الدين(٣) . تفقه بمرو ثم ارتحل إلى غزنة وهناك طار صيته وارتفع ذكره ونال ثقة الناس. ولم يهدأ إلاّ بالرحلة إلى بغداد حيث تولى تدريس المدرسة النظامية مدة وذلك عام ٥٠٧هـ. وظل إلى أن عزل في ١٨ شعبان ٥١٣هـ. ثم أعيد ثانية في شعبان عام ٥١٧هـ للتدريس فيها(٤). واشتغل عليه أناس عديدون ونقل ابن خلكان عن السمعاني انه يدعى أبا الفتح أسعد وقد ورد سؤالاً إلى مرو من قبل السلطان محمود السلجوقي ثم توجه

---

(1) داوود الحلبي: مخطوطات الموصل ص١١.
(2) الميهني: مهينة من قرى خابران من ناحية بين سرخس وابيورد من إقليم خراسان.
انظر: الحموي: معجم البلدان ٢٤٧/٥.
ابن الأير: اللباب ٢٨٥/٣.
(3) ابن الأثير: الكامل ٦٦٠/١٠ حوادث ٥٢٣هـ.
ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٠٧/١.
(4) ابن الأثير: الكامل، المصدر السابق لم يذكر تواريخ التدريس.
الكتبي(ابن شاكر): عيون التواريخ ٢٥٤/١٢ لم يذكر تواريخ التدريس.
ابن كثير: البداية والنهاية ٢٠٥/١٢.

بعد ذلك إلى بغداد ومنها على همذان حيث ادركه أجله عام ٥٢٧هـ[١].

وله عدة مصنفات أشهرها: التعليقية المشهورة وقد مدحه الشعراء ومنهم أبو إسحق الغزي[٢].

ثامناً: أبو الفتح بن برهان الدين الأصولي:

هو أبو الفتح أحمد بن علي بن برهان الدين المولود في بغداد في شوال عام ٤٤٤هـ. ولما شب تفقه في بلده على الكياهراسي المشهور والغزالي والشاسي شيوخ العصر. وبرع في المذهب والأصول حتى أنه رُجَّح على أستاذه الشاشي في عدة مناسبات.

واشتهر بالذكاء والتفتح لدرجة أنه أصبح نضرب الأمثال. وظل يواصل مسيرته العلمية بلا كلل ولا ملل حتى وفاته عام ٥١٨هـ[٣].

---

(1) ابن الأثير: الكامل ٦٦٠/١٠ حوادث عام ٥٢٣هت ويؤكد الوفاة بأنها عام ٥٢٣هـ لا عام ٥٢٧هـ.
ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٠٧/١ ويؤكد وفاته عام ٥٢٧هـ فيما نقله عن السمعاني في الذيل.
ابن شاكر(الكتبي): عيون التواريخ ٢٥٤/١٢ حوادث عام ٥٢٧هـ حيث يؤكد الوفاة عام ٥٢٧هـ.
الذهبي: العبر في خبر من عبر ٧١/٤ حوادث عام ٥٢٧هـ يؤكد وفاته ٥٢٧هـ.
ابن كثير: البداية والنهاية ٢٠٥/١٢ مصدر سابق.
وقد نقل الرأيين القائلين لوفاته ٥٢٣هـ و ٥٢٧هـ دون تعليق أو ترجيح أحدهما على الآخر.
ونحن نؤيد أن الوفاة عام ٥٢٧هـ لأن السمعاني الذي قال بها أكثر ملاصقة بالأحداث.
أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٢٥٢/٥ يؤكد الوفاة عام ٥٢٧هـ.

(2) ابن شاكر(الكتبي): عيون التواريخ ٢٥٤/١٢ مصدر سابق ذكره.

(3) ابن الدمياطي: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ص٦٢. =

وذكره ابن الدمياطي فيما أخذه عن ذيل تاريخ بغداد لابن النجار وأثنى عليه وذكر أن ابن برهان يدعى ابن برهان الوكيل وأشاد بذكائه وذكر فيما ذكره أنه دَرّس بالنظامية في بغداد ثم عزل. وذكر من شيوخه كلاً من ابن البطر وأبو طاهر الكرخي والنعال.

تاسعاً: أبو علي الفارقي:

هو أبو علي الحسن بن إبراهيم بن علي بن برهون الفارقي الفقيه الشافعي(١).

وكان في مبدأ اشتغاله بالعلم في مسقط رأسه ميافارقين على يد أبي عبد الله محمد الكازروني. ثم انتقل من ميافارقين إلى بغداد واشتغل علي الشيخ أبي إسحق الشيرازي قطب العصر، وصاحب المهذب الذي اشتهر به كثيراً، وعلي أبي نصر بن الصباغ صاحب الشامل(٢).

= الحسيني: طبقات الشافعية: ص ٧٤-٧٥.
خير الدين الزركلي: الأعلام ١٦٧/١.
ونقل أن ابن برهان قد جرس في النظامية شهراً ثم عزل ثم درس يوماً وعول ثانية.

(1) ابن الأثير: الكامل ١٧/١١ حوادث ٥٢٨هـ.
ابن خلكان: وفيات الأعيان ٧٧/٢.
الذهبي: العبر في خبر من غبر ٧٤/٤ حوادث ٥٢٨هـ.
ابن شاكر: عيون في التواريخ ٢٧٧/١٢.
ابن كثير: البداية والنهاية ٢٠٦/١٢ حوادث ٥٢٨هـ.
البغدادي: هدية العارفين ٢٧٩/١.
خير الدين الزركلي: الأعلام ١٩٢/٢.

(2) ابن الأثير: المصدر السابق ذكره.
ابن خلكان: المصدر السابق ذكره.
المصادر السابقة ذكرها جميعاً بصفحاتها.

وسمع الحديث من أبي بكر وظيفته من رجال الحديث الأفذاذ المشهود لهم. وذاع صيته وانتقل إلى واسط حيث تولى قضاءها. وسأل عنه الحافظ السلفي فأجيب من الحافظ أبي الكرم خميس بن علي الحوزي بأنه: متقدم في الفقه وظهر عدله أمام الجميع وحسنت سيرته ووصفه بالزهد والورع والتقوى[١].

وقد صنف عدة مصنفات أهمها: ((الفوائد)) على المهذب للشيرازي في الفروع والفتاوى في خمسة أجزاء. وأخذ عنه أناس كثيرون منهم: القاضي أبو سعد عبد الله بن أبي عصرون الذي كان يلازم درسه باستمرار خاصة دراسة الشامل إلى أن توفي الفارقي[٢].

وكانت وفاته يوم الأربعاء في ٢٢/محرم/٥٢٨هـ بواسط. وكان مولده عام ٤٣٣هـ بميافارقين في ربيع الآخر ودفن في مدرسته بواسط رحمه الله[٣]. بعد أن قام بواجبه العلمي وقدم خدمات للعلم والعلماء.

عاشراً: أبو الحسين علي بن دبيس النحوي:

هو أبو الحسين بن دبيس الموصلي، قرأ النحو على ابن وحشي صاحب

([1]) المصادر السابق ذكرها جميعاً.
([2]) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٧٧/٢.
([3]) ابن خلكان: المصدر السابق ذكره.
ابن الأثير: الكامل ١٧/١١.
الذهبي: العبر ٧٤/٤.
ابن شاكر:: عيون التواريخ ٢٧٧/١٢.
ابن كثير: البداية والنهاية ٢٠٦/١٢. الحسيني:طبقات الشافعية ص ٧٥.
البغدادي: هدية العارفين ٢٧٩/١.
خير الدين الزركلي: الأعلام ١٩٢/٢.

ابن جني النحوي الموصلي المشهور. وأخذ عنه زيد بن مُرَزكه الموصلي ولعلي بن دبيس أشعار جميلة وتصدَّر ببلده وأصبح سيداً مطاعاً لعلمه، ومدارس تعليم النحو وتدريسه في بلده وغيره[1]. ومن جيد شعره.

يسهل كل ممتنع شديد

ويأتي بالمراد على اقتصـــــار

فلو كلفته تحصيل طيف الخيال

ضحىً لزار بلا رُقـــــــــاد

حادي عشر: ابن الحصين:

أبو القاسم بن الحصين بن الحصين هبة الله محمد بن عبد الواحد بن احمد بن العباس بن الحصين الشباني البغدادي الكاتب الأزرق، مسند العراق. كان مولده في ربيع الأول عام ٤٣٢هـ. وسمع من ابن غيلان وابن المذهب والتنوخي. وقد اشتهر بصحة دينه بين معاصريه وسماعه الحسن وتوفي ابن الحصين في ١٤ شوال عام ٥٢٥هـ، وله ٩٣سنة[2]

وقد أضاف ابن كثير[3] انه راوي السند عن علي بن المهذب عن أبي بكر بن مالك عن عبد الله بن أحمد عن أبيه. وسمع على جماعة من عِلْية المشايخ وروى عنه ابن الجوزي وغيره.

([1]) الحموي: معجم الأدباء ٢١٨/١٣ طبعة أحمد فريد رفاعي
القفطي: أنباه الرواة على أنباه النحاة تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية ١٩٥٢/١٣٧١م مجلد ٢ ص: ٢٧٥-٢٧٦.
السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ١٦٦/٢.

([2]) الذهبي: العبر في خبر من غبر ٦٦/٤.
ابن كثير: البداية والنهاية ٢٠٣/١٢.

([3]) ابن كثير: البداية والنهاية ٢٠٣/١٢.

وقال ابن الأثير[١] راوي مسند أحمد بن حنبل والغيلانيات عن أبي طالب بن غيلان. وذكر ابن الدمياطي[٢] في المستفاد أن ابن الحصين أخذ عن الحسن بن عيسى بن المقتدر أخبار اليشكري وسمع أبا القاسم بن الحسن التنوخي وأبا محمد الجوهري وأبا الطيب الطبري، وقصده الطلاب من شتى الأقطار. وسمع منه الحفاظ كابن الخشاب وابن طبرزد وأبي موسى وأبي القاسم بن السمرقندي. ومدحه العلماء المعاصرون خاصة صدق سماعه وصحته ووثقوه[٣].

ثاني عشر: ابن عمار الموصلي:

هو أبو علي الحسن بتن علي بن الحسن المعروف بابن عمار الموصلي. ولج بالموصل عام ٤٧٧هـــن وتفقه في بغداد على الهراسي والشاشي وأسعد الميهني المار ذكره.

ثم عاد على بلده بحصيلة علمية ممتازة وأهلته بعد أن استقر إلى ممارسة فن الإفتاء والتدريس والتصنيف حتى اشتهر بهما. ووفد عليه عدد كثير من الطلاب وانتفعوا بما لديه. ومن هؤلاء شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون وابن الشيرجي.

وظل ابن عمار يواصل عمله في الموصل في ميادين العلم المختلفة حتى انتقل إلى جوار ربه في جمادي الأول/ عام/ ٥٢٩هـــ[٤].

([1]) ابن الأثير: الكامل ٦٧١/١٠ حوادث ٥٢٥هـ.
([2]) ابن الدمياطي: المستفاد ص ٢٥١.
([3]) المصدر السابق نفسه.
([4]) الأسنوي: طبقات الشافعية ٤٢٧/٢ ترجمة ١٠٩٧.

ثالث عشر: أبو سعد إسماعيل المؤذن:

هو أبو سعد إسماعيل بن أحمد بن عبد الملك بن علي النيسابوري المكنى بأبي صالح والمعروف بالمؤذن.

ويصفه الأسنوي بأنه كان غزير العلم فاضلاً مبرزاً ذا رأي وعقل حسن المعاشرة. ولد في ذي الحجة/ عام ٤٥٢هـ. بنيسابور وتفقه على جماعة منهم السمعاني وإمام الحرمين وغيرهما، وتفوي بكرمان من بلاد فارس سلخ رمضان/ عام ٥٣٢هـ[١].

رابع عشر: مجموعة أخرى من مشايخ ابن أبي عصرون:

وهناك مجموعة أخرى من العلام الذين تتلمذ عليهم شرف الدين عبد الله بن عصرون نذكر منهم:

أبو القاسم بن الحسين، وأبو البركات بن البخاري، وأبو دلف[٢] وأبو الغنائم السلمي السروجي[٣]، وأبو محمد بن خلده[٤]، وعلي بن أحمد بن طوق جد شرف الدين بن أبي عصرون لأمه[٥].

---

(1) الأسنوي: المصدر السابق ٤٠٩/٢ ترجمة ١٠٦٥.
(2) النعيمي: الدارس ٤٠٠/١.
(3) المنذري: التكملة لوفيات النقلة ٢٠١/١.
الذهبي: المختصر المحتاج إليه ١٥٨/٢.
(4) الذهبي: المصدر السابق.
(5) المنذري: التكملة لوفيات الثنلة ٢٠٢/٢.
ابن الدمياط: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ص١٥٠.
الذهبي: المختصر المحتاج إليه، المصدر السابق ذكره.

الفصل الثالث

تلاميذ شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون

صاحب الاستقصاء.

الدولعي.

موفق الدين بن يعيش.

جمال الدين بن الحرستاني.

الكمال بن الحرستاني.

عبد الكريم الحرستاني.

شمس الدين بن سنى الدولة.

شمس الدين أبو الفتوح بن المنجا.

شمس الدين أبو نصر الشيرازي.

ابن الجميزي.

الصلاح والد تقي الدين.

فخر الدين بن عساكر.

البهاء السنجاري.

ابن البرهان.

ابن البوري.

أبو الكرم المراغي.

صديق بن رمضان.

ابن البراذعي.

ابن عرق الموت.

ابن الرفاء.

العماد الأصفهاني.

البدر الفارقي.

ابن الحميدي.

لقد حصَّل شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون قدراً كبيراً من العلم والمعرفة وأصبح أستاذاً للشافعية و في عصره، الأمر الذي جعل تلاميذه يقبلون عليه من شتى البقاع.

ولا نريد أن نحصي الكم الهائل من التلاميذ بالضبط لن هذا من الصعوبة بمكان كبير. ولكننا سنحاول أن نأتي على طرف منهم نبرهن من خلاله على المكانة العلمية المرموقة التي تمتنع بها شرف الدين بن أبي عصرون.

ومن هؤلاء التلاميذ الكثر نذكر:

الأول: صاحب الاستقصاء:

هو ضياء الدين أبو عمر عثمان بن عيسى بن درباس بن قير بن جهم بن عبدوس الهذباني المراني الموصلي[١].

اشتغل ضياء الدين في صغره باربل على الشيخ أبي العباس الخضر بن عقيل ثم انتقل إلى دمشق وقرأ على الشيخ أبي سعدن شرف الدين بن أبي عصرون وأصبح من اعلم الناس الفقهاء في المذهب الشافعي ومهر فيه وفي أصوله[٢]. وبعد أن أصبح علماً في المذهب وأصول الفقه شرح المهذب شرحاً شافياً في حوالي عشرين مجلداً، ولكنه لم يكمله حيث عاجلته منيته وسماه: ((الاستقصاء لمذاهب الفقهاء)). كما قام بشرح ((اللمع)) في أصول الفقه للشيخ.

([1]) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٤٢/٣.
الأسنوي: طبقات الشافعية ١٢٧/١-١٢٨ .

([2]) المصادر السابقة نفسها.

العلامة أبي إسحق الشيرازي في مجلدين وله غير ذلك من المصنفات[١].

ولما كان أخوه صدر الدين والياً للقضاء في أرض مصر، ناب عنه ضياء الدين في القاهرة ولكنه لم يلبث أن عزل في حياة أخيه. ولعلو مكانته العلمية آنذاك وحسن سيرته وأخلاقه أوقف عليه أحد الأمراء الأكراد الهكاريين، وهو جمال الدين خشترين الهكاري مدرسة أنشاها له بالقصر في القاهرة وفوَّض إليه أمر التدريس بها والإشراف على الناحية التعليمية فيها. وظل يواصل جهوده العلمية في مدرسته حتى وفاته عام ٦٠٢هـ، بعد أن بلغ ٩٠ عاماً، في القاهرة ودفن بالقرافة الصغرى[٢].

الثاني: الدولعي (الدؤلي):

هو عبد الملك بن زيد بن ياسين بن زيد بن قائد بن جميل التغلبي أبو القاسم الدولعي، خطيب دمشق والمدرس بها الفقيه ضياء الدين الأرقمي الموصلي[٣].

---

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٤٣/٣.
الأسنوي: طبقات الشافعية ١٢٨/١.

(2) ابن خلكان: المصدر السابق ذكره.
الأسنوي: المصدر السابق نفسه.
وجاء في الحاشية ١ من طبقات الأسنوي في ص ١٣٠/١٢٨ أن هذه المدرسة قد أدخلت ضمن المدرسة المنصورية التي أنشأها المنصور قلاوون عام ٦٨٤هـ/ وتقع في شارع المعز لدين الله (بين القصرين سابقاً).

(3) الحموي: معجم البلدان ٤٨٦/٢.
ابن الأثير: الكامل ١٧٨/١٢ حوادث ٥٩٨ هـ باختصار.
ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٠٣/٧.
السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ١٧٨/٧.
الأسنوي: طبقات الشافعية الصغرى ٥١٣/١. =

ولد بالدولعية إحدى قرى الموصل[١]، عام ٥٠٧هـ[٢]، وتفقه في بغداد على مذهب الشافعي وسمع الحديث بها. فسمع الترمذي على الإمام أبي الفتح الكروخي والنسائي على أبي الحسن علي بن أحمد البروي[٣] وعبد الخالق بن يوسف والمبارك بن الشهرزوري[٤]. وكان قد سمع بالموصل تاج الإسلام الحسين بن نصر بن خميس الكعبي[٥].

ثم قدم الشام بعد ذلك وتفقه على نصر الله المصيصي، وشرف الدين عبد الله بن أبي عصرون[٦]. وولي خطابة دمشق وتدريس الزاوية الغربية

= ابن كثير: البداية والنهاية ٣٣/١٣ باختصار.
النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٤١٩/١.
خير الدين الزركلي : الأعلام ٣٠٤/٤ باختصار.
أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٨١/٦.

(1) الحسيني(المصنف): طبقات الشافعية ٨١ ويقول: الدولعي بالهمزة والواو نسبة إلى قرية من قرى الموصل مع أن الحموي في معجمه ٤٨٦/٢ يقول الدولعي والدولعية وليس الدءلعية كما يقول الحسيني المصنف في طبقات الشافعية.

(2) الحموي: معجم البلدان ٤٨٦/٢ مصدر سابق ذكره.
ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٠٣/٧ مصدر سابق ذكره.
السبكي: طبقات الشافعية ١٨٧/٧ يقول مولده عام ٥٠٧هـ.
الأسنوي: طبقات الشافعية المصدر السابق ذكره يقول مولده عام ٥١٤هـ.
ابن كثير: البداية ٣٣/١٣ يقول مولده عام ٥١٨هـ.
النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٤١٩/١ المصدر السابق الذكر.
ويقول: مولده عام ٥١٤هـ.

(3) الحموي: المصدر السابق ذكره.
ابن كثير: المصدر السابق ذكره

(4) الحموي: المصدر السابق ذكره.

(5) المصدر السابق نفسه.

(6) الأسنوي: طبقات الشافعية ٥١٣/١ مصدر سابق ذكره.

بالجامع الأموي (الغزالية) مدة طويلة.

وقد مدح الدولعيّ النوويِّ[١] في طبقاته بأنه كان((أحد الفقهاء المشهورين والصلحاء الورعين في زمانه)) كما نعته أبو المحاسن بن تغري بن بردي بأنه كان: ((منزهاً حسن الأثر حميد الطريقة))[٢] وقال عنه ابن كثير[٣] ((كان زاهداً متورعاً حسن الطريقة مهيباً في الحق)).

وهذه الأقوال جميعها لا تخرج عن المعنى الذي ذهب إليه الحموي في معجمه[٤] سابقاً هؤلاء المؤرخين وذكر أنه((كان زاهداً ورعاً وكان للناس فيه اعتقاد حسن)).

وظل عبد الملك يقوم بمهام منصبه مدة طويلة وذاع صيته وحسن اعتقاد الناس فيه واشتهر بالخطيب ونال الحظوة لدى صلاح الدين الأيوبي. وكان هو الذي أشرف على غسل صلاح الدين وتكفينه. ولكن لابد من نهاية فكانت نهاية عبد الملك الدولعي في ١٢/ربيع الأول/عام ٥٩٨هـ، ودفن بمقابر الشهداء بباب الصغير في دمشق[٥].

---

(1) الأسنوي: طبقات الشافعية ٥١٣/١ فيما نقله عن النووي.
(2) ابن تغري بردي(أبو المحاسن): النجوم الزاهرة ١٨١/٦. مصدر سابق ذكره.
(3) ابن كثير: البداية والنهاية ٣٣/١٣ مصدر سابق ذكره.
(4) الحموي: معجم البلدان ٤٨٦/٢ مصدر سابق ذكره.
(5) الحموي: معجم البلدان المصدر السابق نفسه وذكر أن الوفاة في ١٢ ربيع أول ٥٩٨هـ.
ابن الأثير: الكامل ١٧٨/١٣.
ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٠٣/٧.
الأسنوي: طبقات الشافعية ٥١٣/١ مصدر سابق ذكره.
يقول: رأيت في تاريخ بغداد لابن الدبيثي أنه توفي يوم الثلاثاء ١٣ ربيع أول ٥٩٨هـ =

الثالث: موفق الدين بن يعيش:

هو أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا بن محمد بن علي بن المفضل بن عبد الكريم بن محمد بن حيَّان القاضي بن بشر بن حيان الأسدي، الموصلي الأصل، الحلبي المولد والمنشأ، الملقب موفق الدين النحوي المعروف أيضاً بابن الصائغ[١].

أخذ العلم عن شيوخ عصره وتنقل ما بين المراكز العلمية في العواصم الإسلامية في العراق والشام والجزيرة. فقرأ النحو على أبي السخاء فتيان الحلبي وأبي العباس المغربي الفيروزي[٢].

وسمع الحديث على أبي الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب الطوسي الموصل بالموصل، وعلى أبي محمد عبد الله بن عمر بن سويدة التكريتي، وبحلب تتلمذ على أبي الفرج الثقفي والقاضي أحمد بن محمد الطرسوسي.

= ابن كثير: البداية والنهاية ٣٣/١٣ يقول مات يوم ١٩ ربيع أول عام ٥٩٨هـ.
الحسني(المصنف): طبقات الشافعية ص ٨١.
يقول: وفاته عام ٥٩٠هـ وهذا خطأ لسببين :
أولاً: لمخالفته المصادر المعاصرة.
ثانياً: لبعد زمن الحسيني عن تاريخ الوفاة فالحسيني المصنف توفي عام ١٠١٤هـ والدولعي مات ٥٩٨هـ.
خير الدين الزركلي: الأعلام ٣٠٤/٤ يكتفي بذكر السنة للوفاة ٥٩٨هـ فقط.

[1] ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤٦/٧-٤٧.
أبو الفداء: المختصر في تاريخ البشر ١٧٤/٣.
ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي(تتمة المختصر) ٢٥٣/٢.
الأشرف الغساني: العسجد المسبوك والجوهر المحكوك ص ٥٤١ز
السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٣٥١/٢.
ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٢٢٨/٥.

[2] ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤٧/٧.

وخالد القيسراني. وأما في دمشق فأخذ من تاج الدين الكندي وغيره. وحدَّث بحلب وأصبح شخصية علمية مرموقة في النحو والتصريف والعربية[١].

ويقول ابن العماد الحنبلي في شذراته أنه قد انتهى إليه معروفة العربية في بلده وسمع بحلب من أبي سعد شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون[٢].

وتصفه المصادر بأنه((قد صنف وتخرج به أئمة)) [٣] أي انه أصبح استناداً عالماً يقصد لعلمه وأصبح رئيس مدرسة علمية يقصده الطلاب من شتى بقاع العالم الإسلامي.

ورحل إلى الموصل واستمر بها مدة يشتغل بالعلم ويدرس ويمارس دوره في هذا الميدان النبيل. وكان في نفس الوقت يسمع الحديث من الأعلام فيها، والسبب الذي جعله يستقر في الموصل أنه كان قاصداً بغداد عن طريقها، ولما وصلها بلغة خبر وفاة ابن الأنباري وكان ذاهباً لمقابلته فمكث في الموصل مدة عاد بعدها إلى حلب[٤].

ولما شعر بالثقة تملأ نفسه وأنه أصبح يتمتع بمركز علمي ممتاز وتاقت نفسه إلى التصدر للإقراء سافراً إلى دمشق واجتمع بتاج الدين أبي اليمن الكندي وسأله عن بعض المسائل النحوية وكان بها شيء أعجزه فأجابه أنك أردت أن تظهر مكانتك العلمية يا موفق الدين في هذا المجال ثم شهد له

([1]) ابن خلكان: المصدر السابق نفسه.
الذهبي: العبر في خبر من غبر ١٨١/٥.
([2]) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٢٢٨/٥.
ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٢٢٨/٥.
([3]) ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي ٢٥٣/٢ ويصفه بأنه كان ظريفاً محاضراً.
الأشرف الغساني: العسجد المسبوك ص ٥٤١.
ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب المصدر السابق نفسه.
(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤٧/٧.

بالتقدم في فنون الأدب(١).

وصنف موفق الدين كثيراً من المصنفات العلمية نذكر منها: شرح ((المفصل للزمخشري)) شرحاً وافياً يفوق كافة شروحه. ثم شرح ((تصريف الملوكي)) لابن جني شرحاً يفوق الوصف وانتفع به خلق كثيرون.

ومما يدلنا على علو كعبه العلمي إن رؤساء حلب في زمنه كانوا تلامذته جميعهم(٢).

وكانت وفاته بحلب يوم الخامس والعشرين من جمادي الأولي عام ٦٤٣هـ. ومولده أيضاً فيها عام ٥٥٣هـ(٣). ودفن من يومه بتربته بالمقام المنسوب إلى إبراهيم الخليل عليه السلام.

الرابع: جمال الدين ابن الحرستاني:

هو قاضي القضاة أبو القاسم بعبد الصمد بن أبي الفضل بن علي بن عبد الواحد الأنصاري الخزرجي العبادي السعدي الدمشقي الشافعي جمال

([1]) ابن خلكان: المصدر السابق نفسه.

([2]) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥٢/٧.
أبو الفداء: المختصر ١٧٥/٣.
ابن الوردي: تتمة المختصر، تاريخ ابن الوردي ٢٥٣/٢.

([3]) ابن خلكان: المصدر السابق ٥٢/٧-٥٣.
ويقول: مولده بحلب لثلاث خلون من رمضان ٥٥٣هـ والوفاة سحر الخامس والعشرين من جمادى الأولى ٦٤٣هـ.
أبو الفداء: المختصر ١٧٥/٣ مصدر سابق.
الذهبي: العبر في خبر من غبر ١٨١/٥.
ابن الوردي: تتمة المختصر ٢٥٣/٢.
يقول: المولد في رمضان ٥٥٣هـ والوفاة بحلب ٦٤٣هـ فقط. =

الدين الحرستاني إمام فاضل ومدرس فذ على مذهب الإمام الشافعي(١).

ولد جمال الدين عام ٥٢٠هـ(٢)، وكان والده من أهل حرستا قرب دمشق. ونظراً لوجود والده في دمشق حيث كان ينزل داخل باب توما أحد أحياء دمشق في مسجد الزيني حيث اشتغل بالإمامة فإن الفرصة أتيحت لجمال الدين لسماع الحديث من كثير من العلماء. وشارك ابن عساكر في الاستماع معه إلى شيوخه وكان يصلي الجماعة في المسجد ولا يفوته فرض جماعة بالجامع المذكور في مقصورة الخضر(٣).

وأهم مشايخه الذين أخذ عنهم وسمعهم: علي بن أحمد بن قبيس الغساني وعبد الكريم بن حمزة والخضر السلمي. وطاهر بن سهل الاسفراييني وعلي بن المسلم. وقد تفرد بالرواية عن الأربعة الأوائل زمناً طويلاً مع أنه

= الأشراف الغساني: العسجد المسبوك ص ٥٤١ لم يذكر اليوم بل ذكر الشهر والسنة عندما ذكر الوفاة وأما عندما ذكر المولد فذكر السنة فقط.
السيوطي: بغية الوعاة ٣٥١/٢.
ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٢٢٨/٥ لم يذكر اليوم والشهر.

(1) الحموي: معجم البلدان ٢٤١/٢.
ابن عنين:(شرف الدين أبو المحاسن محمد بن نصر بن الحسين بن علي بن محمد بن غالب): ديوان ابن عنين تحقيق جميل مردم ط/٢ ص ١٨٤-١٨٥.
ابن كثير: البداية والنهاية ٧٧/١٣.
المقريزي: السلوك ج/١ ق١ ص ٢٢٣.
وقد أورد اسمه كاملاً زيادة على ما أورده غيره وأضاف ابن عبد الواحد الأنصاري الخزرجي العبادي السعدي الدمشقي الشافعي جمال الدين الحرستاني.
أبو المحاسن(ابن تغري بردي): النجوم الزاهرة ٢٢١/٦.

(2) ابن كثير: البداية والنهاية ٧٨/١٣ مصدر سابق ذكره.

(3) المقريزي: السلوك ج/١ ق/١ ص ٢٢٣.
ويقول مولده في أحد الربيعين عام ٥٢٠هـ.

سمع من غيره خاصة شيوخ ابن عساكر[١].

ونظراً لعلو كعبه في القضاء والفتيا وحسن اعتقاد الناس فيه درس في المدرسة المجاهدية بدمشق آنذاك. ثم ناب في الحكم عن القاضي شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون ثم ترك النيابة ولزم بيته لعلو سنه.

ولكن عندما عزل الملك العادل الأيوبي قاضي القضاة ابن الزكي ألزم جمال الدين ثانية بقضاء القضاة رغم أنفه وله ٩٢ سنة من العمر. وظل يمارس القضاء إلى جانب التدريس في العزيزية والتقوية التي أخذ تدريسها من ابن الزكي بعد طرده من القضاء أيام العادل الأيوبي. ونظراً لكثرة مشاغله وتعدد وظائفه فغنه أناب فخر الدين بن عساكر عنه في تدريس التقوية[٢].

وقد كانت شخصيته مدار خلاف فمدحه بعض العلماء ودفعه آخرون فمدحه ابن عبد السلام قائلاً:((ما رأيت أحداً أفقه من ابن الحرستاني)) [٣] وقال الحموي كان((ثقة محتاطاً)) [٤] ومدحه أكثر من عرفه.

ومن سوء حظه انه كان في الفترة الموجودة فيها ابن عنين الشاعر الجريء الحاد اللسان فقد هجاه هذا عندما كان نائباً عن شرف الدين ابن أبي عصرون في قضاء الشام قائلاً:

تُباً لحكمك لا حرستا

هل أنت إلا من حَرَستا

بلد تجمع من حـــــرٍ

واستٍ فصار إذن حَرَست[٥]

([1]) الحموي: معجم البلدان ٢٤١/٢.
([2]) ابن كثير: البداية والنهاية ٧٨/٣ مصدر سابق ذكره.
([3]) ابن كثير: البداية والنهاية ٧٨/١٣.
([4]) ابن عنين: ديوانه ص ١٨٥.
([5]) الحموي: معجم البلدان ٢٤١/٢.

وقال كذلك يهجو ابني الحرستاني الملقبين بالصائن والعلاء:

ابنا الحرستاني في لقبيهمـــــا

ضد الذي نُعتابه بين الملا

فَمُهتك الأسرار يُدعى صائناً

والسَّفلهُ السفلاء يُدعى بالعلا[١]

ومهما يكن من أمر فإن جمال الدين الحرستاني كان من أقوم القضاة لا تأخذه في الحق لومة لائم. وكان يجلس للحكم في مدرسته المجاهديـــة وقد منحه السلطان العادل الأيوبي ثقته واحترامه وقــدر القــضاء فــي شخصه وسهر على راحته بدليل أنه أرسل إليه طراحة ومسنده لأجل أنه كان شيخاً مَسِناً بحاجة إلى الراحة.

وكان ابنه عماد الدين يخطب في مسجد دمشق وولي مشيخة الأشرفية وكان ينوب عن والده ويجلس بين يديه بالإضافة إلى وظائفه الأخرى[٢]. ولكن جمال الدين عزل هذا الابن الذي كان يمارس القضاء عنه في حالة غيابه عندما عرف عنه السوء وعدم الاستقامة واستبدله بشمس الدين ابن الشيرازي[٣]، وشمس الدين بن سنا الدولة،وشرف الدين ابن الموصـــلي الحنفي. وكان ابن الشيرازي يجلس تجاهه في شرق الإيوان وشرف الدين الموصلي الحنفي يجلس في محراب المدرسة. ويدلنا هذا علـــى تعـــدد نواب قاضي القضاة وتنوع مذاهبهم[٤].

وعلى العموم بقي جمال الدين يواصل الحكم والقضاء حتى لاقى وجه

([1]) ابن عنين: ديوانه ص ١٨٥.
([2]) ابن كثير: البداية والنهاية ٧٨/١٣.
([3]) المصدر السابق ذكره.
([4]) المصدر السابق ذكره.

ربه راضياً مرضياً يوم السبت/ ٤ ذي الحجة/ عام ٦١٤هـ، وله من العمر ٩٥ سنة[١].

الخامس: الكمال ابن الحرستاني:

هو عبد الجبار بن عبد الغني بن علي بن أبي الفضل بن علي بن عبد الواحد بن عبد اللطيف الأنصاري، كمال الدين أبو محمد بن الحرستاني المولود عام ٥٤٩هـ. والمتوفى عام ٦٢٤هـ. وتتلمذ على عدة مشايخ أشهرهم أبو سعد بن أبي عصرون كما أجاز له الخطيب الموصلي. وبلغ شأوا متقدماً من العلم ومارس عملية التدريس في الكلاسة والأكزية بدمشق[٢].

السادس: عبد الكريم الحرستاني:

وهو من آل الحرستاتي المشهورين بالعلم والقضاء وتفقه على المذهب الشافعي وقد ناب عن شرف الدين بن أبي عصرون في إلقاء دروسه بالزاوية الغربية من الجامع الأموي بدمشق. ثم أضاف إليه ابن أبي عصرون التدريس بالمدرسة الأمينية أيضاً. وما هذا إلاّ لعلو شأنه وشرف نفسه. ولا يعقل أن ينوب عن شرف الدين ابن أبي عصرون دون أن يأخذ عنه[٣]. وقد

([1]) الذهبي: دول الإسلام ١١٧/٢ لم يذكر الشهر وذكر عمره ٩٤ سنة.
المقريزي: السلوك ج١م ق١ ص٢٢٣.
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٢٠/٦ اكتفى بذكر السنة فقط ونقل عن الذهبي ٢٢١/٦ قائلاً في ذي الحجة وله ٩٤ سنة.

([2]) الأسنوي: طبقات ٥٤٧/١.
المقريزي: السلوك ج١/ ق/٢ ص ٢٧٣.
أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٣٠١/٦.
ابن طولون: قضاة دمشق ص ٦٨.

([3]) النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٢٠٣/١.

عاش في الفترة ما بين عامي ٥١٧-٥٦١هـ[١]، وهو أخو جمال الدين عبد الصمد المار ذكره[٢].

السابع: شمس الدين بن سنا (سنى) الدولة:

هو قاضي القضاة شمس الدين أبو البركات، يحيى بن هبه الله بن الحسن بن يحيى بن محمد التغلبي الدمشقي الشافعي المعروف بابن سَنى الدولة وهو لقب جده الحسن[٣].

ولد شمس الدين أبو البركات عام ٥٥٢هـ[٤]، وتفقه على ابن أبي عصرون شرف الدين عبد الله، والقطب النيسابوري، وسمع من جماعة

([1]) المصدر السابق ذكره نفسه.

([2]) المصدر السابق ذكره نفسه.

([3]) الذهبي: دول الإسلام ١٤٠/٢.
الذهبي: العبر في خبر من غبر ١٤٧/٥.
ابن كثير: البداية والنهاية ١٥١/١٣ وقال ابن بركات وليس أبو بركات.
الحنبلي:(مجير الدين أبو اليمن): الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ١٢٠/٢.
النعيم: الدارس ١٦٠/١.

([4]) الذهبي: العبر ١٤٧/٥.
الأسنوي: طبقات الشافعية ٥٤٧/١.
النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ١٦٠/١.
الحنبلي (مجير الدين): الأنس الجليل ١٢٠/٢ وهو يخالف غيره في أن مولد شمس الدين كان عام ٥٠٢هـ والصحيح ٥٥٢هـ لأن المصادر تقول أنه مات عام ٦٣٥هـ وله ثلاثاً وثمانون عاماً.
انظر: الذهبي: دول الإسلام ١٤٠/٢.
ابن كثير: البداية والنهاية ١٥١/١٣.

منهم أحمد بن الموازيني[١].

وقد شغل عدة مناصب علمية وقضائية واشتهر عدله ومن مناصبه القضائية: قضاء القدس من قبل قاضي القضاة محي الدين أبي المعالي محمد بن الزكي عام ٥٩٨هـ. ثم قضاء القدس أيضاً من قبل قاضي القضاة زكي الدين أبي العباس طاهر القرشي عام ٦٠١هـ ثم ولي قضاء دمشق بعد ذلك[٢].

وحدَّث ف يكل من مكة والقدس وحمص وغيرها من المدن[٣]. وقد نال التقدير والاحترام من الجميع نظراً لمواقفه العادلة وفتياه الحقة. ونقل ابن كثير على لسان الملك الأشرف موسى قوله((ما ولي دمشق مثله)) وهذا تعبير عن الحب ودليل على قدره وتمكنه من القضاء[٤].

وقال عنه الحنبلي[٥]: ((وكان إماماً فاضلاً مهيباً جليلاً)). ولم ينْسَ ابن تغري بردي أن ينقل أنه كان إماماً فقيهاً فاضلاً حافظاً للقوانين الشرعية[٦].

وفي مثل هذا المعنى قال الأسنوي[٧]، أنه كان إماماً فاضلاً مهيباً حسن

([1]) الذهبي: المصدر السابق نفسه.
الأسنوي: المصدر السابق نفسه.
الحنبلي: المصدر السابق نفسه.
ابن طولون: قضاة دمشق ص ٦٨.

([2]) ابن كثير: البداية ١٥١/١٣.
ابن طولون: المصدر السابق ذكره.

([3]) الحنبلي وابن طولون: المصدران السابقان نفسهما.

([4]) ابن كثير: البداية والنهاية ١٥١/١٣ مصدر سابق.

([5]) الحنبلي: الأنس الجليل ١٠١/٢.

([6]) أبو المحاسن ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣٠١/٦.

([7]) الأسنوي: طبقات الشافعية ٥٤٧/١ مصدر سابق.

السيرة.

وبعد فإن شخصية هذه أوصافها لاشك في أنها بلغت مركزاً مرموقـاً في ميدان القضاء والفتيا، الأمر الذي نالت به استحسان أفراد المجتمع فما أحوجنا إلى شخصيات قضائية الآن تحمل نفس المبـادئ وتتـوخى العدل والدقة في استصدار الأحكام مع الاستقامة في إمضائها.

ويضيف الأسنوي إلى ما سبق أن بني سنا الدولة اشتهروا من قبـل بأولاد الخياط الشاعر المشهور. وشمس الدين هذا هو والد قاضي القضاة صدر الدين، أحمد بن يحيى بن سنى الدولة المشهور[١].

وظل شمس الدين يواصل مسيرته في القضاء والحكم إلى أن انتهـى اجله يوم الحد السادس من ذي القعدة عام ٦٣٥هـ[٢].

الثامن: شمس الدين أبو الفتوح بن المنجا:

ذكر النعيمي في الدارس أن القاضي شمس الدين أبا الفتوح، عمر بن

([1]) المصدر السابق نفسه.

([2]) الذهبي: العبر في خبر من غبر ١٤٧/٥ توفي في ذي القعدة ٦٣٥هـ.
الذهبي: دول الإسلام ١٤٠/٢ توفي في ذي القعدة ٦٣٥هـ.
ابن كثير: البداية والنهاية ١٥١/١٣ الوفاة يوم الأحد ٦ ذو القعدة عام ٦٣٥هـ.
النعيمي: الدارس ١٦٠/١ الوفاة في ذي القعدة ٦٣٥هـ.
الحنبلي: الأنس الجليل ١٢٠/٢ يقول الوفاة في ذي القعدة ٦٣٥هـ.
المقريزي: السلوك ج١ ق١ ص ٢٧٣ يقول الوفاة ٥ ذو القعدة ٦٣٥هـ والظاهر أنه نقل عن الأسنوي.
ابن تغري بردي(أبو المحاسن): النجوم الزاهرة ٣٠١/٦ الوفاة في ذي القعدة ٦٣٥هـ.
ابن طولون: قضاة دمشق ص ٦٨ ويقول الأحد ٦ذي القعدة ٦٣٥هـ.

القاضي وجيه الدين أسعد في المنجا، قد سمع القاضي عبد الله أبا سعد ابن أبي عصرون. وكان يدرس في المدرسة المسمارية بدمشق. وعاش في الفترة ما بين ٥٥٧-٦٤١هـ[١].

التاسع: شمس الدين أبو نصر الشيررازي:

هو قاضي القضاة شمس الدين أبو نصر محمد بن الفقيه البارع الصالح الرئيس هبة الله بن محمد بن هبة الله بن يحيى بن بندار بن جميل الشيرازي الدمشقي المولود في ذي القعدة عام ٥٤٩هـ[٢].

تفقه شمس الدين على عدة مشايخ مشهود لهم بالفضل منهم القاضي شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون والقطب النيسابوري. وسمع على ابن عساكر وناب في الحكم سنتين.

وكان شمس الدين عالماً في الفقه خست الأخلاق عالي الهمة ويعرف طرفاً من الأخبار وأيام العرب والأسفار لا بأس به[٣].

وتوفي شمس الدين ليلة الخميس الثالث من جمادى الآخرة عام ٦٣٥هـ، ودفن بفسح قاسيون بدمشق[٤].

([1]) ابن كثير: البداية ١٦٣/٣ ويضيف إلى ما ذكرناه في المتن أعلاه أن ابن أبي المنجي التنوخي المعري الحنبلي قاضي حران قديماً، كانت وفاته في ٧ ربيع أول ٦٤١هـ ومن هنا يظهر التسامح الذهبي.
ابن تغري بردي(أبو المحاسن): النجوم الزاهرة ٣٤٩/٦ يقول الوفاة ٦٤١هـ وله من العمر أربعة وثمانون عاماً.
النعيمي: الدارس ١١٦/١، ١١٧/٢.

([2]) ابن طولون: قضاة دمشق ص ٦٨-٦٩.

([3]) المصدر السابق نفسه.

([4]) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣٠٢/٦ ويقول توفي في جمادى الآخرة ٦٣٥هـ وله ست وثمانون عاماً.

العاشر: ابن الجميزي:

بهاء الدين أبو الحسن علي بن أبي الفضايل هبة الله بن سلامة اللخمي الشهير بابن الجميزي[١]، المصري الشافعي الخطيب أحد الأعلام الأفذاذ[٢].

ولد بهاء الدين في مصر عام ٥٥٩هـ، وحفظ القرآن صغيراً وهو ابن عشر سنوات. ورحل أبوه فسمع بدمشق من الحافظ ابن عساكر((صحيح البخاري)) والقراءات على شرف الدين عبد الله بت أبي عصرون، واشتغل عليه كذلك في الفقه وسمع عليه أموراً عدة منها:

((المهذب)) بسماعه على الفارقي من المصنف، و((الوسيط)) و((الوجيز)) للواحدي. ونظراً لعلو مكانته وطيب سمعته وإخلاصه في تحصيل العلم وتعليمه ألبسه ابن أبي عصرون الطيلسان على عادة أفذاذ العلماء، وكتب له خطبة بخطه بمجده فيها ويعلن أنه قد مَيَّزه من غيره بالطيلسان دون تلاميذه الكثر[٣].

ولم يكتف ابن الجميزي بدمشق مكاناً لارتشاف العلم بل تركها وتوجه إلى بغداد. وهناك قرأ بالعشر على أبي الحسن علي بن المرحب البطايحي، وعلى أبي بكر المزرفي وشُهده[٤]. وتفقه كذلك فيهما على القاضي العراقي شارح

(1) الذهبي: العبر في خبر من غبر ٢٠٣/٥.
الأسنوي: طبقات الشافعية ٣٧٧/١ز

(2) الذهبي: معرفة القراء الكبار ٥١٨/٢.

(3) الأسنوي: طبقات الشافعية ٣٧٧/١.

(4) الذهبي: معرفة القراء الكبار ٥١٩/٢.
الأسنوي: طبقات الشافعية ٣٧٧/١ المصدر السابق نفسه.
ولم يقل أنه قرأ على المزرفي. وفي الواقع توفي المزرفي عام ٥٢٧هـ فكيف يكون قد قرأ عليه إلا أن يكون بالروايات أو أنه يقول عن ابن أبي عصرون.

المهذب والشهاب والطوسي[1]. وكان قد سمع في الإسكندرية من السلفي وقرأ بالروايات على الشاطبي.

ويتعجب الذهبي من القراء كيف لا يزدحمون على باب الشيخ بهاء الدين لأنه كان أعلى أهل زمانه علماً وإسناداً في القراءات. ثم يزيل الذهبي هذا العجب والغموض الذي اعترض على مخيلته فيقول: ((فلعله كان المانع من جهته)) [2].

ومهما يكن من أمر فقد تفرد الشيخ بهاء الدين في زمانه وأصبح كذلك علماً مشهوداً له بحسن الأخلاق والتقدير ويفد إليه الطلبة ودرَّس وأفتى وانتهت إليه مشيخة العلم في مصر جميعها. ونال الحظوة لدى لملك الصالح نجم الدين أيوب.

وذهب بهاء الدين للحج وقبل الهدية من صاحب اليمن الذي لم يكن على اتفاق تام مع الصالح نجم الدين أيوب ولم يكن له الود، الأمر الذي أغضبه على بهاء الدين فأعرض عنه وساءت علاقته به[3].

وظل بهاء الدين يواصل مسيرة التدريس والفتيا حتى انتقل إلى جوار ربه في ٢٤/ذي الحجة/ عام ٦٤٩هـ[4].

([1]) الأسنوي: المصدر السابق نفسه.
([2]) الذهبي: معرفة القراء الكبار ٥١٩/٢.
([3]) ابن تغري بردي(أبو المحاسن): النجوم الزاهرة ٢٤/٧.
([4]) الذهبي: العبر في خبر من غبر ٢٠٣/٥.
الذهبي: معرفة القراء الكبار المصدر السابق ٥١٩/٢.
الذهبي: دول الإسلام ١٥٦/٢ دون تحديد اليوم والشهر.
الأسنوي: طبقات الشافعية ٣٧٧/١.
المقريزي: السلوك ج١/ق٢ ص ٣٨٢.
ابن تغري بردي(أبو المحاسن): النجوم الزاهرة ٢٤/٧ لم يذكر اليوم والتاريخ.

وقد ذكر العبدري في رحلته، حكاية تتلمذ ابن الجميزي على يدي الإمـــام شرف الدين أبو سعد عبد الله بن أبي عصرون، وقد نعتــه ابــن أبــي عصرون بالإمام شرف الدين مفتي العراقين شيخ المــذاهب[١]. وذلــك عندما قابل العبدري ابن الجميزي أثناء رحلته إلى المشرق.

الحادي عشر: الصلاح، والد تقي الدين ابن الصلاح:

هو أبو القاسم، صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمـــان، والـــد الفقيــه المشهور تقي الدين ابن الصلاح. وكان فقيهاً مشهوراً كابنه.

ولد عبد الرحمن بن عثمان عام ٥٣٩هـــ تقديراً وتوفي في ذي القعدة عام ٦١٨هـــ، ودفن في تربة الشيخ علي بن محمد الفارسي خارج بـــاب الأربعين في حلب[٢].

وقد اشتغل في حياته مدرساً، فدرس في المدرسة الأسدية بحلب وذلك بعد أن أخذ قسطاً وافراً من العلوم أثناء ذهابه إلى بغداد ونهله من معينها الذي لا ينضب ودرسه على أفاضل فقهائها وأشهر أساتذتها ثم منها على حلب.

ولم يركن صلاح الدين إلى الدعة والسكون بل ظل يرتحل طلباً للعلم ويأخذ عن كل من يلقاه ما هو بحاجة إليه. وأشهر من اخذ عنهم الإمـــام شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون[٣].

وكان الصلاح سبب نبوغ ولده الشهير تقي الدين فكان أستاذه الأول، ثم رحل به إلى الموصل وهناك نبغ ابن الصلاح وأعاد درس ابن يونس ثم

---

(1) العبدري: رحلة العبدري(الرحلة المغربية) تحقيق محمد الفاسي ص ١٣٣.
(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢٤٤/٣-٢٤٥.
الطباخ الحلبي: أعلام النبلاء ٣٩٦/٤.
(3) ابن خلكان: المصدر السابق نفسه.

ارتحل به والده إلى خراسان فالشام فالقدس وغيرها فذاع صيته واشتهر[١]. وقد نقل تقي الدين عن والده ((نكته على المهذب)) واستفاد منه كثيراً[٢].

ولا شك في أن تقي الدين عثمان ابن الصلاح قد أخذ عن شرف الدين بن أبي عصرون ولو عن طريق والده.

ومهما يكن من أمرٍ، فإن تقي الدين عثمان كان يكن الحب والتقدير لشرف الدين عبد الله بن أبي عصرون. وكان يدافع عنه كثيراً ويعترف بفضله على والده وقد وصفه بأنه كان من أفقه أهل عصره وإليه المنتهى في الفتاوي والأحكام وتفقه به خلق كثير[٣].

الثاني عشر: فخر الدين ابن عساكر:

هو أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي الملقب فخر الدين والمعروف بابن عساكر الفقيه الشافعي[٤].

تفقه على الشيخ قطب الدين أبي المعالي مسعود النيسابوري. ولقي منه كل محبة وتقديراً نظراً لنباهته، الأمر الذي جعل النيسابوري يزوجه بنته[٥]. وأخذ الفقه كذلك عن شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون وغدا أكبر.

---

(1) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٢٢١/٥.
(2) الأسنوي: طبقات الشافعية ١٣٤/٢.
الطباخ الحلبي: المصدر السابق نفسه.
(3) العدوي(القاضي محمود): كتاب الزيارات بدمشق ص٧١.
(4) ابن خلكان: وفيات الأعيان ١٣٥/٣.
ابن تغريب بردي(أبو المحاسن) النجوم الزاهرة ٢٥٦/٦.
(5) ابن خلكان: وفيات الأعيان المصدر السابق ذكره.

تلاميذه وأنجبهم في الفقه وفروعه[١].

ولما حصّل قدراً كبيراً من الفقه وعلا صيته تصدى لعملية التـــدريس واستقل بنفسه عن مشايخه ودرَّس بالقدس ودمشق وأصبح شيخاً كبيـــراً تخرج عليه الطلبة وقدموا إليه من شتى البقاع الإسلامية[٢].

وفخر الدين هو رأس بيت آل عساكر المشهود لهـــم بـــالعلم والأدب والرئاسة وعلي بن عساكر، أبو القاسم صاحب تاريخ دمشق عمه.

ولد فخر الدين على الظن عام ٥٥٠هـــ وتوفي في العاشر من رجب يوم الأربعاء من عام ٦٢٠هـــ بدمشق[٣].

الثالث عشر: البهاء السنجاري:

هو أسعد بن يحيى بن موسى بن منصور[٤] بن عبد العزيز بن وهب ابن هبان بن سوار بن عبد الله بن ربيع بن ربيعة بـــن هبـــان الـــسلمي السنجاري الفقيه الشافعي[٥].

---

(1) ابن طولون: قضاة دمشق ص٥٠.

(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان المصدر السابق ذكره ١٣٥/٣.
ابن كثير: البداية والنهاية ١٠١/١٣.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان ١٥١/٣.
ابن كثير: البداية والنهاية ١٠١/١٣.
أبو المحاسن(ابن تغري بردي): النجوم الزاهرة ٢٥٦/٦.
وقد ذكر اسمه كاملاً ومفصلاً وأثنى عليه ووصفه بأنه كان:((بارعاً مفتناً مدرساً فقيهاً عالماً محدثاً)).

(4) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢١٤/١.
ابن كثير: البداية والنهاية ١١٠/١٣
ويقول عنه: سعد بن محمد بن موسى.

(5) ابن خلكان: المصدر السابق ذكره نفسه.

والبهاء السنجاري لقبه وكنيته أبو المعالي[1] وقيل أبو السعادات[2]. وأتقن عدة علوم منها الفقه وتكلم في الخلاف وغلب عليه قرض الشعر وأجاد فيه واشتهر. وامتاز البهاء بالظرف ودماثة الخلق، ومدح الملوك ونال جوائزهم[3].

رحل البهاء إلى عدة بلاد طلباً للعلم، شأنه شأن غيره من العلماء المسلمين في الرحلة والاغتراب سعياً وراء عالم مشهور أو محدث معروف، فورد بغداد والموصل. وفي بغداد تفقه على أبي القاسم ابن فضلان والمجير أبي القاسم.

وفي الموصل تفقه على يدي تاج الإسلام أبي عبد الله الحسين بن نصر بن خميس الجهني، والشيخ شرف الدين أبي سعد بن أبي عصرون وأبي الرضى سعيد بن عبد الله الشهرزوري.

تولى البهاء عدة مناصب، فقد تولي القضاء في دنيسر سنتين كما تولي القضاء بغيرها من مدن الجزيرة الفراتية. وقد استلطفه صاحب حماة فاستوزره.

---

(1) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣١٢/٧.

(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢١٤/١ مصدر سابق.
ابن كثير: البداية ١١٠/١٣ مصدر سابق.

(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣١٢/٧ مصدر سابق، وجاء في حاشية ١ ص١١١.
جزء أولك أنه عاش حتى بلغ ٩٠ عاماً وكان لطيفاً خفيف الروح خرج من الموصل عام ٦١٩هـ.
ابن الشعار: عقود الجمان مخطوط ميكروفيلم جامعة الكويت ج/١رقم ١٢٤٣. الأوراق ٢٥٤-٢٦٠/أ، ب.
ويضيف أنه تكلم في الخلاف ومسائله وسمع الحديث على القاضي أبي الفرج عبد القاهر بن نصر بن أسد بن غياث بن عيسون، وطاف بلاد الشام كلها ومدح ملوكها ونال جوائزهم.

وميزه عن أقرانه لظرفه وذكائه وخفة دمه وحلو كلامه.

وظل البهاء السنجاري يمارس مهام عمله ونشاطه العلمي بروح لا تعرف الكلل والملل إلى جانب النشاط السياسي حتى وافته منيته أوائل عام ٦٢٢هـ وكان مولده عام ٥٣٣هـ[١].

الرابع عشر: أبن الدهان الحمصي:

هو أبو الفرج عبد الله بن أسعد بن علي بن عيسى بن علي المعروف بابن الدهان الموصلي، وبالحمصي أيضاً، الفقيه الشافعي المنعوت بالمهذب[٢].

وكان فقيهاً فاضلاً أديباً شاعراً لطيف الشعر مليح النظم تنقل ما بين الموصل ومصر ودمشق وحمص[٣]. وتولى آخر الأمر التدريس في حمص وظل بها إلى أن مات[٤]. ومما درّسه علوم الشريعة والعربية ومن هنا لحقه لقب الحمصي[٥].

([1]) ابن الشعار: عقود الجمان مخطوط ميكروفيلم جامعة الكويت رقم ١٢٤٣ الأوراق ٢٥٤/ب، ٢٢٥أ،ب، ٢٥٦أ،ب، ٢٦٠/أ، ب.ويقول: توفي أوائل المحرم ٦٢٤هـ. وولد في ١١ جمادى الأولى ٥٣٣هـ.
ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢١٧/١، ٣١٢/٧ ونقل كلام ابن الشعار من انه توفي عام ٦٢٤هـ.
ابن كثير: البداية والنهاية ١١٠/١٣ ويؤيد كلام ابن خلكان وكما يبدو فإنه نقل عنه.

([2]) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥٦/٣.
ابن كثير: البداية والنهاية ٣١٧/١٢.
ابن تغري بردي(أبو المحاسن): ١٠٠/٦ باختصار.

([3]) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥٨/٣.

([4]) القفطي: أنباه الرواة ١٠٤/٢.

([5]) ابن الدهان: ديوان ابن الدهان ص ٩.

وكان في غداوته إلى دمشق يصحب عبد الله بن أبي عصرون ويتردد إلى دروس وسمع منه صحيح مسلم والوسيط في التفسير للواحدي[١].

ولا يعقل أن يصحب ابن الدهان عبد الله بن أبي عصرون دون أن يأخذ منه ما هو بحاجة إليه من الفقه وغيره. ويصبح من تلاميذه.

وعلى العموم ظل ابن الدهان يتولى أمر التدريس بحمص ومدارسها ويستزيد من العلم أنى وجده حتى انتقل إلى رحمة ربه في شعبان عام ٥٨١هـ، وقيل ٥٨٢هـ[٢]، وكان مولده عام ٥٢١هـ تقديراً وظناً[٣].

وقد أخلص ابن الدهان في صحبته للإمام شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون وكان دائماً يقدره ويحترمه، ويجله ويزوره كثيراً، مما يبرهن لنا أنه تتلمذ عليه. ولما مات شهاب الدين ابن عبد الله بن أبي عصرون رثاه بقصائد شعرية معبرة تنم عن إحساس عميق بتقدير الصداقة والصحبة. وسنعرض لبعض منها عند الكلام عن ابن أبي عصرون في الميزان بين محبيه ومبغضيه إن شاء الله[٤].

---

(1) المصدر السابق نفسه.
(2) ابن الدهان: ديوان ص ٩.
القفطي: أنباه الرواة ١٠٤/٢ وما بعدها.
ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦٠/٣.
ابن كثير: البداية والنهاية ٣١٧/١٢.
ابن تغري بردي(أبو المحاسن): النجوم الزاهرة ١٠٠/٦ مصدر سابق.
(3) ابن الدهان: ديوان المصدر السابق نفسه.
(4) ابن الدهان: ديوانه ص ١٠٧/١٠٨، ١٣٨- ١٤١.

الخامس عشر: ابن البوري:

هو أبو القاسم هبة الله بن معد بن عبد الكريم القرشي الدمياطي المعروف بابن البوري نسبة إلى بورة قرية قرب دمياط. رحل ابن البوري شأنه شان غيره من علماء المسلمين طلباً للعلم إلى العواصم الإسلامية المزدهرة علمياً فرحل إلى كعبة العلم إلى بغداد وتفقه هناك على يدي ابن الخل شارح التنبيه، ثم إلى دمشق وتفقه هناك على الإمام شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون.

وانتهى به المطاف أخيراً إلى استيطان الإسكندرية وقد مارس فيها مهنة التدريس فدَرّس بالمدرسة السلفية، المنسوبة إلى الحافظ السلفي المشهور أحياناً وأحياناً أخرى إلى ابن البوري نفسه. وظل في الإسكندرية يفتي ويدرس مدة حتى وافاه الأجل المحتوم عام ٥٩٩هـ[١].

السادس عشر: أبو الكرم المراغي:

عاش أبو الكرم عبد الكريم بن يعقوب بن يوسف بن رستم المراغي الراشتا لقلقي (قرية من أعمال مراغة) [٢] في القرنين السادس والسابع الهجريين. وقد أجاز لهُ عدة مشايخ وممن أجازه الإمام شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون فيكون بذلك قد تتلمذ عليه بشكل أو بآخر[٣].

([1]) الأسنوي: طبقات الشافعية ٢٧٠/١.

([2]) ابن المستوفي: تاريخ اربل، القسم الأول ص ٢٤٣-٢٤٤.

ويقول محقق تاريخ اربل سامي الصغار ربما تكون رالشتا لقلقي تصحيفاً((لراشتا قلعة)) وهي قرية بأذربيجان على فرسخين من تبريز عند تل عليه قبر يزعمون انه قبر الأحنف بن قيس (نقلاً عن الهروي).

([3]) المصدر السابق نفسه.

وممن تتلمذ على ابن أبي عصرون وأعطاه إجازة المؤرخ الحافظ ابن الدبيثي أثناء قُدوم ابن أبي عصرون رسولاً إلى بغداد[١].

السابع عشر: صديق بن رمضان:

هو صديق بن رمضان بن علي بن عبد الله أبو الفضل وأبـو بكـر الدمشقي الصوفي نزيل حلب والمولود عام ٥٧٢هـ. سمع من جماعـة عدة أشهرهم عبد الله بن أبي عصرون ويحيى الثقفي.

ويجب أن ننبه هنا إلى أنه سمع ابن أبي عصرون في مقتبل العمـر حيث ولد صديق عام ٥٧٢هـ، وتوفي عبد الله بن أبي عـصرون عـام ٥٨٥هـ. أي عندما كان عمر صديق ١٣ سنة.

وروى عن صديق بعد أن بلغ شأناً كبيراً في العلم جماعة كثيـرون أهمهم ابن الظاهري والدمياطي وإسحق النحاس. وظل صديق يواصـل مسيرته العلمية حتى توفى في السادس والعـشرين مـن شـوال عـام ٦٤٧هـ[٢].

الثامن عشر: ابن البراذعي:

هو صفي الدين أبو البركات عمر بن عبد الوهاب القرشي الدمـشقي العدل. وروى عن ابن عساكر وأبي سعد بن أبي عصرون. ولقي حتفـه في ربيع الآخر عام ٦٤٧هـ[٣].

([1]) ابن المستوفي: تاريخ اربل القسم الثاني ص ٤١٧.
([2]) الطباخ الحلبي: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ٤٢٧/٤.
([3]) الذهبي: العبر في خبر من غبر ١٩٤/٥.
ابن تغري بردي(أبو المحاسن): النجوم الزاهرة ٣٦٣/٦.

التاسع عشر:ابن عرق الموت:

هو أبو بكر محمد بن فتوح بن خلوق بن خلف بن فضال الهمذاني الإسكندراني، من جماعة وأجاز له أبو سعد بن أبي عصرون وتفرد عن جماعة، وتوفى في جمادى الأولى عام ٦٦٠هـ(١).

العشرون: أبن الرفاء:

هو أبن عبد المحسن والد شيخ الشيوخ شرف الدين محمد بن عبد المحسن بن محمد بن بن منصور خلف القاضي الفقيه زين الدين أبو عبد الله الأنصاري الأوسي الكفرطابي الأصل الدمشقي المولد الشافعي المذهب المعروف بابن الرفاء(٢).

وذكر شرف الدين عبد العزيز عن والده زين الدين أنه تفقه على مشايخ عصره وحفظ القرآن في الصغر على شيخه صالح المقري وتأدب على يوسف البوني ثم على الشيخ عبد المنعم الغاني الأندلسي، ثم تاج الدين الكندي أبو اليمن(٣).

ووتفقه ابن الرفاء على شرف الدين أبي سعد عبد الله بن أبي عصرون ثم على ضياء الدين الدولعي تلميذ أبي سعد ابن أبي عصرون واشتهر بالأدب وقرض الشعر وظل كذلك حتى وفاته في رمضان من عام ٦١٦هـ(٤).

الحادي والعشرون: العماد الأصفهاني:

العماد الأصفهاني، صاحب جريدة القصر وجريدة العصر، والذي

---

(1) الذهبي: العبر في خبر من غبر ٢٦٢/٥.
(2) الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٦/٤ ترجمة ١٤٨١.
(3) الصفدي: المصدر السابق ٢٨/٤.
(4) الصفدي: المصدر السابق ٢٦/٤، ٢٨.

اشتهر بالكاتب زمن الزنكيين وصلاح الدين. وله عدة مؤلفات منها: ((الفتح القسي في الفتح القدسي)) و((البرق الشامي)) و((تاريخ السلاجقة)) وقد اختصر أبو الفتح محمد البنداري تلميذه كتبه فسمى مختصر البرق الشامي ب((سنا البرق الشامي)) وتاريخ السلاجقة سماه تاريخ دولة آل سلجوق)). ذكر أنه حضر عند شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون وقرأ مصنفاته المذهبية عليه واستفاد منها واخذ عنه.

وعلى هذا فيكون العماد الأصفهاني أحد تلاميذ الإمام شرف الدين ابن أبي عصرون(١). وهناك أيضاً شهاب الدين محمد بن يوسف الغزنوي الذي كان يستملي شعر ابن أبي عصرون وينشده(٢).

الثاني والعشرون: البدر الفارقي:

هو يونس بن محمد بن محمد أبو نصر خطيب المزة، سمع الحديث الكثير وتسلم الخطابة بالمزة سنتين وتوفي في رمضان عام ٦٢٩هـ.

سمع الحافظ ابن عساكر وأبا سعد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون، وتفقه على يديه ثم على يدي أبي الفرج يحيى بن محمد الثقفي وغيرهم. وقد وصفه سبط ابن الجوزي بالفصاحة والسخاء والكياسة وانه كان يلازم مجالسه(٣).

الثالث والعشرون: ابن الحميدي:

جاء في ترجمة أبي ياسر محمد بن الحمامي البغدادي المقرئ أنه صنف كتاب((الإيجاز)) في القراءات. وأن أبا بكر المزرفي قرأ به عليه. وأبو بكر المزرفي

---

(1) الأصفهاني: جريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء الشام ٣٥٤/٢.
(2) المصدر السابق ذكره.
(3) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج٨ ق٢ ص ٦٧٥.

هو شيخ عبد الله بن أبي عصرون كما مر.

وقال ابن الحميدي: قرأت بهذا الكتاب على شيخنا ابن أبي عصرون الذي قرأه على أبي ياسر من قبل.

ومن هنا يتبين لنا إن ابن الحميدي قد أصبح تلميذاً لعبد الله بن أبي عصرون في هذا المجال[١]، وروى عنه ابن صصري وأبو نصر الشيرازي وأبو محمد بن قدامه وخلق كثيرون آخرهم العماد أبو بكمر بن عبد الله النحاس[٢].

وبعد فقد قدمنا مجوعة من أشهر تلاميذ الإمام شرف الدين عبد الله بن عصرون، ثبت لنا من خلالها انه أصبح إماماً في الفقه الشافعي وتتلمذ عليه عدد كبيرٌ جداً سقنا مجموعة منهم فقط لندلّل على ما وصل إليه الإمام من علو القدر والمكانية العلمية في حياته.

([1]) الذهبي: معرفة القراء الكبار ٣٧٨/١.
([2]) السبكي: طبقات الشافعية ٣٣/٧.
النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٤٠١/١

الفصل الرابع

مكانة شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون العلمية والسياسية والقضائية

بلغ الإمام شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون مكانة علمية وسياسية مرموقة سواء في عصر نور الدين محمود زنكي أو عصر صلاح الدين لأيوبي،وكان دائماً يعد من كبار رجال الدولة في القضاء والسياسة.

وقد استطاع أن يقيم علاقة ممتازة مع القاضي الفاضل أحد رجال الإدارة الأفذاذ زمن صلاح الدين الأيوبي ومع عماد الدين الأصفهاني الكاتب المشهور صاحب الأسلوب البلاغي، ومع القاضي كمال الدين الشهرزوري الرجل الفذ في القضاء أيام نور الدين وصلاح الدين الأيوبي، ومع الأمراء المشهورين أيام صلاح الدين ونور الدين محمود زنكي من قبله كعيسى الهكاري الذي كان يحب أستاذه الإمام شرف الدين كثيراً، والذي يعد من تلاميذه الأذكياء ولم نشر إليه عند الكلام عن تلاميذ ابن أبي عصرون لنذكره هنا في هذا المجال. وقد كان عيسى الهكاري من الرجال الأقوياء الذين أيدوا تولي الإمام شرف الدين بن أبي عصرون قضاء قضاة الشام عام ٥٧٢هـ كما مر ذكره.

وقد اشتغل الإمام شرف الدين سفيراً مت بين الشام وبغداد[١]، وقام بأعمال شهد له بها الجميع أيام الأزمات في الدولتين النورية والصلاحية، ولعل مرد ذلك كله يعود إلى شخصية بن أبي عصرون المحببة إلى النفوس والمتسلحة بالعلم والسياسة والقضاء.

وقد مر بنا كيف استطاع شرف الدين أن يكون شخصيته العلمية متنقلاً ما بين الموصل وبغداد وحلب آخذاً عن مشايخ العصر وعلمائه متأثراً

([1]) الذهبي: المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي ١٥٩/٢.

بما رأى ومحاولاً التأثير بمقدار ما يستطيع. وقد أكسبته العلوم التي حذقها في الفقه والقراءات والأدب والنحو والأصول والخلافات شيئاً كثيراً في هذا الجانب من جوانب شخصيته أهله لأن يفرض نفسه على الأحداث في المنطقة، بل وأصبح يتمتع بمركز مرموق في القضاء والسياسة

ولعل أهم دليل على هذا أن نور الدين محمود بن زنكي المحب للعلم وأهله قد استدعاه من سنجار حيث كان يقيم وأكرمه وأقام له مجموعة من المدارس في دمشق وحلب وحمص وحماة وبعلبك ومنبج وغيرها ذكرنا أنها عرفت باسم المدارس العصرونية[١].

ثم استمر ابن أبي عصرون يحرك الأحداث بمقدار ما يستطيع واستطاع أن يلتحق بخدمة نور الدين محمود زنكي ويشارك معه في حروبه ومعاركه. وكان على رأس قواته العسكرية المتجهة من حلب إلى السيطرة على دمشق عام ٥٤٩هـ[٢].

ولما سيطر نور الدين على دمشق ودخلتها قواته منتصرة أكرم شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون وفوَّض إليه التدريس في الزاوية الغربية من المسجد الأموي(المدرسة الغزالية). ولم يكتف بهذا العمل بل ولاه نظر الأوقاف لجميع المساجد في مملكته[٣].

---

(1) الطباخ الحلبي: إعلام النبلاء ٢٧٩/٤.
عمر موسى باشا: الأدب في بلاد الشام ص١١٠.

(2) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ١٣٣/٧.
الأسنوي: طبقات الشافعية الصغرى ١٩٤/٢.
ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٢٨٣/٤.

(3) الذهبي: العبر في خبر من غبر ٢٥٦/٤
عبد الصاحب الدجيلي: أعلام العرب في العلوم والفنون ١٣/٢.

ومعنى هذا توطيد العلاقات بين الرجلين. كما أنه يدلنا على مقدار الثقة التي نالها شرف الجدين والمكانة التي وصل إليها. ولكتن ابن أبي عصرون سرعان ما عاد إلى حلب، وليس معنى هذا أن علاقته قد ساءت بمحمود نور الدين زنكي أو اعتراها الوهن أو ضعفت، ولكنها ظلت متميزة عن غيرها. بدليل أن شرف الدين استطاع بعدها أن يدخل إلى مكامن نفس زنكي وأصبح يقوم بعمل المستشار لديه. وقد مارس هذا العمل فعلاً أثناء ذهاب نور الدين محمود زنكي عام ٥٦٦هـ على رأس قواته لإخضاع الموصل بلد ابن أخيه السلطان سيف الدين غازي الثاني.

وكانت أوضاع الموصل في تلك الفترة غير مطمئنة لنور الدين محمود الذي يقارع العدو الصليبي، والسبب أن شخصية سيف الدين غازي الثاني كانت في أوائل ولايته ضعيفة أمام نائبه فخر الدين عبد المسيح الذي أسلم ظاهرياً ولم يحسن إسلامه بل قيل انه يهودي، في بيته كنيس يتعبد فيه. وما إسلامه إلاّ ظاهرياً ليستطيع أن يتوصل إلى الحكم.

واستطاع أن يسيطر على سيف الدين غازي الثاني ويتحكم بأمور الموصل باسمه حتى أن ابن الأثير[1] نعت سيف الدين بأنه لم يملك من الحكم شيئاً فالحاكم هو فخر الدين عبد المسيح.

ولما دخل نور الدين محمود الموصل عام ٥٦٦هـ أذعن فخر الدين وطلب الأمان والصلح ليحفظ ماء وجهه ولعله يستطيع ود نور الدين محمود والمهم هنا أن نور الدين محمود لم يوقع وثيقة الصلح إلا بعد أن نظر بها شرف الدين بن أبي عصرون ومدحها قائلاً:((نسخة جيدة)) عندئذٍ أمضاها نور

([1]) ابن الأثير: الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية في الموصل ص ١٤٦.
ابن الأثير: الكامل ٣٦٢/١١.

الدين محمود وحلف اليمين وتعهد باستمرار الصلح مع الموصل[١]. وما حكامها إلا أبناء أخيه وتعتبر الموصل رديفاً لنور الدين في صراعه مع العدو الصليبي تمده بالمال والرجال والسلاح متى أراد.

ثم إن شرف الدين بن أبي عصرون كان رسول نور الدين زنكي عام ٥٦٦هـ إلى بغداد ليرفع التهاني والتبريكات إلى مقام المستضيء العباسي ويعلن له أن الخطبة باسمه جارٍ العمل بها في البلاد التي يسيطر عليها نور الدين محمود بن زنكي، وكان من المقرر أن يذهب عماد الدين الأصفهاني ليقوم بهذه المهمة ولكنه أحجم عن السفر عندما أعلن شرف الدين بن أبي عصرون رغبته في السفر مما جعل الأصفهاني وغيره يباركون رغبته في الذهاب إلى بغداد، وما هذا إلا دلالة على مدى الاحترام والتقدير الذين يتمتع بهما شرف الدين ابن أبي عصرون من قبل نور الدين محمود وكبار رجال دولته وأمرائه.

ثم إن ثقة نور الدين كانت مطلقة بشرف الدين بن أبي عصرون فقد عهد إليه بعد إخضاع الجزيرة والموصل إلى نفوذه عام ٥٦٦هـ بان يتولى شؤون القضاء في سنجار ونصيبين والخابور وحران وغيرها إكراماً له وعرافناً بجميله فقبل شرف الدين هذه الولاية وأناب عنه في تلك النواحي[٢]..

وكان لشرف الدين بن أبي عصرون شرف زمن البشرى العظيمة إلى

([1]) البنداري: سنا البرق الشامي ص ٥٤/٥٣.
أبو شامة: كتاب الروضتين ١٩١/١.

([2]) البنداري: سنا البرق الشامي ص ٥٢ مصدر سابق .
أبو شامة: كتاب الروضتين ١٨٩/١ مصدر سابق.
ابن كثير: البداية والنهاية ٢٦٣/١٢ مصدر سابق.
الطباخ الحلبي: أعلام النبلاء ٢٧٩/٤ مرجع سابق.

الخلافة العباسية في بغداد بقيام الخطبة العباسية في القاهرة بعد القضاء على الخلافة الفاطمية هناك على يد صلاح الدين الأيوبي تلميذ نور الدين زنكي عام ٥٦٧هـ وذلك بان كان ولده شهاب الدين أبوة المعالي هو الرسول الموفد على بغداد بالبشرى، وقد وصلها في ٢٢ محرم من عام ٥٦٧هـ[١].

وقد شاهد شهاب الدين أبو المعالي أفراح العباسيين في بغداد كما لاقى كل حفاوة وتكريم واستقبل استقبال الأبطال وأقيمت له القباب وزنيت بغداد وأغلقت الأسواق حتى أن مؤرخ العصر أبي الفرج بن الجوزي صاحب المنتظم قد ألف كتاباً بالمنسابة السعيدة أطلق عليه اسم((النصر على مصر)) [٢].

---

(1) المقريزي: السلوك ج/١ ق١ ص ٦٥.

(2) ابن الجوزي: المنتظم ٢٣٧/١٠.
البنداري: سنا البرق الشامي ص ٦٠(أقوال الأصفهاني) ويشير إلى أن العودة في نفس عام ٥٦٧هـ.
أبو شامة: كتاب الروضتين ١٩٧/١-١٩٨.
ويقول في ص ٢١٥ أن شهاب الدين أبو المعالي قد عاد إلى نور الدين من بغداد عام ٥٦٨هـ. ومعه توقيع من الخليفة بدرب هارون وصريقين وخمسين ديناراً من دنانير النثار النى نثرت يوم دخل الشهاب إلى بغداد بالبشارة وإن وزن كل دينار يساوي عشرة دنانير ويقول أيضاً في ٨٤/١.
إن شرف الدين بن أبي عصرون والد الشهاب قد سفر إلى بغداد عام ٥٤٥هـ مما يدلنا على أن شرف الدين اشتغل بالسفارة قبل عام ٥٦٦هـ ويدلنا كذلك على اتصاله المبكر بنور الدين.
ابن واصل: مفرج الكروب ٤٧٢/٢.
ابن كثير: البداية والنهاية ٢٦٤/١٢.
المقريزي: السلوك ج/١ ق١ ص ٦٥.
ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية تحقيق محمود زايد بيروت ص ٢٠٣.

وعاد شرف الدين إلى دمشق في ربيع الأول عام ٥٦٧هـ ومعه الخادم صندل موفداً من قبل الخليفة العباسي إلى نور الدين محمود زنكي ومعه الخلع والهدايا(١).

ثم إن نور الدين محمود ثقة منه بعبد الله بن أبي عصرون كان قد عهد له بقضاء مصر بعد أن فتحها نور الدين على يد قائده شيركوه عام ٥٦٤هـ وكان عهده كتابياً(٢).

ويستفاد مما ورد في الكتاب الموجه إلى ابن أبي عصرون إن نور الدين قد عهد إليه لكفاءاه بعد أن خلت مصر من قاضٍ كفء وأنه خاطبه قائلاً:((ولا أقدر أولي أمورها ولا أقلدها إلا لك حتى تبرأ ذمتي عند الله فيجب عليك وفقك الله أن تشمر عن ساق الاجتهاد وتتولى قضاءها وتعمل ما تعلم إنه يقربك إلى الله. وقد برئت ذمتي وأنت تجاوب الله فإذا كنت أنت هناك وولدك أبو المعالي((شهاب الدين الذي ذهب بالسفارة إلى بغداد بعد سقوط الخلافة الفاطمية بالبشارة)) وفقه الله فيطيب قلبي وتبرأ ذمتي وقد كتبت هذا بخطي حتى لا يبقى علي حجة تصل أنت وولدك عندي حتى أسيركم إلى مصر

---

(1) ابن الجوزي: المنتظم ٢٣٧/١٠ وهو أوثق المصادر في اعتقادنا في هذه النقطة لأنه أكثر معاصرة من غيره في بغداد.
البنداري: سنا البرق الشامي ص ٦٢.
أبو شامة: كتاب الروضتين ٢١٥/١.
البنداري قد أسهب في الكيفية التي استقبل بها نور الدين صندل الخادم موفد الخلافة العباسية ويعدد ما أحضره من الهبات والهدايا لنور الدين وصلاح الدين كما يصف مراسم الاستقبال كاملة.
أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ٦٣/٦-٦٤.
ابن قاضي شهبة: الكواكب الذرية ص٢٠٤.

(2) أبو شامة: كتاب الروضتين ١٧٤/١.

والسلام بموافقة صاحبي واتفاق منه صلاح الدين وفقه الله فإنه فيه شاكر كثير كثير كثير(١).

ثم شهدت الفترة التي أعقبت وفاة محمود نور الدين زنكي عام ٥٦٩هـ اضطراب الأمور في دمشق وبلاد الشام جميعها. ووصلت الأمور إلى درجة من التعقيد أورثت المتنازعين ضعفاً عاماً مما شجع الصليبيين ودفعهم إلى مهاجمة دمشق والمدن السورية الأخرى ولم يرتدعوا إلا بعد أن وقعوا صلحاً مع دمشق دفعت بموجبه لهم الأموال الكثيرة.

وما هذا إلاّ سلام مزعوم الهدف من ورائه فرض الاستسلام على المسلمين في بلاد الشام وتركهم تحت رحمة العدو الصليبي الغاشم، الأمر الذي أغضب صلاح الدين الذي بات يملك مقدرات مصر الهائلة ودفعه إلى تهديد أمراء دمشق اللاهين اللاهثين وراء الحلول الاستسلامية وأن يرسل الرسائل إلى بعض الأمراء الذين يعتقد فيهن المقدرة والصلاح لإفشال هذا النمط من الاستسلام والقضاء على هذا النوع من الاتفاقيات الخادعة.

ومن جملة الأشخاص الذين وجه إليهم رسائل بهذا الخصوص شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون. ومما جاء في الكتاب((.... وسيدنا الشيخ أولى من أطلق لسانت\ه الذي تغمد له السيوف وتجرد وقام في سبيل الله قيام من يقطع عادية من تعدى وتمرد)) (٢).

وهذا لاشك فيه أمل بإمكانية القضاء على اتفاق أمراء دمشق مع الصليبيين وإن شرف الدين بن أبي عصرون خير من يستطيع العمل على إفشال هذا الاتفاق لاستقامته وقوة لسانه وجرأته التي لا تعرف في الحق لومة

---

(1) أبو شامة: كتاب الروضتين ١٤٧٤/١.

(2) أبو شامة: كتاب الروضتين ٢٣١/١.

لائم. وما هذا التكليف إلاّ لأن صلاح الدين كان متأكداً من هذا ولكنه يعجب لسكوت عبد الله بن أبي عصرون ويدفعه هنا إلى ممارسة دوره أمام الأمراء المخدوعين بالسلم الزائف في دمشق ويعول عليه كثيراً.

ثم تقدم صلاح الدين على رأس قواته بعد أن وطد الأمن في ربوع مصر إلى بلاد الشام ودخل دمشق دون مقاومة تذكر وبسط سلطانه وسيادته على المدينة بسهولة ويسر. ثم تقدم إلى غيرها من المدن والمواقع.

وحتى عام ٥٧٢هـ كان صلاح الدين قد سيطر على مساحة كبيرة من بلاد الشام ووسع ملكه على حساب الزنكيين هناك، فما كان من شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون إلاّ أن قدم إلى دمشق والتقى بصلاح الدين فيها، فأحسن إليه لما كان بينهما من الود والاحترام منذ أيام نور الدين زنكي.

ثم جرت عدة تطورات في المنطقة أسفرت في النهاية عن استقالة قاضي قضاة الشام ضياء الدين الشهرزوري الذي خلف عمه كمال الدين الشهرزوري في نفس العام الذي مات فيه كمال الدين حيث عمل كل من عيسى الهكاري أحج أمراء صلاح الدين والقاضي الفاضل ومن لف لفهما على الإيقاع بضياء الدين وأجبروه على الاستقالة ففوض أمر القضاء إلى شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون[١].

ويجب أن ننوه هنا إلى أن صلاح الدين قد فوّض الحكم والإنفاذ والإمضاء إلى شرف الدين بن أبي عصرون على أن يتولى محي الدين بن الزكي النيابة له[٢].

والمهم بعد حوالي مدة قصيرة ذهب بصر شرف الدين عبد الله وأصيب

---

(1) أبو شامة: كتاب الروضتين ٢٦٣/١.
(2) المصدر السابق نفسه.

بالعمى، ويقول الأصفهاني:((فلما عدنا إلى الشام(من مصر) تكلم الناس في ذهاب نور عينيه((عينا شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون)) وانه لا يقوم في القضاء بورده وصدره ففوض السلطان القضاء بالإشارة الفاضلية إلى ابنه محيي الدين أبي حامد محمد، كأنه نائب عن أبيه وزلا يظهر للناس صرفه عهما هو متوليه)).

إن مسالة توليه شرف الدين ابن أبي عصرون لقضاة سنة ٥٧٢هـ تكشف لنا عن كثرة رصيد ابن أبي عصرون لدى صلاح الدين وكبار رجال دولته كالقاضي الفاضل وعيسى الهكاري وغيرهما.

ثم إن صلابة شرف الدين وتقدير الناس له وعلى رأسهم صلاح الدين الأيوبي حاكم البلاد والقاضي الفاضل حالا دون عزله عن منصب القضاء بعد أن ذهب بصره بل جعلا ابنه محي الدين محمد نائباً عنه مع بقائه في منصبه وبقي الحكم الحقيقي له وما ابنه إلا ستار أمام الناس[١].

ومهما يكن فظل ابن أبي عصرون يتمتع بمركز مرموق رغم إصابته بالعمى.. فيروي الأصفهاني[٢] أن ابن أبي عصرون صحب صلاح الدين في

(1) أبو شامة: كتاب الروضتين ٢٦٣/١.

(2) أبو شامة: كتاب الروضتين ٨٢/٢.

ويصف الغنائم وبيع الأسرى وكيف أن رجلاً وامرأته وأولاده ثلاثة بنين وبنتان بيعوا جميعاً بثمانين ديناراً فقط. وبيع واحد من الأسرى بنعل.

الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي ص ٣٥٥.

سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج/٨ ص ٣٩٤.

أبو شامة: كتاب الروضتين ١٥٠/٢.

الحنبلي(أحمد بن إبراهيم): شفاء القلوب في مناقب بني أيوب. تحقيق ناظم رشيد العراق. وزارة الثقافة ١٩٧٨ ص ١٢١-١٢٢.
=

موقعة حطين. ولما بعث بما غنم من الغنائم إلى دمشق من أرض المعارك صحب ابن أبي عصرون ركبَ الغنائم عائداً إلى دمشق.

وإن صح هذا وإن المقصود بابن أبي عصرون هو شرف الدين فيكون اصطحابه للجيش في المعارك تقديراً له لقوة عباراته وأسلوبه لتشجيعه الجنود وإلهاب حماسهم في مقابلة العدو وهو الأعمى. الذي لا حول له في القتال فلا أقل من أي لهب حماس الجنود في المعركة. وإلا فالمقصود هنا ابنه أبو حامد محمد نائبه في القضاء.

وعلى العموم فقد بقي شرف الدين قاضياً رغم عماه وابنه محيي الدين ينوب عنه أمام الناس وإليه الحكم فيما يعرض له من قضايا. وظلت له المكانة المرموقة والتقدير وعامله صلاح الدين ورجال دولته وأمرائها معاملة طيبة حتى وفاته عام ٥٨٥هـ[١]، حيث انفرد ابنه محيي الدين أبو حامد بالقضاء حتى عام ٥٨٧هـ[٢].

وهكذا نرى أن شرف الدين بن أبي عصرون كان له تأثير ظاهر في مجريات الحوادث إلى حد ما...ولم يكن شخصية نكرة بل ويستحق أن يقدره نور الدين وصلاح الدين من بعد. لا بل يبني له نور الدين مجموعة من المدارس في أمهات المدن الشامية عرفت بالمدارس العصرونية إكراماً له

= حيث علل صلاح الدين تصرفه هذا بأنه أراد إذلال هؤلاء الأسرى لعنادهم في الحرب.

([1]) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥٥/٣.
الصفدي: نكت الهميان ص ١٨٥.

([2]) البنداري: سنا البرق الشامي ص ١١٣.
ابن واصل: مفرج الكروب ٥١/٢.
ابن طولون: قضاة دمشق ص ٥١.

وتقديراً لشخصيته واعترافاً بفضله في ميدان العلم والسياسة.

ونرى هنا من واجبنا أن نتوسع بالكلام عن شخصيته العلمية أكثر من قبل. وقد مر بنات أن نور الدين محمود زنكي قد استدعى شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون من سنجار عام ٥٤٥هـ، وأنشأ له المدارس السابقة الذكر وفوّض إليه أمر التدريس بها والإشراف الكامل عليها يعين من يراه أهلاً للعلم فيها[١].

ولكن شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون لم يكتف بما شيده له نور الدين زنكي من المدارس بل أضاف إليها مدرستان في حلب ودمشق وأصبح بذلك علماً مشهوراً في سائر العالم الإسلامي شرقاً وغرباً[٢].

ولعل أهم ما يدعم وجهة نظرنا هذه ويدلل على الشهرة التي بلغها ابن أبي عصرون في ميدان الفقه ما ذكره أبو شامة عن الدولعي خطيب دمشق من أن الفقهاء قد انقسموا بعد موت الحافظ المراري المتوفى عام ٥٤٤هـ[٣]، العرب والأكراد. فالعرب مالت إلى شرف الدين بن أبي عصرون ليصبح شيخ الفقه وكان في وجهات الموصل وسنجار، والأكراد مالت إلى المسائل الخلافية وعلم النظر وطلبوا أن يستدعي القطب النيسابوري.

وعلى أثر ذلك تأزمت الأمور في مملكة نور الدين الناشئة آنذاك وحصلت فتنة كانت تؤدي إلى الضعف والانقسام في وقت كان فيه المسلمون بحاجة إلى الوحدة والقوة. وخوفاً من أن ينتشر الضعف والفساد عمد نور الدين محمود زنكي صاحب حلب آنذاك فاستدعى جماعة الفقهاء عرباً وأكراداً إلى

---

(1) عمر موسى باشا: الأدب في بلاد الشام ص١١٠.
(2) ابن واصل: مفرج الكروب ٢٨١/١.
النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٤٠١/١
(3) الأسنوي: طبقات الشافعية ٤٣٣/٢.

القلعة ودفع إليهم مجد الدين ابن الداية يكلمهم نيابة عنه. وكان من أمرائه ويثق به كثيراً. وفوضه أن يتكلم باسمه فقال: نحن ما أردنا ببناء المدارس إلا نشر العلم ودحض البدع من هذه البلدة وإظهار الدين. وهذا الذي جرى بينكم لا يحسن ولا يليق. وقد قال المولى(نور الدين) نحن نرضي الطرفين ونستدعي ابن أبي عصرون والنيسابوري فاستدعاهما وولاهما مدرستين(١).

وبعد فإذا كانت هذه شهرة ابن أبي عصرون قبل أن يتصل بنور الدين ويمنحه ثقته ويقدم له عونه في ميدان العلم والسياسة وقبل أن يتصل بصلاح الدين السلطان، فكيف هي حاله بعد ذلك!!؟. لاشك في أنها أكثر شهرة ويظهر هذا من الأعمال التي قام بها ابن أبي عصرون.

والمهم أن اختيار نور الدين لشرف الدين بن أبي عصرون جاء لحل إشكالاً فقهياً ويخمد نار العداوة الفقهية وجاء موفقاً إلى أبعد الحدود ودلل على أن نور الدين يتمتع بملكة قوية في اختيار الرجال الأفذاذ. فإنه عرف كيف يختار شخصية مرموقة لإخماد الفتنة وتطويق الشغب وتدلنا هذه الحادثة فيما تدل عليه حب نور الدين زنكي لإنشاء المدارس واهتمامه بالعلم والعلماء وتكريمهم والاعتراف بفضلهم كما تدلنا على شهرة شرف الجدين بن أبي عصرون قبل اتصاله بنور الدين محمود زنكي.

ثم تتجلى لنا شخصية شرف الدين بن أبي عصرون قبيل استلامه منتصب قاضي القضاة فقد استطاع أن يستقطب كبار رجال الدولة إلى جانبه كالقاضي الفاضل وعيسى الهكاري والأصفهاني ويجعلهم يعملون

---

(1) أبو شامة: كتاب الروضتين ١٣/١.
بدران (عبد القادر): منادمة الأطلال ص ١٣٣.

لصالحه بكل قوة حتى اعتلى سدة منصبه الرفيع إلى جانبهم فغي الدولة الصلاحية [١].

وتظهر هذه الشخصية في أقوى مراحل عمرها عندما أصيب ابن أبي عصرون بالعمى فقد تحدى كل الفقهاء الذين وقفزوا ضده وتنكروا له وطعنوا بشرعية استمراره في منصبه القضائي الرفيع وصنف كتاباً في جواز قضاء الأعمى ودعم رأيه بالدليل الشرعي بنص رآه في كتاب الزوائد لأبي الحسن العمراني صاحب البيان. ومع غرابته تمسك به شرف الدين ونسج على منواله ودعم رأيه به[٢].

ووقف منفرداً أمام جميع الفقهاء وظل طوداً شامخاً حتى وفاته وشخصية لها تأثيرها في مجريات الأحداث لا تعرف الاستكانة ولا تنحني للعواصف.

وبعد فلا بأس هنا في أن نقف على شيء مما قضى به هذا الرجل الفذ الشيخ شرف الدين بن أبي عصرون شيخ الشافعية بلا منازع. فقد تصدى لأحكام جريئة موفقة وأثبت انه رئيس مدرسة في الفقه. فقد أفتى هو وطبقته أمثال عبد الرحمن الغزنوي الحنفي ويونس بن متعة ومسعود النيسابوري بأنه يصح للإمام أن يوقف قطعة من أراضي بيت المال على أي شخص يريده في حدود المنفعة العامة[٣].

---

(1) أبو شامة: كتاب الروضتين ٢٦٣/١ حوادث عام ٥٧٢هـ.

(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤٥/٣.
الصفدي: نكت الهميان ص ٦٠.
العيني: عقد الجمان مخطوط ميكروفيلم جامعة الكويت ج/١٣ رقم ٦٠٢ ص٧٦-٧٧.
ابن طولون: قضاة دمشق ص ٥٠.

(3) السبكي: طبقات الشافعية تحقيق الحلو والطناجي. نشر عيسى الحلبي ج/٦ ط/١ ص ٤٦.

وينسجم مع هذا ما رواه أبو شامة[1] فقد ذكر أنه في ليلة التاسع عشر من صفر عام ٥٥٤هـ حضر عند نور الدين في قلعة دمشق جماعة منت الفقهاء والعلماء من ضمنهم شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون. وشرف الدين عبد الوهاب المالكي ودار الحديث حول أوقاف المساجد.وأراد نوزر الدين أن يعلم ما الأوقاف الموقوفة بالضبط على كل مسجد وخاصة المسجد الأموي وما المضاف إلى أوقاف المسجد الجامع بدمشق من المصالح التي ليستا وقفاً عليه في الأصل وأن يظهر كل منهم ما يعلمه حتى يقع الضبط عليه فتم له ذلك.

وبعد ذلك سألهم نور الدين عن فواضل الأوقاف هل يجوز صرفها في عمارة الأسوار وعمل الخنادق للمصلحة المتوجهة للمسلمين؟ فأفتى شرف الدين عبد الوهاب المالكي بجواز ذلك ومنهم من روى في مهلة النظر.

وأما شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون الشافعي قال: لا يجوز أن يصرف وقف مسجد إلى غيره ولا وقف معين لجهة إلى جهة أخرى غير تلك الجهة وإذا لم يكن بد من ذلك في طريقة إلا أن يقترضه منت إليه الأمر في بيت المال فيصرفه في المصالح ويكون القضاء واجباً من بيت المال. فوافقه الأئمة الحاضرون على ذلك.

ثم سأل ابن أبي عصرون نور الدين هل أنفق شيء قبل اليوم على سور دمشق وعلى بناء الكلاسة من شأم الجامع وعلى إنشاء السقف المقرنص تحت النسر بالجامع وعلى الرصاص المعمول على سطح الرواق الشامي من الجامع وسائر العمارات المتعلقة بالجامع بغير إذن مولانا؟ وهل كان إلا مبلغاً للأمر العالي في عمل ذلك؟ فقال نور الدين: لم ينفق شيء إلا بإذني وكتب محضراً.

([1]) أبو شامة: كتاب الروضتين ١٧/٢-١٨

في كل ما تم النقاش والتوضيح[١].

ونرى هنا أيضاً صلابة شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون وسداد رأيه وحسن تبصره بالأمور والتروي قبل إصدار الأحكام حتى ولو كان هذا في حضور السلطان. فما أحرانا الآن بالتمسك بهذا النهج القويم في الفتيا والقضاء وإمضاء الحق دون أن تأخذنا فيه لومة لائم.

ثم إن موقفه عندما تحدى جميع العلماء عندما وقفوا يطعنون بشخصيته القضائية عندما أصابه العمى لدليل آخر على صلابة موقفه وثقته بنفسه حتى ولو وقف ضد جل الفقهاء الشافعية[٢] . هذا مع العلم بأن صلب المذهب الشافعي لا يجيز هذا.

وكانت حجة الجمهور الذي نفى جواز الأعمى ترتكز على أن الأعمى لا يعرف الخصوم ولا الشهود. وحجة من جوز قضاءه تقوم على أن النبي شعيباً عليه السلام كان أعمى وظل مع ذلك نبياً والنبوة أرفع من القضاء. ولكن مما سيند حجة الخصوم الكثر أن شعيباً لم يثبت عماه بالدليل القاطع. ولو ثبت فالذين آمنوا به قلة وليسوا بحاجة إلى من يحكم بينهم. هذا بالإضافة إلى أن شعيباً يدعمه الوحي السماوين ولا يتسنى هذا للقاضي[٣] . ومع ذلك ثبت شرف الدين واحتج بما رآه في جمع الجوامع للمورياني[٤] .

([1]) أبو شامة: كتاب الروضتين ١٧/٢-١٨.
([2]) الصفدي: نكت الهميان ص٦٠.
([3]) الصفدي: المصدر السابق.
([4]) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥٤/٣.
الصفدي: المصدر السابق نفسه.
الطباخ الحلبي: أعلام النبلاء ٢٨٠/٤.
ويقول النص في كتاب الزوائد لأبي الحسن العمراني صاحب البيان. =

إن هذين الحكمين يدلان دلالة كافية على جرأة وشجاعة شرف الدين بن أبي عصرون الأدبية في مجال القضاء ويكفيان ليرسما صورة مشرقة لشخصيته وتفهمه لروح النص لا لظاهره، وكان لا يهمه شيء ما دام يعتقد بان الحق في جانبه وكان يتمسك به ولو وقف الجميع أمامه.

= العيني: عقد الجمان ميكروفيلم جامعة الكويت ج/١٣ رقم ٦٠٢ ص ٧٦- ٧٧ مصدر سبق ذكره.

الفصل الخامس

شرف الدين ابن أبي عصرون في الميزان

أ- شخصية عبد الله بن أبي عصرون

ب- إنتاج عبد الله بن أبي عصرون العلمي

ج- إنتاج شرف الدين بن أبي عصرون الأدبي.

أ- شخصيته:

أ- شخصية عبد الله بن أبي عصرون:

لا شك في أن شخصية شرف الدين تمتعت برضى أكبر شخصيتين في الدولة الزنكية والدولة الأيوبية، أعنى بهما نور الدين محمود زنكي وصلاح الدين الأيوبي.وقد ثارت هذه الشخصية جدلاً كبيراً بين محب راغب فيها وكاره راغب عنها، ولاشك أيضاً في أن النجاح الذي لاقته في معظم الأحيان كان مدعاة لإثارة الخصوم والحاسدين.

ولعل شرف الدين بن أبي عصرون بنجاحه الكبير قد أثار حوله موجةً من الاحترام والتقدير عند جماهير المسلمين سواءً ف عهد نور الدين أو عهد صلاح الدين.ولكن هذا النجاح من باب آخر جلب لصاحبه المتاعب وأوجد شخصيات لا تبادله الحب بمثله.وتصور لنا المصادر والمراجع طرفاً من عداء كمال الدين الشهرزوري قاضي قضاة الشام لشرف الدين عبد الله بن أبي عصرون. فالوهراني بأسلوبه الأدبي الهادف وبأدبه الرمزي يصور لنا محاكمة يوم الحساب تجري لكمال الدين الشهرزوري يتدخل فيها الوحي السماوي لحساب الشهرزوري نظراً لكرمه فيأتي قضاء الله العادل بوقوف الشهرزوري بين الجنة والنار ويحضر المقام المشهود كل يوم ويقدم ما يسيء إلى شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون بدرجة كافية لأخذه بالعقاب عندما يأتي دوره للحساب في اليوم الآخر ((وقد قدم لابن أبي عصرون مقدمات ردية ما أظنه من شرها بناج)) [١].

ثم يستمر الوهراني بأسلوبه المتميز يصور لنا جوانب أخرى وصوراً جديدة عن هذا العداء عندما نقل لنا رسالة رمزية موجهة من الجامع الأموي بدمشق إلى شرف الدين بن أبي عصرون يشكوه فيها.

([1]) الوهراني: مقامات الوهراني ومناماته ورسائله ص ٢٨.

وجاء فيها أنه ذئب غدار ومن استرعى الذئب فقد ظلم بها وتتهمه بأنه اكتنز الأموال واختزلها وجمع الذخائر لنفسه واختص بها وأهمل أمور المساجد بها الموكول إليه رعايتها والإنفاق عليها.

ثم تستمر الرسالة في توجيه الاتهامات إلى شرف الدين بعد الله بن أبي عصرون قائلة:((من أجل هذا كانت سياحتك ولأجله طالت نياحتك وبسببه كنت تسبح تصبح حتى غبطك المسيح، لقد عجبت أيها الشيخ من محالك في ابتداء حالم ومن فساد أمرك عن آخر عمرك ومن فساد دينك وضعف يقينك[١]))

وجميع مواد هذه الرسالة طعن موجه إلى شرف الدين بن أبي عصرون في دينه وقضائه وحياته وآخرته ورحلاته وعبادته.

ومما يتفق مع المنطق السليم أن يثور شرف الدين عند استلامه مقل هذه الرسالة ويصور لنا الوهراني هذه الثورة بأسلوبه المتميز قائلاً:((فلما وصل الكتاب إليه وقرا ما قد انطوى فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس ثم أدبر واستكبر)) [٢]. ثم لعن المساجد وبانيها وهذه عبارة لا أظن أنها منصدر من فقيه مثل ابن أبي عصرون ولكن الوهراني ذكرها ليتم المعنى الذي أراده ويصور ثورة ابن أبي عصرون وغضبه. والمهم أن عبد الله بن أبي عصرون كتب على ظهر الرسالة أشياءً غير سارة. ومن الطريف أن ننقل هذا الرد لطرافته.

((بسم الله الرحمن الرحيم)) وصلت رقعتك أصلحك الله، كأنها ضربة موتور أو نفثه مصدور، وتخلط فيها الهزل بالجد وتبدي غيظ الأسير على القبد وأيم الله لقد فرقت سريا وقذفت بريا وجئت شيئاً فرياً فاشدد من عقالك

([1])الوهراني: مقامات الوهراني ومناماته ورسائله ص ٦٧.
([2]) المصدر السابق نفسه ص٦٨.

وتأيد في مقالك. فما شكل يذم شكله ولا كل كطائر يخل أكله(وما كل بيضاء سخمه ولا كل سوداء فحمة)ولو كان لك عقل يهديك أو رأي يهديك لو أريت أوراك ولسترت عوارك. أليس قد اشتهر عند الداني والقاصي بأنك قطب(ما يتم فيك) من المعاصي؟ حتى لقبوك بسوق الفسوق وميدان المروق ورحاب القحاب حتى قال فيك القائل.

تجنب دمشق (فلا تأتها) وإن راقك الجامع الجامـــع

فسوف الفسوق به قائم وفجر الفجور به طـــالـــع

فلا جرم أن الله قطعك بالطريق وعاقبك بالحريق وجعل الميص على أبوابك والزط في قبلة محرابك وعذبك بالنيران وقرنك بأشر الجيران وجعل خطيبك اتوها دائصاً وأمامك أعمى ناقصاً فلو أنك البيت المعمور لهجرت أو حرم مكة لما حججت فقف عند مقدارك وانظر في إيرادك واصدارك، والسلام)).

ويشتم من هذا الرد بلاغة العبارة وقوة الألفاظ مع وضوح المعنى وشدة النبرة وصدقها لأنها نابعة من نفس مطعون بها فلا اقل من أن ترد بمستوى الاتهام.

ويصور الوهراني[١]. المسألة بعد ذلك وموقف نور الدين منها عندما رفع الجامع الأمر إلى نور الدين زنكي الشهير بغضب حين وصله رد ابن أبي عصرون.

ويصدر الوهراني الأمر هنا على حقيقته عندما يذكر لنا موقف نور الدين زنكي من رسالة المسجد ومن شرف الدين ابن أبي عصرون فيقول:((وقف الملك العادل على كتابه وتجرع كأس عتابه التفت إلى المساجد فرثى لهم

([1]) الوهراني: مقامات الوهراني ومناماته ورسائله ص ٦٩.

وسدد أحوالهم. ولما علم فحوى شكاياتهم وعرف كنهَ قضيتهم أزال عنهم ظلمهم (وأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم) ثم تزر إلى ابن أبي صورن فأنزله واعتزله وحجبه عن بابه واختزله وألقاه في سجن الصدود وخلده فيه إلى يوم الخلود وقرأ عليه ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود)٩

إن مجمل هذه الكتابات كما وردت على لسان الوهراني تمثل جانباً من الحقد على شرف الدين بن أبي عصرون وتبين أن للرجل أعداءً يودون العمل ضده وأبعاده عن نور الدين. لأنهم يعرفون أن نور الدين المؤمن بالله إلى أبعد الحدود لا يمكن أن يترك من يهمل شأنا من شؤون المسلمين في مكانه مهما علت منزلته فالحق أحق إن يتبع . ولكننا لم نسمع بمثل هذا الخلاف بين شرف الدين بن أبي عصرون ونور الدين زنكي في المصادر الأخرى المعاصرة. ولو حصل من ابن أبي عصرون شيء لذكرته ولحاول شرف الدين أن ينفي التهمة عنه ولحصل حوار مع نور الدين ولكان الأجدر بالمصادر ذكره ولكنها لم تفعل مما يدفعنا إلى الشك في مثل هذه الرواية. والمعتقد أن القصد من ورائها تصوير الخلاف الحاصل بين شرف الدين والذين يعملون ضده ليس إلا.

وقد ذكر كمال الدين الشهرزوري شعراً يعرض فيه بشرف الدين عبد الله بن أبي عصرون نجتزئ منه.

يا راكباً يطوي الفلا	بِشملة حرفٍ وخود
عرّج بمشهد كرباء	وانخ وعقر في الصعيد
واقرأ التحية وأدعُ يا	ذا المجد والبيت المشيد
أولادك الأنجاب في	أرض الجزيرة كالعبيد
أوقافهم وقف على	دفٍ ومزمار وعود
ومدامة خضبت بها	أيدي الشُقاة إلى الزنود

ودعي بيتك لا يفكر في الجحيم ولا الخلود
وهو وابن عصرون الطويل ويوسف النذل اليهودي
إن كان هذا ينتمي حقاً إلى البيت المشيد
فإلى يزيد إلى يزيد إلى يزيد إلى يزيد[١].

ويشتم من هذا الشعر روح العداوة بين الطرفين حيث يطعن الشهرزوري بشرف الدين ويشبهه باليهود ويشنع بهذا عليه.

كانت له جولات مع شرف الدين ابن أبي عصرون وطعن به الشاعر الهجاء المقذع في هجائه واقصد به الشاعر ابن عنين فقد وجه هذا الشاهر هجاءً مقذعاً لشرف الدين بن أبي عصرون وإلى ولده محيي الدين بمحمد نجتزئ منه:

وما هجوت ابن عصرون أروم له فضلاً ولا نلت من فخر ولا شرف
لكن أجرب فيه خاطري عبثاً كما تُجرب بيض الهند في الجيف

ولعل من الهجاء المقذع الذي وجهه ابن عنين إلى شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون أثناء مرض الخير بالحمى ما يبرز الحقد الدفين بينهما ومنه:

لما تشكى ابن عصرون إليَّ حمى في سفله حار فيه كل بيطار
وقال:داءٌ عضال قد رميت به أعيا وقصرَّ عنه كل مِسْبار
لله درك شكراً للصنيعة بي من قابسٍ شيّط الوجعاء بالنار[٢]

إلى أن يقول:

(1) الأصفهاني: خريدة القصر قسم شعراء الشام ٣٢٧/٢.
(2) ابن عنين: ديوانه تحقيق خليل مردم بك ص١٩١.

يا عمر ما وقفة في رسم منزلة   نار شوقك فيها محو أثار[١].

وقال يهجو محيي موجه إلى صلاح الدين أبو سعد بن أبي عصرون وجاء الهجاء بشكل خطاب موجه إلى صلاح الدين وقد خرج معه محي الدين للغزو والقتال. ولا بأس أن نقدم شيئاً هنا من هذه القصيدة:

صلاح الدين يا خير البرايا   ومن قد عمَّ بالفضل الرعايا

سمعت بان محي الدين يُعشى   الوغى والحرب ضاربة المنايا

فلا تشهد بصفعان قتالاً   فقوس الندف لا تصمي الرمايا نار شوقك فيها محو أثار[٢].

ولعل أشد أنواع الهجاء تأثيراً على النفس البشرية أن تذكرها بما يعتبر نقصاً فيها مع وجوده ومن هذا المنطلق فقد هجا ابن عنين ابن عصرون معيراً إياه بما أصابه من العمى ولزومه البيت فقال فيه عندما أصاب المسلمين في الشك في ثبوت عيد الأضحى:

لا غرو أن ضاعت الأعياد بينكم   رفقاً كأني بكم قد ضاعت الجُمَعُ

فليعجب الناس من قومٍ يقودهم   إلى الضلالة أعمى وهو مُتَّبَعُ

قد كذَّبوا ما رأوه وهو متضح   وصدقوا ما رواه وهو ممتنعُ[٣].

وإلى هنا نكون قد رسمنا ما يوضح الجانب الحاقد على شرف الجدين ابن أبي عصرون المتمثل فيما قدمناه من رسائل طعن وأبيات هجاء قالها ونظمها الحاقدون على شرف الدين الساعون إلى إبعاده عن نور الدين زنكي وصلاح الدين فيما بعد، ولكن ابن أبي هصرون لم يكن شخصية عادية بل متميزة عن غيرها قوية في مواطن الضعف فرأيناه كيف وقف منفرداً أمام كل الفقهاء في

---

(1) المصدر السابق ذكره ص١٩٢.
(2) ابن عنين: ديوانه ص١٩٢ المصدر السابق ذكره .
(3) المصدر السابق ذكره ص١٩٣.

الوقت الذي كان فيه من المفروض انهزامه ولكنه ثبت وبقي في منصب قاضي القضاة رغم انف الحاقدين.

وما دمنا قد قدمنا الجانب المظلم من شخصية ابن أبي عصرون إن جاز لنا التعبير بقي أن نقدم الجانب المشرق من هذه الشخصية وبمعنى أدق ما دمنا ذكرنا طرفاً من طعن الحاقدين بشخصية ابن أبي عصرون علينا أن نقدمك طرفاً من مدح المادحين في هذه الشخصية.

فلو أمعنا النظر في المصادر والمراجع التي أرخت وترجمت لشرف الدين لظهر لنا هذا بجلاء. فأين الدهان صديق شرف الدين وتلميذه الوفي وقف موقفاً ودياً من أستاذه ولم ينسه وقت الشدة والضيق. فاستغل ابن الدهان كل فرصة تمر في حياة أستاذه ليقوم بما يمليه عليه الواجب فاستغل فرصة وفاة أحد أباء شرف الدين في حياته وأعني شهاب الدين ابن أبي عصرون فصاع في هذا الموقف شعراً مؤثراً ومعبراً في نفس الوقت منه:

يأبى التأسي إنهاء الأسى الجلدا ... فإن نعي رواهُ للعزاء ردا
أذكى بقلبي ناراً لا خمود لها ... قول النعاة شهاب الدين قد خمدا
فالعين بعدك عين والفؤاد لظىً ... نارٌ فلا رقأت دمعاً ولا بردا
من للفتاوي إذا أعيت غوامضها ... يحلُّ مشكلها المستصعَبُ العُقَّدا
من للخصوم إذا أبدت شقاشقها ... ومال جامحها في غيِّه لدَدا[١]

وهي طويلة ومنها:

لمن أُبقي دموعي بعد فرقته ... والدهر لم يُبق لي من بعده جلدا
صل عليه إله العرش في الملأ ... الأعلى ووالى له من لطفه مددا[٢]

(1) ابن الدهان: ديوانه ص١٣٨.
(2) المصدر السابق ذكره ص ١٤١ و القصيدة طويلة ص١٣٨-١٤١.

ولم ينس ابن الدهان أستاذه وصديقه شرف الدين أبا سعد فقد مدحه بقصيدة طويلة منها:

فلا وصلها يبدو فتبلى بلا بلى ... ولا لي صبرٌ منجدٌ فأخونها

نحيلة جفن العين من غير علةٍ ... كذاك سيوف الهند تبلى جفونها

أرى سودها أمضى وأفتك في الحشا ... فما بال أنقاها بياضاً ثمينها

إلى أن يقول:

فبالشرف الأعلى هواها وشكرها	ندى شرف الدين بن عصرون دينها
متى قصدت في طرقها دون عزةٍ	فلا انفرجت عن سهل أمرٍ حزونها
وإن طمعت من غيرهْ في نوالهِ	فلا صدقت فيما رَجَتْهُ ظنونها[1]

ويجب أن لا ننسى في هذا المجال علاقة شرف الدين ابن أبي عصرون بالعملد الأصفهاني الكاتب. فقد ظهرت الشتويات الشعرية، وهي القصائد الأخوانية التي يتبادلها الشعراء للتسلية طيلة أيام الشتاء الطويلة لشغل أوقات الفراغ بما يفيد والترويح عن النفس، وظهر مثل هذا النوع في بلاد الشام، وجرى منه طرفٌ بين شرف الدين ابن أبي عصرون والعماد الأصفهاني الكاتب نجتزئ منه:

أيا شرف الدين ان الشتا	بكـــافـــاته كف آفاتـــه
وكفك من كرم كافـــها	لقد كفلت لي بكـــافـــاته
وانك من عرفه شكرنـــا	غدا عاجزاً عن مكافأته[2]

(1) ابن الدهان: ديوانه ص ١٠٧-١٠٨ مصدر سابق.
(2) الأصفهاني: خريدة القصر، قسم شعراء سوريا ٣٥٢/٢ ذكر بيتاً واحداً فقط.
أبو شامة: كتاب الروضتين ١٤٩/١.
عمر موسى باشا: الأدب في بلاد الشام ص ٥٢٩.

فلما استلم شرف الدين هذه المقطوعة الشعرية، كتب في الجواب إلى الأصفهاني:

إذا ما الشتاء وأمــطاره ... عن الخير حابسة مانعة
وكافأته الست أعطيتها ... وحاشاك من كافة الرابعة
وكف المهانة والاحتشام ... لكفى عن بره مانعة
وهمة كل كريم النجار ... بميسور أحبابه قانعة
ونفسي في عذري لديه ... جعلت الفداء له طامعة
وشوقي إلى قربه زائدٌ ... ومعذرتي أن جفا واسعة(١)

كان هذا عام ٥٦٣هــ في حلب عندما أصبح عماد الدين الأصفهاني كاتباً لنور الدين محمود زنكي. وفي أحد المرات حضر الأصفهاني إلى طرف شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون وكتب إليه.

أيا من له همةٌ في العلى ... لذروتها أبداً فارعةً
ومن كفه ديمةً ما تزا ... ل بالعرف هامية هامعة
وللفضل في سوق أفضاله ... بضائع نافقة ناقعة
وهل كابن عصرون في عصرنا ... إمام أدلته قاطعة؟(٢)
فخبرٌ فوائده جمة ... بحرٌ موارده واسعة
أيا شرف الدين شرفتني ... بإهداء رائقة رائعة
أطعت أوامرك الساميات ... وما برحتْ همتي طائعة
أرى كل جارحة لي تودّ ... لو أنها أذن سامعة
وأما الشتاء وكافأته ... وكفك عن كافه الرابعة

([1]) الأصفهاني: خريدة القصر، شعراء الشام ٣٥٣/٢.
أبو شامة: كتاب الروضتين ١٤٩/١.
([2]) أبو شامة: كتاب الروضتين المصدر السابق الذكر.

فنفسي مُنزهة بالعفا ف عنها وفي غيرها طامعة
وماذا تطيق إذا لم تكن بميسور سيدنا قانعة؟[١]

وبعد فإن المصادر المتوفرة في اليد تجمع على أن ابن أبي عصرون شخصية متميزة لها سماتها الفريدة فقد وصفه ابن تغري بردي[٢] بأنه كان ((إماماً فاضلاً مصنفاً)) ووصفه السبكي[٣] صاحب طبقات الشافعية بقوله:((نزيل دمشق وقاضي القضاة بها وعالمها ورئيسها)). وقال عنه موفق الدين ابن قدامه المقدسي[٤]: كان إمام أصحاب الشافعي في عصره ونعته ابن الصلاح بأنه من أفقه أهل عصره وإليه المنتهى في الفتاوي والأحكام[٥].

وأما العماد الأصفهاني[٦] أحد تلاميذ الكثر وصديقه المخلص وشريكه في الحكم والإدارة أيام نور الدين وصلاح الدين فوصفه بقوله:((حجة الإسلام مفتي العراق والشام شيخ العلم العلامة وبفتياه توطدت للشرع الدعامة وله الفخار والفخامة، وليس في عصرنا من أتقن مذهب الشافعي عنه مثله وقد أشرق في الآفاق فضله وصنف في المذهب تصانيف مفيدة قواعدها في العلم مهيدة)).

ولا أظن أنه بقي مزيد فضل يضاف إلى قول الأصفهاني. ومع أن فيه شيئاً من المبالغة كما يبدو إلا انه يظل الأساس المقبول للتعامل من خلاله مع شخصية شرف الدين أبي سعد عبد الله بن أبي عصرون.

---

(1) المصدر السابق ذكره ١٥٠/١.
(2) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ١٠٩/٦.
(3) السبكي: طبقات الشافعية ١٣٢/٧.
(4) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٢٨٣/٤.
بدران: منادمة الإطلال ص١٣٢.
(5) المصدران السابقان.
(6) الأصفهاني: خريدة القصر، شعر الشام ٣٥١/٢.

ب- إنتاج ابن أبي عصرون العلمي:

ومما يتصل بشخصية ابن أبي عصرون في هذا المجال الجانب العلمي والإنتاج الذي قدمه في ميادين اختصاصه. لذا يجب علينا أنم نعهرج على هذه المؤلفات لتكون دليلاً على علو كعبه وبرهاناً على ما قدمناه مكن صورة مشرقة لشرف الدين عبد الله بن أبي عصرون.

فالمصادر المتوفرة لدينا تمجدنا بمصنفات كثيرة صنفها شرف الدين نذكر منها:

((صفوة المذهب من نهاية المطلب)) وهو في سبع مجلدات))((الانتصار)) في أربع مجلدات، ((المرشد)) في مجلدين، ((الذريعة في معرفة الشريعة)) مجلد. ((التيسير في الخلاف في أربع مجلدات. ((مآخذ النظر)) و((مختصر الفرائض)) و((الإرشاد المغرب في نصرة المذهب)) ولم يكمله وذهب فيما ذهب له بجلب[١].

وله مؤلفات أخرى منها:((التنبيه في معرفة الأحكام)) ((فوائد المهذب)) في مجلدين[٢]. و((الموافق والمخالف)) [٣]، و((فوائد المنذري)) في مجلدين. وجمع

([1]) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥٤/٣.

([2]) الصفدي: نكت الهميان ص١٨٥.

([3]) السبكي: طبقات الشافعية ١٣٣/٧.

الأسنوي: وذكر الانتصار والمرشد وفوائد المهذب والتنبيه فقط.

ابن كثير: البداية والنهاية ٣٣٤/١٢ ويسمى ابن كثير: الانتصار ((بالانتصاف)).

العيني: عقد الجمان ميكروفيلم بجامعة الكويت ج/١٣ رقم ٦٠٢ ص٧٦-٧٧.

ابن طولون: قضاة دمشق ص٥٠ وسمي الانتصار بالانتصاف.

ابن العماد الحنبلي: شذرات الذا هب ٢٨٣/٤. وذكر صفوة المذهب في نهاية المطلب و الانتصار.

الطباخ الحلبي: أعلام النبلاء ٢٧٩/٤.

جزءاً في جواز قضاء الأعمى[١].وأضاف البغدادي[٢] في((هدية العارفين)) فتاوي ومسلسلات في الحديث.

ج- إنتاج شرف الدين الأدبي:

وإلى جانب ما اشتهر به شرف الدين من علوم الفقه والأصول والخلاف والفتاوي والقضاء يجب أن نشير إلى الجانب الأدبي من حياة ابن أبي عصرون فقد كان شاعراً أديباً أورد له العماد الأصفهاني وغيره مقطوعات شعرية كثيرة تنم عن إحساس متدفق وخيال خصب واسع ونفس مجربة عركتها الحياة. وإليك ألواناً من أشعاره:

ذكر العماد الأصفهاني تلميذ شرف الدين وصديقه إنه كان يحضر إلى شرف الدين ويقرأ عليه مصنفاته خاصة المصنفات المذهبية واستفاد منه وأخذ عنه ويقول الأصفهاني: وما اتفق لي أن استمليت شيئا ًمن نظمه وذلك راجع لانصرافي إلى الاستفادة من علومه الأخرى ومصنفاته الفذة(فإنّ زمانه اعز وإحسانه لعطف الطالب أهز، واستغني عن التماس شعره بما أنشدنيه الفقيه الشهاب محمد بن يوسف الغزنوي مما استملاه منه)) ومن هنا يبدو لمنا أن الشهاب محمد هو أحد تلاميذ شرف الدين ابن أبي عصرون.

ومن جملة هذه الأشعار نقتطف:

أيا تاج الأئمة والمرجى	لكشف المشكلات من الأمور
إذا ما الدار سهم ضاق فيها	مع الإفراز من نفع يسير
وباقيها فسهم ليس يخلو	مع الإفراز من نفع كبير
فإن نبع الكثير فهل مكان	لشفعة ذلك الجزء الحقير

---

(1) بدران: منادمة الإطلال ص١٣٣.
(2) البغدادي: هدية العارفين ٤٥٧/١-٤٥٨.

وهل تجري ولا إجبار فيها مع الحمَّام والبير الصغير[١]

ولم يسع شرف الدين بن أبي عصرون إلا أن يجيب الأصفهاني على قصيدته بداهة وارتجالاً وذلك لسرعة خاطرة وحضور ذهنه وتمكنه من أساليب اللغة وملكة النظم والخيال الواسع والألفاظ الخصبة الجزلة المعاني فقال:

أرى الشخص الذي لا نفع فيه	كبيراً كحمام صغير
وفي الكل الخلاف وإن رأيي	ليثبت شفعة السهم الحقير
وترهفه المضرَّة حين باعوا	فما غير التشفع من مجير[٢]

وسئل شرف الدين عن البيع شعراً:

إذا ما البيع كان بغير عَقْد	وقد سكن التراضي في القلوب
فهل من مأتم يخشى إذا ما	أعاد الخلق علاّم الغيوب
أجب عما سئلت أتيت أجراً	من الرحمن كشاف الكروب

فأجاب شرف الدين كعادته ارتجالاً شعراً:

إذا وجد التراضي في القلوب	ولا لفظ لداع أو مجيب
فلا بيع ولا يخشى قصاص	عليه عند علام الغيوب
فخذ هذا الجواب عن ارتجالٍ	تنال به مرادك عن قريب
ثواب الله أرجو في جوابي	وحسبي بالمهيمن من مُثيب
لعبد الله ناظمها ذنوب	وعفو الله محاء الذنوب[٣]

ولم يقتصر شعر شرف الدين على هذا اللون فقط والذي هو أشبه بالنظم منه بالشعر بل تطرق إلى لون آخر فطرق باب الحكمة، ومن هذا القبيل ما

---

(1) الأصفهاني: خريدة القصر، قسم الشام، ٣٥٤/٢.
(2) الأصفهاني: خريدة القصر، قسم الشام، ٣٥٥/٢.
(3) المصدر السابق ذكره.

رواه الأصفهاني، منه:

كل جمع إلى الشتات يصير	أي صفو ما شابه تكديرُ
أنت في اللهو والأماني مقيمٌ	والمنايا في كل وقت تسيرُ
والذي غرّه بلوغ الأماني	بسرابٍ وخُلَّب مغرور
ويك يا نفسي اخلصي إن ربي	بالذي أخفت الصدور بصيرٌ(١)

ومنه:

أومل وصلاً من حبيب وإنني	على كمدٍ عما قليل أفارقه
تجاري بنا خيل الحمام كأنما	يسابقني نحو الردى وأسابقه
فيا ليتنا متنا معاً ثم لم يذُق	مرارة فقدي لا ولا أنا ذائقة(٢)

وأورد له الأصفهاني عدة مقطوعات في معانٍ منوعة منها:

أومل أن أحيا وفي كل ساعةٍ	تمر بي الموتى تهز نعوشها
وهل أنا إلا مثلهم غير إن لي	بقايا ليال في الزمان أعيشها(٣)

(1) الأصفهاني: خريدة القصر قسم الشام ٣٥٤/٢.
الأسنوي: طبقات الشافعية ١٩٥/٢ لم يذكر البيت الثالث وذكر الرابع كالتالي:
ويك يا نفس اخلصي أن ربي   بكل ما أخفيته لبصير
ابن تغري بدري (أبو المحاسن): النجوم الزاهرة ١١٠/٦ روى البيتين الأوليين فقط.

(2) الأصفهاني: الخريدة قسم الشام ٣٥٥/٢ المصدر السابق نفسه.
ابن خلكان: وفيات الأعيان وقد روى البيت الأول هكذا.
اؤمل وصلاً من حبيب وأنني   على ثقة عما قليل أفارقه.
الصفدي: نكت الهميان ص١٨٦.
الطباخ الحلبي: أعلام النبلاء ٢٨٠/٤ نقل رواية ابن خلكان.

(3) الأصفهاني: الخريدة/ قسم الشام ٣٥٧/٢.
ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥٥/٣.

ومنها:

يا سائلي كيف حالي بعد فرقته	حاشاك مما بقلبي من تنائيكا
فقد أقسم الدمع لا يجفو أسىً	والنوم لا زارها حتى ألاقيكا[١]

ومنها

وما الدهر إلا ما مضى وهو فائت	وما سوف يأتي وهو غير محُصَّل
وعيشك فيما أنت فيه وإنه	زمان الفتى من مجمل ومفصَّلِ[٢]

ومنها:

أمستخبري عن حنيني إليه	وعن زفراتي وفرْط اشتياقي
لك الخير أن بقلبي إليك	ظمأ لا يُرويه غير التلاقي[٣]

ومنها:

كنت إذا كنت عديما	لي خلا ونديماً
ثم أثريت وأعرضت ولم	ترْع قديماً

الصفدي: نكت الهميان ص ١٨٦.
الأسنوي: طبقات الشافعية ١٩٥/٢
العيني: عقد الجمان مخطوط ميكروفيلم جامعة الكويت ج/١٣ ص ٧٦-٧٧.
الحسيني(المصنف): طبقات الشافعية ص ٨١.
الطباخ الحلبي: المرجع السابق نفسه.

([1]) الأصفهاني: الخريدة قسم الشام ٣٥٦/٢ مصدر سابق.
ابن خلكان:وفيات الأعيان ٥٥/٣ مصدر سابق.
الصفدي: نكت الهميان ص ١٨٦ مصدر سابق.

([2]) الأصفهاني وابن خلكان: المصدران السابقان نفسهما.

([3]) الأصفهاني: خريدة القصر/ قسم الشام ٣٥٦/٢ المصدر السابق.

ردك الله إليَّ ودي مديوناً غريماً[١]

وهكذا نرى أن شخصية شرف الدين ابن أبي عصرون من الشخصيات المتميزة فهي متكاملة الجوانب لها أثرها في مجال القضاء والفتيا والسياسة والإدارة والدبلوماسية والسفارة تتمتع بقدر كافٍ من العلم والأدب أهلها إلى أن تتسلم أرقى المناصب وأرفعها وهي قضاء القضاة والسفارة ومشيخة الشافعية في عصرها.

([1]) المصدر السابق ذكره ٣٥٧/٢.

الفصل السادس

أبناء

شرف الدين ابن أبي عصرون وأحفاده

أولاً: أبو المعالي المطهر بن عبد الله ابن أبي عصرون. وولده أبو العباس شهاب الدين عبد السلام. وأولاده.

أ- تاج الدين بن أبي عصرون

ب- قطب الدين بن أبي عصرون

ثانياً: محيي الدين أبو حامد محمد بن عبد الله بن أبي عصرون وأولاده.

أ- شرف الدين عثمان

ب- أبو طالب محي الدين عمر

ثالثاً: نجم الدين أبو البركات عبد الرحمن بن أبي عصرون وأولاده

أ- نور الدين محمود

ب- عز الدين عبد العزيز

جـ- شرف الدين يعقوب بن عبد الرحمن

خلف لنا شرف الدين عبد الله بن عصرون أولاداً وأحفاداً كانوا غرة في جبين الزمان أفذاذاً في مجال العلم والحكم أسياداً اشتهروا في المجتمع بما حملوه من علم وبما تحلو به من خلق سليم وبما بلغوه من التقدير والاحترام لدى الحكام والأمراء في عصرهم. وأشهر هؤلاء:

أولاً: أبو المعالي المطهر بن عبد الله بن أبي عصرون:

لم تسعفنا المصادر المتوفرة بمعلومات شافية لأبي المعالي المطهر بن عبد الله بن أبي عصرون حتى أستطيع توضيح جوانب شخصيته وأتثبت من تاريخ ميلاده ووفاته وبيان دوره كاملاً فيما حوله من الأحداث. بل ولأبين أثره العلمي والسياسي.

ولكن هذه المصادر تجمع على أن أبا المعالي كان على رأس السفارة التي توجهت لتزف البشرى للخليفة العباسي بالقضاء على الدولة الفاطمية وإقامة الخطبة العباسية في مصر وكافة أقاليم الدولة الزنكية في الموصل والشام ومصر واليمن، وذلك عام ٥٦٧هـ. وأوضحت هذه المصادر فيما أوضحته كيف استقبل في بغداد وكيف أنه أثناء تنقله في طريقه إلى بغداد كان يحمل كتاباً من نور الدين يقرأه بالخبر السعيد في كل تجمع سكاني يحل به. ثم تضيف هذه المصادر الخلع والهدايا التي أرسلها الخليفة العباسي بمناسبة الحدث السعيد إلى كل من نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي[١].

---

[1] ابن الجوزي: المنتظم ٢٣٧/١٠
أبو شامة: كتاب الروضتين ١٩٧،١٩٨/١.
ابن واصل: مفرج الكروب٤٧٢/٢.
ابن كثر: البداية والنهاية ٢٦٤/١٢.

وهذا يدل على أن شخصية أبي المعالي شهاب الدين شخصية لها وزنها أيام نور الدين بحيث حملت أعظم بشرى بل أعظم حدث في تاريخ الخلافة العباسية في بغداد آنذاك.

ولما توفي شهاب الدين رثاه[١] صديق والده ابن الدهان الحمصي المتوفى عام ٥٨١هـ[٢]. وهذا يدلنا على أن شهاب الدين مات قبل هذا التاريخ في حياة والده شرف الدين المتوفى كما مر عام ٥٨٥هـ.

ومع أن هذه المعلومات قليلة وغير كافية فيما يخص شهاب الدين إلا أنها تدلنا على علو شانه آنذاك ولعل المنزلة التي بلغها تعود إلى أنه ابن شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون وإلى أنه يتمتع بذكاء ودبلوماسية هادئة مما جعل نور الدين يختاره لسفارته إلى بغداد.

وفي هذه المناسبة قال ابن الحرستاني قصيدة مشهورة أولها:

جاء البشير فسر الناس وابتهجوا

فما على ذي سرور بعدها حرجُ[٣]

وأما ابن الجوزي فإنه ألف كتاباً في هذه المناسبة سماه، ((النصر على مصر)) [٤]

ابن قاضي شهبة: الكواكب الدرية ص٢٠٣.
ابن تغري بردي (أبو المحاسن) النجوم الزاهرة ٦٣/٦.
المقريزي: السلوك ج/١ ق١ ص ٦٥.
(1) ابن الدهان: ديوانه ص١٣٨-١٤٠.
(2) ابن الأثير: الكامل ٥٢٢/١١ حوادث ٥٨١هـ.
القفطي: أنباه الرواة ١٠٣/٢.
ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥٧/٣-٦١.
(3) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ٦٤/٦.
(4) ابن الجوزي: المنتظم ١٠/ ٢٣٧.

وقد اشتهر من أولاده العباس شهاب الدين عبد السلام بن المطهر بن شرف الدين بن عبد الله بن محمد بن أبي عصرون[١]. وكان فقيهاً زاهداً عابداً محباً للصالحين[٢].

وهو الفقيه الشافعي المفتي المجرس. وذكر صاحب الحوادث الجامعة[٣] أنه كان من بيت مشهور بالعلم والقضاء والرئاسة والتقدم عند الملوك وكان ذا أموال فائضة وعنده سعة نفس يقرض الشعر.

والمهم أن شهاب الدين أصبح من مشاهير عصره.وقد استعمله الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي الأول في السفارة إلى بغداد للاتصال بالخليفة العباسي الناصر لدين الله. وأهم سفاراته تلم سفارة سنة ٦١٣هـ حيث كانت مهمته صعبة، ولكن بما عرف عنه من علو الهمة وسعة الأفق والدبلوماسية الهادئة استطاع أن يتغلب على كل الصعاب التي اعترضته وينال تقرياً من الخليفة يعترف به بسلطنة العزيز على جلب كما كان والده كمن قبل[٤].

وتجمع المصادر على أنه كان محباً للنساء حتى أن هذه المصادر تذكر أنه

([1]) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ٦٩٢/٨ ويسميه شهاب الدين عبد السلام بن المظفر والأصح المطهر ابن أبي عصرون.
أبو شامة: رجال القرنين: ط/١ ص١٦٢
ابن الفوطي: الحوادث الجامعة(منسوب إليه) ص٧٥.
ابن كثير: البداية والنهاية ١٤٣/١٣.
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٨٧/٦

([2]) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ٦٩٤/٨

([3]) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص٧٥

([4]) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢١٦/٦

كان يملك نحواً من عشرين جارية للفراش مما كان سبباً في إصابته يتصلب الشرايين وذهاب حياته عام ٦٣١هـ[١]، وقيل غير ذلك[٢]، ودفن بقاسيون أحد جبال دمشق.

وقد بلغ درجة عالية من العلم والتحصيل وأصبح أستاذاً مرموقاً له تلاميذه وروى عن جماعة كثيرين منهم جده الأشرف عبد الله بن أبي عصرون.

وقد مارس التدريس في عصرونية حلب نيابة عن عمه نجم الدين أبي البركات عبد الرحمن لما ولي قضاء حماة. وظل يمارس التدريس في العصرونية بحلب حتى عاد عمه من حماة أيام الظاهر غياث الدين غازي عام ٥٩٨هـ[٣]. ثم ولي تدريسها مرة ثانية بعد عام ٦٠٥هـ، واستناب بها ولده قطب الدين أحمد[٤]. ولم يزل بها متولياً إلى أن توفي في دمشق في الثامن والعشرين من المحرم[٥].

---

[1] سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ٦٩٢/٨-٦٩٤
ابن كثير: البداية والنهاية ١٤٣/١٣.
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٨٧/٦

[2] سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ٦٩٤/٨ وقد ذكر تاريخين للوفاة ٦٣١هـ، ٦٣٢هـ دون ترجيح أحدهما على الآخر.
أبو شامة: تراجم رجال القرنين ص ١٦٢ يقول سنة ٦٣٢هـ/
ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص ٧٥. يقول الوفاة سنة ٦٣٢هـ
ابن كثير: البداية والنهاية ٤٣/١٣ الوفاة سنة ٦٣٢هـ
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٨٧/٦ الوفاة سنة ٦٣٢هـ

[3] ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ج/١ ق١ تحقيق ونشر دومينيك سورديل. دمشقز ١٩٥٣م المعهد الفرنسي ص ٩٩.

[4] ابن شداد: المصدر السابق

[5] المصدر السابق نفسه.

ولا يفوتنا أن نذكر تلاميذه الذين تخرجوا على يديه وأخذوا عنه كثيراً ومنهم:

أبو حفص عمر بن إبراهيم بن حسين بن سلامة الرسعني الغنيمي الكاتب.

ولد أبو حفص عام ٦٠٠هـ وسمع من جماعة منهم ابن روزَبهخ والمجد القزويني وابن رواحة وابن الزبيري وعبد السلام بن المطهر بن أبي عصرون[١].

وقد اشتهر بالأدب والإنشاء حتى استحق لقب الكاتب دلالة على علو شانه في هذا الميدان. وذكر الذهبي انه ابن العقيمي جمال الدين عمر بن إبراهيم بن سلامة الرسعني الكاتب.

وتتلمذ عليه كذلك ولده تاج الدين محمد.

وقد أنجب لنا عبد السلام ولدين هما القاضي تاج الدين أبو عبد الله محمد بن عبد السلام، والقاضي قطب الدين أحمد، وكلاهما نبغ في القضاء واشتهر وتخرج عليه التلاميذ الكثيرون.

أ- تاج الدين ابن أبي عصرون:

هو محمد بن عبد السلام بن المطهر العلامة ابن العلامة شرف الدين أبي سعد بن أبي عصرون، تاج الدين أبو عبد الله[٢] ولد أبو عبد الله عام ٦٠١هـ.

([1]) ابن القاضي: درة الحجال أو ذيل وفيات الأعيان ج/١ ط/١ سنة ١٩٧٤، مطبعة الحضارة ١٩٦/٣.
ويقول عنه: عبد السلام بن المظفر والصحيح كما تروي المصادر المعاصرة أنه عبد السلام بن المطهر.

([2]) الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٥٦/٣ =

بحلب[١].

وبدأ حياته العلمية بحلب حيث أخذ عن مشايخها أمثال أبي الحسن بن روزبة وابن الصابوني ووالده القاضي شهاب الدين عبد السلام وغيرهم.

وقد أجاز له المؤيد الطوسي وأسعد بن الرزاز وغيرهم[٢]. وقد اشتهر القاضي تاج الدين محمد بالفقه والفضل والتجريس. وقد درس بعدة مدار سفي الشام منها الشامية الجوانية بدمشق[٣]. وأجاد في إلقاء الدروس واشتهر بذلك بين المشايخ والعلماء في عصره. وكان كما نعتته المصادر((بورد الدرس مليحاً وهو من كبار الشيوخ)) [٤].

= المقريزي: السلوك ج/١ ق٣ ص ٨١٨

ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٧٧/٨. الدليل الشافي على المنهل الصافي ٦٣٧/٢ تحقيق فهيم شلتوت.

مكتبة الخانجي بمصر ١٩٨٣م. جامعة محمد بن سعود. القاهرة- مصر

الطباخ الحلبي: أعلام النبلاء ٥٢٧/٤.

([1]) الصفدي: المصدر السابق ذكره.

أبو المحاسنك الدليل الشافي على المنهل الصافي تحقيق فهيم شلتوت. في مكتبة الخانجي نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض. سنة ١٩٨٣. ٦٣٧/٢ ويقول: ولد في حلب عام ٦١٠ هـ مخالفاً غيره.

([2]) الطباخ الحلبي: أعلام النبلاء ٥٢٧/٤

الصفدي: المصدر السابق ٢٥٦/٣

النعيمي: الدارس ٣٠٤/١

([3]) الصفدي: المصدر السابق ذكره.

ابن تغري بردي(أبو المحاسن): النجوم الزاهرة ٧٧/٨

النعيمي: الدارس ٣٠٣/١

([4]) الصفدي: المصدر السابق نفسه.

ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٤٣٢/٥

وظل الشيخ تاج الدين أبو عبد الله محمد يقوم بمهام منصب التدريس على أن توفى عام ٦٩٥هـ عن عمر يناهز الخامسة والثمانين عاماً[١].

ب- قطب الدين ابن أبي عصرون:

هو قطب الدين أبو المعالي أحمد بن عبد السلام بن المطهر بن أبي سهد شرف الدين بن أبي عصرون التميمي الشافعي[٢].

ولد قطب الدين في رجب عام ٥٩٢هـ، واستطاع أن يختم القرآن عام ٥٩٢هـن واستطاع أن يختم القرآن عام ٥٩٩هـ، وهو ابن سبع.وقد أجاز له مشايخ العراق ومنهم ابن كليب

---

(1) الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٥٦/٣
يقول وفاته عام ٦٨٥هـ
المقريزي: السلوك ج/١ ق٣ ص ٨١٨
ابن تغري بردي(أبو المحاسن): النجوم الزاهرة ٢٨٧/٦ ويقول: وفاته في ربيع أول عام ٦٩٤هـ.
ابن تغري: الدليل الشافي على المنهل الصافي ٦٣٧/٢ ويقول مات ٦٨٥هـ.
ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٤٣٢/٥
الطباخ الحلبي: أعلام النبلاء ٥٢٧/٤ يقول الوفاة ٦٨٥هـ

(2) اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١٨٩/٣
الذهبي: العبر ٣٠٥/٥
الصفدي: الوافي بالوفيات ٦٠/٧ يضيف إلى ألقابه: الرئيس العالم الفاضل القاضي الحلبي.
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٢٥٧/٧
ابن تغري بردي: الدليل الشافي على المنهل الصافي تحقيق فهيم شلتوت، مكتبة الخانجي- القاهرة- جامعة الإمام محمد بن سعود ١٩٨٣م- ص ٥٣
المقريزي: السلوك ج/١ ق٢ ص ٦٣٨
النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ١٩٠/١
ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٣٤٥/٥

وأبو الفرج بن الجوزي المتوفى عام ٥٩٧هـ. فإن أجاز له فقد أجاز له وهو ابن خمس قبل وفاته. وغيرهما، ومن دمشق أبو طاهر الخشوعي. وسمع من ابن طبرزد وابن الحرستاني وابن ملاعب وغير هؤلاء كثير.

واشتهر قطب الدين بالتدريس وقد زاول المهنة في المدرسة الأمينية والعصرونية بدمشق[١]، والعصرونية بحلب وقد تولاها أول الأمر نيابة عن والده، لما توفي والده عام ٦٣٢هـ[٢]، تولاها رسمياً ومعه عز الدين عبد العزيز بن نجم الدين بعد الرحمن. وظلا إلى أن اقترفا إثماً كانت سبباً في إبعادهما عن وظيفة التدريس بل وسجنهما جزاء ما اقترفاه من الفساد[٣].

وأخرجا عام ٦٣٦هـ من السجن وأبعدا عن حلب فقصد قطب الدين دمشق وأقام بها، وقصد عبد العزيز مصر ونال الحظوة فيها في كنف الصالح نجم الدين أيوب بل وسفر له مراراً إلى بغداد وظل عبد العزيز يقوم بمهام منصبه حتى وفاته عام ٦٤٣هـ[٤].

إن مهنة التدريس أكسبت قطب الدين شهرة واسعة آنذاك وروى عنه الدمياطي وابن تيمية وابن العطار وابن الخباز والداواداري وجماعة كثيرة غيرهم. وقد أجاز للشيخ الذهبي كل مروياته[٥].

وهكذا ظل قطب الدين يدرس حتى توفي في جمادى الآخرة بحلب عام

---

(1) اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١٩٠/٣
الصفدي: الوافي بالوفيات ٦١/٧
(2) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ج/١ ق١ ص ٩٩-١٠٠.
(3) ابن شداد: المصدر السابق نفسه
(4) المصدر السباق نفسه.
(5) الصفدي: الوافي بالوفيات ٦١/٧ مصدر سابق.

٦٧٥هـ[١] ونتيجة لتقدمه في العلم أصبح علماً مشهوراً وقصده الطلاب من شتى البقاع وتخرج عليه تلاميذ كثيرون منهم:

تلاميذ قطب الدين:

إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاري الشافعي الدمشقي المعروف بالفركاح العالم المجرس المفتي برهان الدين أبو إسحق[٢].

ولد الفركاح عام ٦٦٠هـ وأخذ عن والده أبي إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن فارس التميمي، وإبراهيم بن إسماعيل المقدسي أخو شهاب الدين أبو شامة صاحب كتاب الروضتين،وأحمد بن عبد السلام بن أبي عصرون وغيرهم[٣]وقد أجاز له جماعة وأجاز هو لابن جابر[٤].

وقاضي القضاة ابن الحريري الحنفي: وهو محمد بن عثمان بن أبي الحسن قاضي القضاة شيخ المذهب شمس الدين بن صفي الدين الأنصاري

([1]) اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١٩٠/٣ ويقول مات يوم الأربعاء ١٦ جمادي الآخرة من عام ٦٧٥هـ
الذهبي: العبر ٣٠٥/٥
الصفدي: الوافي بالوفيات ٦١/٧
المقريزي: السلوك ج/١ ق٢ ص ٦٣٨.
ابن تعري بردي(أبو المحاسن): النجوم الزاهرة ٢٥٨/٧ الدليل الشافي ٥٣/١ ويقول :توفي عام ٦٩٥هـ
النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ١٨٠/١
ابن العماد الحنبلي: ذرات الذهب ٣٤٥/٥

([2]) ابن القاضي: درة الحجال ١٨٨/١.

([3]) المصدر السابق نفسه.

([4]) المصدر السابق نفسه.

الحنفي ابن الحريري الدمشقي[١]. ولد عام ٦٥٣هـــ وتفقه وبرع في المذهب وأفتى ودرس وتميز مع الوقار والحشمة والسمت والهيبة وانطلاق العبارة. سمع من جماعة منهم قطب الدين أحمد بن أبي عصرون[٢].

وأتقن بابن الحريري مهنة التدريس وبرع ودرّس في عدة أماكن ثم ولي قضاء دمشق ومصر. وتوفي في القاهرة عام ٧٢٨هـــ ومن المشهور عنه انه لم يرتش قط. وكان من عادته مراعاته الإعراب حتى فـــي معاملتـــه لنسائه في البيت[٣].

وعبد الرحمن بن عبد الحليم بن تيمية زين الجدين أبو الفرج أخو تقي الدين ولجد عام ٦٣٠هـــ بحران، وسمع من جماعة كثيرة منها القطب بن أبي عصرون أحمد بن عبد السلام.

وكان يتعاطى التجارة وهو خيرٌ دين حبس نفسه مع أخيه بالإسكندرية وبدمشق لأنه يقدره ويحبه, وظل إلى أن مات الشيخ ومات وهـــو عـــام ٧٤٧هـــ[٤].

---

(1) الذهبي: ذيول العبر تحقيق محمد رشاد سنة ١٩٧٠ ص ١٥٧
الصفدي: الوافي بالوفيات ٩٠/٤

(2) الصفدي: الوافي المصدر السابق نفسه
النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٥٤٦/١

(3) الذهبي: ذيول العبر ص ١٥٧ يؤكد وفاته عام ٧٢٨هـ
الصفدي: الوافي بالوفيات ٩٠/٤
النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٥٤٦/١

(4) ابن احجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، السفر الثاني دار الجيل بيروت- لبنان ٣٢٩/٢

وعبد العزيز بن عبد اللطيف بن عبد العزيز بن عبد السلام بن تيمية أبو محمد الحراني المولود في شعبان عام ٦٦٤هـ. ولما أصبح عمره أربع سنوات أحضر على ابن عبد الدايم وسمع من جماعة منهم أحمد بن عبد السلام بن أبي عصرون[١].

وسمع بمصر والإسكندرية ونعته البزالي بالصلاح وملازمة الخير طيلة حياته إلى أن توفي عام ٧٣٦هـ[٢].

ويحيى بن إسحق بن خليل بن فارس محيي الدين أبو زكريا الشيباني ولد أبو زكريا عام ٦٤٨هـ. وسمع من والده جماعة من شيوخ العصر وعلمائه منهم القطب بن أبي عصرون. وصحب شرف الدين بن الفركاح وحصل كثيراً من العلم. ووليّ قضاء أذرعات وغيرها.

ويصفه العسقلاني بأنه كان حسن السيرة كثير التواضع وخرج له الذهبي جزءاً وحدّث به ومات في ربيع آخر عام ٧٢٤هـ[٣].

وممن سمع القطب ابن أبي عصرون، أبو الحسن علي بن إبراهيم بن داود المعروف بابن العطار، وكان هذا علماً من الإعلام حتى دعي بشيخ الحديث، وهو ممن خرج لهم الذهبي فقد خرج له معجماً. وتوفى أبو الحسن عام ٧٢٤هـ[٤].

ثانياً: محيي الدين أبو حامد محمد بن أبي عصرون:

هو ابن آخر لشرف الدين عبد الله أبي سعد بن محمد بن أبي عصرون

---

(1) المصدر السابق نفسه ٣٧٦/٢

(2) المصدر السابق نفسه

(3) العسقلاني: الدرر الكامنة ٤١١/٤

(4) محمد أديب آل تقي الدين الحصني: منتجات التواريخ لدمشق ط/١ منشورات دار

جد بني عصرون المشهورين والذين نسبوا إليهن وهو شيخهم بلا منازع بل وزعيمهم الذي تنسب إليه المدارس العصرونية مدار البحث.

وذكرت المصادر المعاصرة أن محيي الدين محمد أبي حامد قد تولى نيابة القضاء إلى جانب والده عندما أصابه العمى. وظل والـــده يمـــارس الحكم الفعلي وولده في الظاهر نائباً له على الرغم مما أصيب بـــه مـــن العمى.

ولما مات والده شرف الدين أبو سعد عبد الله بن أبي عصرون عـــام ٥٨٥هـــ كما سلفن اشتغل محيي الدين بالقضاء وظل يمارسه وعلى رأس منصبه حتى طرده صلاح الدين الأيـــوبي عـــام ٥٨٧هـــــ، واســـتبدله بالقاضي محيي الدين بن الزكي. وظل ابن الزكي هذا حتى وفاة صـــلاح الدين الأيوبي[١]. ثم استمر بعده إلى أن حان اجله ٥٩٨هـــ[٢].

ولكن ما الدواعي والظروف التي جعلت صلاح الدين يستغني عـــن خدمات أبي حامد؟ أهي أسباب شخصية أم أسباب تعود إلـــى المـــصلحة العامة يا ترى؟

يؤكد سبط ابن الجوزي فيما يؤكد بالنسبة لهذه القـــضية أن أســـباب العزل تعود إلى أن محيي الدين أخذ يتقرب إلى الجند ويجنح إلى النواحي السياسية أكثر منه إلى نواحي القضاء، وإنه بدأ يشتغل بما يـــشتغل بـــه الأمراء من الأمور التي تبنى مجداً شخصياً، مهملاً بذلك أمور القـــضاء. فمثلاً بدأ يشتري الخيول والمماليك والترك. ثم تقدم خطوة أخرى حيـــث بدأ يباشر الحروب

(1) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج/٨ ق١ ص ٤١١
ابن واصل: مفرج الكروب ٥١/٢
ابن طولون: قضاة دمشق ص ٥١
(2) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان المصدر السابق نفسه.

ويتدخل بمعاملاته المالية مع الأمراء بل ويقرضهم الأموال، مما جعل السلطان يتبرم به ويعزله[١].

ويشتم من هذه الأسباب التي قدمها سبط ابن الجوزي كأسباب تفسيرية لعزل ابن أبي عصرون أن ابن أبي عصرون بدأ ينزع إلى إثارة الاهتمام به على الأساس السياسي. وبدأ يجنح إلى التمسك بالأمور الدنيوية، في سبيل بناء مجد شخصي زائف. وربما شعر صلاح الدين ربما رأى أن شخصية محيي الدين قد بدأت تطغى على ما سواه من القواد في المجتمع فترم صلاح الدين به وعزله، وكلمة تبرم تفيد أنه اغتاظ ويتلوها الحقد ثم الإطاحة بمن يُتبرم به.

ولكن ماذا يفعل محيي الدين بعد هذا المجد الذي تهاوى أمام صلاح الدين ذلك الشخص الذي بنى له ملكاً بحد السيف؟ أينطوي بين جنبات المجتمع شخصاً عادياً أم أنه سيسعى إلى استعادة مناصبه !؟

لم يتطرق اليأس إلى قلب محيي الدين أبي حامد بن أبي عصرون وبدأ يعمل بجد على استعادة مهام مناصبه القضائية، وظل يتحفز إلى الظهور مرة أخرى كقاضي للقضاة حتى وفاة صلاح الدين الأيوبي.

وفي عام ٥٩٠هـ رأى أن يذهب إلى القطر المصري ويتصل بالعزيز الأيوبي. ونظراً لما كان يتمتع به محيي الدين من سمعة طيبة سابقة وعلم غزير ولاّه العزيز قضاء الديار المصرية وضم إليه نظر الأوقاف فيها[٢]. ويبدو أنه نال الحظوة عند العزيز وبدأ نجمه يعلو من جديد في مصر.

---

(1) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج/٨ ق/١ ص ٤١١
ابن الجوزي: قضاة دمشق ص ٥١
(2) المقريزي: السلوك ج/١ ق١ ص ١٤٧

ولكن ظهر له منافس خطير عام ٥٩١هـ هو القاضي زين الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن عبد الله بن بندار والذي تمكن من أن يعمل وينجح في عزل محيي الدين ويتولى مهام مناصبه بدلاً منه(١). ولكن محيي الدين كعادته لا ينحني للعواصف بل يظل قمة شامخة في وجهها لذا حاول أن يعود مرة أخرى إلى استلام مناصبه وناضل زين الدين وغيره من الأعداء واستطاع أخيراً أن ينتصر على خصومه في ١٤ جمادي الأولى عام ٥٩١هـ. واستلم مناصبه القضائية في مصر من جديد(٢).

ولكن كما يبدو فغن النفوس في مصر لم تكن تميل إلى ابن أبي عصرون وعاود خصومه الطعن فيه لدى المسؤولين وتمكنوا أخيراً من كف يده عن القضاء في مصر وطمسوا إنجازاته القضائية حيث رفعت يده ويد نوابه من الحكم في ١٢/محرم/٥٩٢هـ، وصدر إليه الأمر بلزوم بيته ثم أخيراً أُمر بالخروج من مصر، فشرع بابه وأخذ يتجهز للمغادرة، ولكنه عزّ عليه أن يغادر مصر مطروداً على هذه الصورة فأخذ يتوسل إلى البقاء في مصر على الأقل فإن لم يكن صاحب منصب فليكن متواجداً بشكل طبيعي في مصر(٣).

والدليل على أن هناك مؤامرة حيكت ضده بمهارة فائقة، بطلها زين الدين علي بن يوسف بن بندار الدمشقي أنه أعيد عوضاً عنه ليمارس مهام مناصبه القضائية السابقة بعد عزله وتحجيمه وذلك في ٢٧/محرم ٥٩٢هـ(٤). ثم إن محيي الدين ظل بعد ذلك يعيش عيشه عادية في مصر إلى أن توفي عام

---

(1) المصدر السابق نفسه ١٥٨/١
(2) المصدر السابق نفسه.
(3) المقريزي: السلوك ج/١ ق/١ ص ١٥٩
(4) المقريزي: المصدر السابق نفسه

٦٠١هـ[١].

ولكن مهما يكن من أمر فإن محيي الدين بن أبي عصرون كـان مخلصاً لصلاح الدين الأيوبي منفذاً لأمره رغم كل الملابسات السابقة وكان دائماً يرافقه في معظم غزواته العسكرية مما آثار حسد الشاعر اللاذع اللسان شرف الدين أبو المحاسن بابن عنين فهجاه بشكل خطاب خاص موجه لصلاح الدين فقال:

صلاح الدين يا خير البرايا	ومن قد عم بالفضل الرعايا
سمعت بأن محيي الدين يغشى الوغى	والحرب ضاربة المنايا
فلا تشهد بصفعان قتالاً	فقوس الندف لا تصمي الرمايا[٢]

وقد تدخل أيضاً عام ٥٨٩هـ في الخلاف الحاصل بين أبناء صلاح الدين الأيوبي بعد موته حيث حصل نزاع على ولاية العرش وخلاف نتج عنه تقسيم دولة صلاح الدين فيما بعد. فتدخل محيي الدين لدى الأفضل الذي اشتهر بالعبث واللهو، وكان له أكبر الأثر في ردع الأفضل عما هو غارق فيه واتبع معه أسلوب الترغيب والترهيب حيث قال:((لا تسلم يوم القيامة)) وكان

([1]) أبو شامة: تراجم رجال الدولتين ٥٢ ويقول توفى عام ٦٠٢هـ
الذهبي: تاريخ الإسلام مجلد/١٨ ص ٨٢.
الصفدي: الوافي بالوفيات: ٣٤٩/٣-٣٥٠
العيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٥١/١-٥٢
ابن طولون: قضاة دمشق ص ٥١-٥٢
([2]) ابن عنين: ديوانه ص ١٣٠.
انظر ص ٩٢ من هذا البحث.

هذا سبباً كافياً لجعل الأفضل يقلع عن لهوه وعبثه[١].

وهذا يدلنا على أن محيي الدين كان يهمه استتباب الأمـــن والحفـــاظ على وحده الدولة الأيوبية.

أولاده:

هذا وقد خلف لنا محيي الدين ولدين اشتهرا في ميدان العلم والقضاء والرئاسة هما: شرف الدين عثمان، وأبو طالب محيي الدين عمـــر بـــن محمد[٢].

أ- شرف الدين عثمان:

هو الصدر شرف الدين عثمان بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي عصرون الملقب بالتركي[٣]، الدمشقي الشافعي التميمي المولود في دمشق في الثامن عشر من ذي القعدة عام ٥٨١هـــ.

([1]) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ١٢٢/٦

([2]) أشار النعيمي في الدارس ٣٩٠/١ قائلاً
ولما أخر شرف الدين بن أبي عصرون بقي ابن الحرستاني على نيابته مع ابنه محيي الدين عمر بن أبي عصرون المتوفى عام ٦٨٢هـ.
وهنا خلط النعيمي بين شخصيتين هما: شخصية محيي الدين محمد بن شرف الدين الذي تولى القضاء بعد أبيه عبد الله في الشام ٥٨٧/٥٨٥هـ والذي توفي عام ٦٠١هـ أو ٦٠٢هـ وكان نائباً لوالده قبل وفاته وشخصية محيي الدين عمر بن أبي عصرون وهو ابن محي الدين نفسه وقد ذكره النعيمي على انه ابن شرف الدين عبد الله أبي سعد جد آل عصرون والذي إليه ينسبون في حين أنه حفيده وابن ابنه محي الدين محمد وسمي محي الدين عمر بن محمد، وهو المتوفى عام ٦٨٢هـ.

([3]) اليونيني: (قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد بن احمد البعلبكي الحنبلي المتوفى ٧٢٦هـ): ذيل مرآة الزمانز

وقد وصفه اليونيني[١] بأنه كان كبير الهمة مفرطاً في العطاء يستقل الكثير وقد أنفق أموالاً عظيمة وحكى عن كرمه حكايات كثيرة وغريبة جداً،ومن هذا القبيل هداياه إلى أولاد شيخ الشيوخ بمصر[٢].

وهذا الشيخ المقصود هو أبو الحسن محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه شيخ الشيوخ في مصر والشام. وكان فقيهاً فاضلاً وصديقاً صالحاً توفي عام ٦١٧هـ[٣]. وكان الشيخ محمد قد تزوج ابنة المطهر ابن أبي عصرون فخلفت أربعة أولاد هم: فخر الدين، عماد الدين، كمال الدين، ومعن الدين، وهم أخوة الكامل الأيوبي بالرضاعة لأن أمهم ابنة المطهر قد أرضعته[٤].

وكان أشهرهم على الإطلاق فخر الدين لما فيه من الخصال الحميدة الجميلة والهيبة والوقار. وكان فاضلاً متأدباً سمحاً جواداً محبوباً خليفاً بالملك لصفاته السابقة[٥].

ولعل هذه القرابة هي التي مهدت الطريق أمام شرف الدين عثمان بن أبي عصرون لاستلام مناصبه القضائية في مصر.

ويروي قطب الدين اليونيني كذل كأن الجمال نصره الله قد أخبره وكان في خدمة شرف الدين عثمان بن أبي عصرون ان والده قد أورثه من الأموال والأثاث والقماش والخيول والبغال والجمال والمماليك والجواري والخدم ما لا

([1]) اليونيي: ذيل مرآة الزمان ٣٨٨/١

([2]) المصدر السابق نفسه

([3]) الحنبلي: شفاء القلوب ص ٣٠٠

([4]) الحنبلي: شفاء القلوب ص٣٠١

المقريزي: السلوك ج/١ / ق١ ص ٣٠٢

([5]) الكتبي: فوات الوفيات ٣٦٦/٤.

المقريزي: السلوك المصدر السابق ذكره نفسه.

يحصى لكثرته وأملاكاً وعقارات كثيرة وخلف له سطلاً من البلور له طوق ذهب وعلاقته من الذهب الخالص وهو مملوء بالجواهر النفيسة(١).

ومن الغريب أن شرف الدين عثمان قد وزع كل هذه الأموال على الفقراء والمحتاجين(٢) وهناك رواية أخرى عن كرمه بأنه كانت له أراض واسعة في عيون الفاسر الأراضي الخصبة. فكان يوزع كل ما تنتجه من غلات ومزروعات على الناس(٣). حتى عن معاصريه عيرّوه((من ضيّع ثمار عيون القاسر لا يستحق الحكم والقضاء)).

وكان في آخر عمره قد نفذت أمواله وأملاكه وغيرها ولم يبق له إلا ما يتناوله على سبيل النظر من الأوقاف النورية. وكان لكرمه قد باع أرض عيون الفاسر مما عرضه للنقد والتشقي(٤).

وقد بلغ شرف الدين عثمان حداً من العلم والتحصيل وحسن الخلق أهله لممارسة عملية التدريس في عدة مدارس منها العصرونية في حلب. وذلك حوالي ٦٤٣هـ(٥) ثم رحل بعد ذلك بمدة من حلب إلى دمشق ومنها توجه إلى مصر ونال الحظوة فيها بمساعدة أولاد شيخ الشيوخ صدر الدين المار ذكره والذي صاهر المطهر ابن شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون جد آل عصرون. وظل شرف الدين يواصل حياته كما يحب ويشتهي ويمارس العلم

---

(1) اليونيني: ذيل مرآة الزمان ٣٨٩/١
النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٤٠٦/١

(2) المصدران السابقان نفسهما

(3) اليونيني: ذيل مرآة الزمان ٢٣/٢

(4) المصدر السابق نفسه ٢٢/٢

(5) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ج١/ ق١ ص١٠٠
النعيمي: الدارس ٤٠٣/١

وتعلميه حتى انتقل إلى جوار ربه في العشرين من صفر عام ٦٥٨هـ، حيث اغتيل اغتيالاً[١].

ويعود السبب في اغتياله في مصر إلى انه كان قد اجتمع بالملك المظفر[٢] وأطلعه على كتاب جاء فيه مخطط يدل على أن بمصر دفائن من الأموال لا تحصى إلا بخراب عدة أماكن كثيرة.

ولعل بعض الحاضرين استمع إلى قوله هذا ممن كان يملك تلك النواحي فخاف أن يناله الأذى بخراب أملاكه فأقدم على اغتياله أو لعل المظفر نفسه أراد أن يقتله لئلا يفشي هذا الكلام إلى غيره ممن لم يحضر فيستغلها بمفرده وتذهب الأموال. وسواء صح هذا أو ذاك أو غيرهما من الأسباب المعقولة فإن شرف الدين قد فقد حياته في مصر بسبب ما أبداه من آراء.

وكان شرف الدين قد سمع من أبي الفضل محمد الغزنوي وأجاز له جماعة من البغداديين[٣].

أولاده:

وقد خلف لنا شرف الدين عثمان ولدين اشتهرا بعده هما: كمال الدين محمد الملقب بالجنيد والمولود في ١٤ صفر عام ٦٠٢هـ. ولكنه اشتهر بالانحراف بعد والده حتى أنه كان يلقب والده شرف الدين عثمان بالشيخ

---

(1) اليونيني: ذيل مرآة الزمان ١/ ٣٨٩
الكتبي: عيون التواريخ ج/٢٣٧/٢٠ ويقول وفاته في العشر الأول من صفر عام ٦٥٨هـ وهو في عشر الثمانين.

(2) اليونيني: ذيل مرآة الزمان ٣٨٩/١.

(3) المصدر السابق ٢١/٢

الضال. ومن الغريب أنه استلم نظراً الأوقاف، بعد موت والده عام ٦٥٨هـ. وقد انقطعت أخباره بعد عام ٦٦٠هـ[١].

والابن الثاني هو شرف الدين الصغير الملقب بشمس الدين وكان يشهد في مركز العصرونية وتوفي بعد أن خلف لنا ولداً ذكراً وكان شاباً في حدود ٦٩٠هـ[٢].

ومهما يكن فقد وصف الكتبي شرف الدين عثمان بأنه كان رئيساً جواداً مفرط الكرم يستقل الكثير من العطاء وأنفق الأموال العظيمة. وتوفي وهو فقير لم يخلف إلا ما قام بمؤونة تجهيزه وتكفينه[٣].

ب- أبو طالب محي الدين عمر بن محمد:

وهو الابن الثاني لمحيي الدين محمد بن شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون الجد الأعلى لآل عصرون. ودعي بأبي الخطاب محيي الدين عمر بن محمد بن القاضي أبي سعد عبد الله التميمي الدمشقي الشافعي[٤].

بدأ يحفظ القرآن صغيراً وتفتح على العلوم وهو ابن الخامسة فسمع من ابن طبرزد وغيره وانتظم في سلك الجندية وليس البقيار واشتهر ومع ذلك فإنه مارس مهنة التدريس بمدرسة جده العصرونية بدمشق.وظل يواصل مهنة التدريس حتى وفاته في ذي القعدة من عام ٦٨٢هـ عن ثلاثة وثمانين

---

(1) المصدر السابق ٢٤/٢

(2) المصدر السابق نفسه

(3) الكتبي: عيون النواريخ ٢٣٧/٢٠

(4) الذهبي: العبر ٣٩٩/٥-٣٤٠.
ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٣٦٠/٧
ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٣٧٩/٥.

عاماً[١].

إبراهيم بن كمال الدين محمد بن شرف الدين عثمان:

وجاء في الدور الكامنة ترجمة لإبراهيم بن محمد بن عثمان بن محمد محيي الدين بن القاضي شرف الدين عبد الله الملقب بالبهاء والمولود تقديراً في حدود ٦٧٠هـ. وقد سمع هذا من عم والده محيي الدين عمر بن محمد وغيره من جماعة كثيرة واستفاد بما أخذه وتوفي حوالي ي٧٤٤هـ[٢].

ثالثاً: نجم الدين أبو البركات عبد الرحمن بن أبي عصرون:

هو نجم الدين أبو البركات عبد الرحمن بن أبي سعد شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون. ولم أجد له ترجمة شافية تحدد سنة ميلاده ووفاته بالضبط وهناك معلومات متناثرة وردت عنه هنا وهناك تفيد بأنه كان احد أحد الذين درسوا بالمدرسة العصرونية بحلب عندما خرج والده شرف الدين إلى دمشق عام ٥٧٠هـ[٣].

وظل نجم الدين يدرس بالعصرونية إلى أن ولي قضاء حماة فخرج منها واستناب فيها ابن أخيه عبد السلام،ولم يزل بها إلى أن عاد نجم الدين من حماة إلى حلب حيث تولى التدريس أيام الظاهر غياث الدين غازي[٤]. وظل

([1]) المصادر السابقة نفسها
النعيمي: الدارس ٤٠٣/١
([2]) العسقلاني: الدرر الكامنة ٦٢/١-٦٣
([3]) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ج١ق١ ص٩٩.
بدران:منادمة الأطلال ص ١٣٢
([4]) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ج١ ق١ ص ٩٩.
ابن واصل: مفرج الكروب ج/٤ تحقيق حسن محمد ربيع ص ٧٧.

كذلك إلى أن رحل عن حلب إلى حماة متوفى بها في الثامن عشر من رمضان عام ٦٢٢هـ[1].

وجاء في الحوادث الجامعة المنسوب لابن الفوطي أنه في عام ٦٤٣هـ[2] حصل نزاع بين الصالح أيوب بن الكامل والصالح إسماعيل بن العادل وأرسل الصالح أيوب جيشاً لاحتلال دمشق فحاصرها وضيق عليها الحصار. ثم أعقب ذلك إجراء مفاوضات بين الطرفين أسفرت عن أن يذهب الصالح إسماعيل إلى بعلبك بدلاً من دمشق وأرسل الصالح أيوب إلى الخليفة العباسي سفيره عبد الرحمن بن أبي عصرون ليطلعه على جلية الأمور، وكان رد الخليفة.

([1]) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة المصدر السابق ص ٩٩-١٠٠

ابن واصل: مفرج الكروب المصدر السابق نفسه.

وجاء ف يكتاب مفرج الكروب لابن واصل أن نجم الدين عبد الرحمن قد ولي القضاء في حماة أيام الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه أيوب. وفي عام ٦١٦هـ قدم عماد الدين بن المشطوب منفياً من مصر أثر تدخله في شؤون الدولة. ولما وصل حماة أكرمه الملك الناصر وانضم إليه حوالي ثلاثة آلاف فارس وراجل يصحبهم نجم الدين عبد الرحمن قاضي حماة. وكان ابن المشطوب يقصد أراضي الأشرف موسى صاحب حلب ولكن الأشرف استطاع أن يلقي القبض على ابن المشطوب ومعه القاضي نجم الدين عبد الرحمن والقي القبض عليه وبحوزته حرمدان(محفظة) بها نسخ من الإيمان التي استحلف بها من وافق ابن المشطوب وكتب الأمراء والملوك الواصلة إيه بالموافقة فتشفع به فخر الدين بن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه قريب القاضي نجم الدين. لأن أم فخر الدين هي ابنة شهاب الدين بن شرف الدين أي أنها ابنة أخ نجم الدين فأطلق الأشرف سراحه سنة ٦١٧هـ وظل في حماة إلى أن توفي ٦٢٢هـ.

مفرج الكروب/: ج/٤/٢٩-٣٠، ٧٧، ٧٩.

المقريزي: السلوك ج/١ ص ٦٩٧ حاشية ٢.

([2]) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص٢٠١.

بأن أرسل إليه التقليد والخلع مع جمال الدين عبد الرحمن بن الجزوزي وبصحبته عبد الرحمن بن أبي عصرون.

وهذا ما يناقض ما قال به عز الدين بن شداد في الأعلاق الخطيرة، فقد ذكر ابن شداد[١] إن السفير الذي أرسله الصالح أيوب هو عز الدين بن عبد الرحمن وليس عبد الرحمن نفسه. ونميل إلى تصديق هذا الخبر لأن ابن شداد أكثر معاصرة للأحداث من ابن الفوطي[٢] أولاً ولأن عبد الرحمن توفي عام ٦٢٢هـ ثانياً فكيف يذهب سفيراً بعد موته ب ٢١ سنة!؟. ولأن عز الدين قد توفي عام ٦٤٣هـ ثالثاً فمن المنطق أن يكون السفير عز الدين لا والده عبد الرحمن.ولعل هذا الخلاف ناتج عن انه لم توجد ترجمة شافية لعبد الرحمن بن أبي عصرون، مما يجعل الفكر عاملاً في معظم المواقف ساعياً وراء الحقيقة يستقرئ الحوادث ويحللها بروح الناقد المحايد.

وورد في الدارس[٣] في تاريخ المدارس أن نجم الدين أبا البركات عبد الرحمن بن أبي عصرون قد تولى نظر مدرسة الأمينية بدمشق بعد ابن عبد الله خطيب الجامع وتولى بعده القاضي بدر الدين أبا المحاسن يوسف بن قاضي سنجار.

وذكر أبو شامة أن نجم الدين أبا البركات كان سفيراً لصلاح الدين إلى شيركوه بن ناصر الدين بن شيركوه أسد الدين بعد مقتل والده ناصر الدين محمد بنت أسد الدين شيركوه. وكان صلاح الدين قد كتب رسالة وأعطاها لنجم الدين أبي البركات عبد الرحمن بن أبي عصرون وذلك عام ٥٨١هـ

وهذا نصها:إلى ولدنا ناصر الدين قد عرفنا المصاب بوالده رحمه الله

---

(1) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ج/١ ق/١ ص١٠٠

(2) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص ٢٠١.

(3) النعيمي: الدارس ١٧٩/١

وعظم أجرنا وأجره فيه وإن مضى لسبيله فولدنا أسد الدين أحياه الله نعم الخلف الصالح. وإن انتقل والده إلى دار البقاء فهو في مكانه المستقر من المجد والعلاء والولايات. والبلاد والمعاقل باقية عليه مسلمة إليه مقررة في يده وما مضى من والده رحمه الله إلاّ عينه وولدنا قرة العيون وبه استقرار السكون والحمد لله الذي جبر به كسر المصاب وألبسنا وإياه أثواب الثواب فليشرح ولدنا صدره ولا يشغل سره ويعرف خواصه وأصحابه وولائه ونوابه بحمص والرحبة وغيرهما أنهم باقون على عادتهم)).

وهذه الرسالة لا شك تحمل في طياتها تطميناً لشيركوه بن ناصر الدين محمد بأنه باقٍ على أملاك والده لا ينازعه فيها احد وعيه أن يطمئن عماله على أملاكه بأنهم باقون على ولاياتهم[١].

أولاده:

والمهم أن نجم الدين أبا البركات عبد الرحمن خلف لنا من الأولاد ثلاثة اشتهروا بعده وهم:

نور الدين محمود، وعز الدين عبد العزيز، وشرف الدين يعقوب[٢].

أ- نور الدين محمود:

هو نور الدين محمود ابن القاضي نجم الدين أبي البركات عبد الرحمن بن أبي عصرون. روى عن المؤيد الطوسي وأجازه بما رواه. وتوفي في رمضان عام ٦٩٢هـ[٣].

([1]) أبو شامة: كتاب الروضتين ٢/حوادث ٥٨١هـ.
([2]) الذهبي: العبر ٣٧٣/٥.
([3]) الذهبي: العبر ٥/ ٣٧٣

ب-عز الدين عبد العزيز:

هو عز الدين عبدالعزيزابن قاضي القضاة نجم الدين أبي البركات عبد الرحمن وأخ نور الدين محمود بن القاضي شرف الدين أبي سعد بعد الله بن أبي عصرون[١].

اشتهر بالتدريس وتولى تدريس الشافعية البرائية بدمشق بعد نجم الدين راجح بن خلف المغربي المعروف بابن الحنبلي. ثم درس بها بعده محيي الدين أبي الفضل يحي بن الزكي[٢]. ودرس كذلك بالمدرسة العذراوية بدمشق أيضاً[٣] وتولى تدريسها بعد الرفيع الجيلي، ثم جاء بعده رفيع اليدين ومحيي الدين بن الزكي.

وجاء في الأعلاق الخطيرة[٤] لابن شداد أن عز الدين عبد العزيز قد تولى تدريس عصرونية حلب مع قطب الدين أحمد بن شهاب الدين عبد السلام، وظلا يتوليان التدريس حتى حصل منهما ما أساء إلى مهنة التدريس فأقيلا وسجنا ثم أُفرج عنهما عام ٦٣٦هـ. فقصد عبد العزيز مصر واتصل هناك بالصالح نجم الدين أيوب وقد كسب وده وثقته فأرسله في سفارة له إلى بغداد مرتين توفي في المرة الثانية بينما كان في القدس عام ٦٤٣هـ[٥] في طريقه إلى بغداد.

---

(1) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ج/٤ ق/١ تحقيق مصطفى جواد.وزارة الثقافة والإرشاد القومي المطبعة الهاشمية دمشق ١٣٨٢/١٩٦٢م ص ٢١٥ حاشية ١
النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٢٧٩/١.

(2) النعيمي: المصدر السابق.

(3) عمر كحالة: أعلام النساء ج/٣ ص٢٥٩. مطبوعات مؤسسة الرسالة بيروت ط/١٣٩٧/٣-١٩٧٧م.

(4) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ج/١ ق١ ص١٠٠.

(5) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ج/١ ق/١ ص ١٠٠.

ج- شرف الدين يعقوب بن عبد الرحمن:

وهو شرف الدين يعقوب الابن الثالث لنجم الجدين أبي البركات عبد الرحمن بن شرف الدين عبد الله أبو سعد جد آل عصرون المشهور(١).

روى وحدّث بالمدرسة القطبية في القاهرة مدة ومات بالمحلة في رمضان من عام ٦٦٥هـ، وله مسائل جمعها على المهذب. وأرخه البرزالي في وفياته التي هذ١بها الذهبي(٢).

وجاء في تراجم القرنين لأبي شامة أنه توفي عام ٦٥٤ه،ـ شخصان من آل عصرون هما:/ معين الدين محمد بن عبد الله بن أبي عصرون ويصفه أبو شامة بحسن الخلق والوسامة والجمال والفضل وأنه مكن تلاميذه.

ومجير الدين بنتن محيي الدين ابن عم معين الدين محمد ويصفه أيضاً بحسن الخلق وأنه من أولاد الأكابر بدمشق(٣).

ويستفاد من مجمل هذه السطور أن معين الدين محمد هو ابن عبد الله بن عصرون جد العائلة المنسوبة إليه المتوفى عام ٥٨٥هـ كما مر. وأن مجير الدين هو ابن محيي الدين وحفيد عبد الله الجد الأكبر للعائلة العصرونية.

والذي توصلت إليه عبر المصادر المتوفرة لدي ظهر لي أن محي الجدين محمد هو ابن عبد الله بن أبي عصرون وتوفي كما هو ثابت عام ٦٠١ أو

---

(1) الأسنوي: طبقات الشافعية ١٩٦/٢
السيوطي: حسن المحاضرة جز١ ط/١، ١٣٨٧-١٩٦٧م. تحقيق محمد إبراهيم أبو الفضل: دار إحياء الكتب عيسى البابي الحلبي ٤١٤/١

(2) الأسنوي: طبقات الشافعية المصدر السابق.
السيوطي: جسن المحاضرة ٤١٥/١. الزركلي: الأعلام ٢٦٣/٦

(3) أبو شامة: تراجم رجال القرنين ص ١٩٤ حوادث سنة ٦٥٤.

٦٠٢هـ. والأقرب أن يكون مجير الدين هذا ولده وانه توفي عام ٦٥٤هـ[١]. ويضاف إلى أولاد محيي الدين محمد المار ذكرهم وهما: شرف الدين عثمان المتوفى عام ٦٥٨هـ، وأبو طالب محيي الدين عمر المتوفى عام ٦٨٢هـ.

وأما معين الدين محمد فيحتمل أن يكون ابناً رابعاً إلى شرف الدين عبد الله جد العائلة كما يستفاد منم النص السابق. ولكن كيف يصبح ابن عم مجير الدين فيكون عمه لا ابن عمه. ويكون هناك أربعة أولاد لعبد الله بن أبي عصرون محيي الدين محمد، ومعين الدين محمد هذا ونجم الدين أبو المعالي المطهر وأما أن يكون خطأ النساخ أي سقط اسمه اسم آخر سهواً وهو أحد أبناء نجم الدين أو محيي الدين أو المطهر أبناء عبد الله بن أبي عصرون.

([1]) أبو شامة: المصدر السابق نفسه.

الفصل السابع
المدارس العصرونية

أولاً: العصرونية في حلب.

ثانياً: عصرونية دمشق.

ثالثاً: عصرونية حماة.

رابعاً: عصرونية حمص

خامساً: عصرونية بعلبك

سادساً: عصرونية منبج

سابعاً: عصرونية الرحبة

استعمل هذا اللفظ ((المدارس العصرونية)) ليدلل على مجموعة من المدارس نسبت إلى شرف الدين أبي سعد عبد الله بن أبي عصرون التميمي الشافعي الفقيه.وقد بناها له سلطان الشام نور الدين محمود زنكي اعترافاً بفضله وإكراماً لشخصه.

وعبد الله هذا هو الجد الأكبر الذي ينسب إليه آل عصرون، ودعي بالجد الأكبر لأنه هو الذي اشتهر بالعلم في أول الأمر من هذه العائلة الكريمة ثم تبعه أولاده وأحفاده فيما بعد.

وقد أضاف شرف الدين نفسه مدارس أخرى إلى هذه المجموعة وأصبحت بعد ذلك معاً تعرف بالمدارس العصرونية. وسنتكلم عن هذه المدارس ما وسعنا الحجة وأسعفتنا المصادر والمراجع.

ولاشك في أن شهرة هذه المدارس تأتي من شهرة من يدرس بها أو من شهرة من نسبت إليه وأقصد به شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون نفسه. ولعل أثره في ميدان القضاء والسياسة هما من الأسباب الوجيهة التي كانت محصلتها الشهرة الني حازت عليها هذه المدارس.

وما دام ابن أبي عصرون مشهوراً في ميادين الفقه والعلم والسياسة والقضاء فإن هذه الشهرة انسحبت على جملة ما ينسب إليه من المدارس وظلت هذه المدارس تواصل شهرتها على مر الأيام حتى بعد أن خربت في الوقت الحاضر. ولا يزال اسم العصرونية يطلق على سوق أو شارع أو مجلة للآن في دمشق وحلب. وهذا يفسر الشهرة التي حملتها هذه المدارس منذ إنشائها حتى الآن.

أولاً: العصرونية في حلب:

هي مدرسة قديمة كبيرة منسوبة على شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون ويرجع بناؤها إلى أيام نور الدين محمود زنكي سلطان الشام ومصر واليمن المتوفى عام ٥٦٩هـ[1].

وتشير المصادر المعاصرة إلى أن هذه المدرسة كانت في الأصل داراً لأبي الحسن علي بن أبي الشربا وزير بني مرداس أصحاب حلب. ولما جاء تنو الدين محمود بن زنكي إلى حلب اشترى هذه الجدار وحولَّها مدرسة وجعل فيها مساكن للمرتبين من الفقهاء والطلاب والخدم.وأصبحت مؤسسة تعليمية تقدم الخدمات والسكن والراتب لمنسوبيها من الطلاب والفقهاء وذلك عام ((٥٥٠هـ)) [2].

([1]) محمد أسعد طلس: الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب ص ٢٢٦
وقد ذكر: بجانب محمود نور الدين زنكي(٥٥٩هـ) وأظن أنه أراد أن يقول سنة ٥٦٩هـ وهي سنة وفاةد
نور الدين زنكي.
محمد كرد علي: خطط الشام ١٠٥/٦

([2]) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ج/١ ق١ تحقيق سورديل، تاريخ دمشق ص ٩٨
ابن العديم: زبد الحلب ٢٩٣/١
ويقول ابن العديم: أن ابن أبي الثريا هو وزير عطية بن مرداس.
ابن العديم زبد الحلب ٤٨/٢
ويقول : عن هذا الوزير لتدخله في أمور العرش بعد عطية وميله إلى أبيه شعيب جعل الابن الآخر نصر يعمل على قتله عندما آلت إليه أمور الحكم في حلب.
وكان راكباً تحت القلعة في يوم من الأيام وهو في حشمة على بغلته وعمل في رجله جبل وجذب جثته من تحت القلعة إلى باب أنطاكيا جزاء لما فعله بأبي بشر وصدق فأل أبي بشر وكان نصراً قد اتهمه بأنه أشار على والده أن يولي أخاه الأصغر شيباً.وكذلك قتل نصر ناجية بن على أحد ولاة أبيه لنفس السبب. واستوزر نضر أبا نصر محمد بن الحسن التميمي المعروف بابن النحاس الحلبي. =

وبعد أن أتم محمود نور الدين زنكي البناء استدعى لها شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون من سنجار من أرض الجزيرة الفراتية. وهنا لابد لنا أن نتساءل كيف يتفق هذا التاريخ مع ما أجمعت عليه المصادر(١)، من أن نور الدين محمود قد استدعى شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون من سنجار عام ٥٤٥ه،، وبنى له المدارس ومنتها عصرونية خلب هذه؟، وتواصل هذه المصادر أن شرف الدين هاجر إلى دمشق عام ٥٤٩هـ وظل يدرس بها مدة ثم عاد إلى حلب وظل بها حتى عام ٥٧٠هـ، ثم انتقل إلى دمشق وظل بها حتى موته عام ٥٨٥هـ كما مر.

وهناك حادثة تؤيد أن هذه المدرسة بنيت قبل عام ٥٥٠هـ وعلى الخصوص عام ٥٤٥هـن وهي حادثة استدعاء شرف الدين بن أبي عصرون من الموصل أو سنجار ليتسلم مدرسته في حلب إثر الخلاف الحاصل فيها بين جماعة الفقهاء نهاية عام ٥٤٤هـ، الذين انقسموا إلى قسمين: العرب والأكراد. فالعرب يحبذون وجود شرف الدين بن أبي عصرون والقطب

= أحمد بدوي: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٤م ص ٧٠

ويقول: بنيت عام ٥٤٥هـ واستدعى لها ابن أبي عصرون من الشام وهو ما ذهبنا إليه ونؤكده لاتفاقه مع الواقع.

(1) أبو شامة: كتاب الروضتين ١٣/١

يقول: أن محمود نور الدين استدعى شرف الدين ابن أبي عصرون والقطب النيسابوري إثر اختلاف الفقهاء من العرب والأكراد بعد موت الفقيه المرادي المتوفى سنة ٥٤٤هـ خوفاً من وقوع الفتنة وسلم شرف الدين عصرونية حلب والنيسابوري مدرسة النضري. عام ٥٤٥هز وهذا يثبت أن بناء المدرسة عام ٥٤٥هـ لا عام ٥٥٠هـ

ابن خلكان:وفيات الأعيان ٥٣/٣ ويؤيد ما قاله أبو شامة

النيسابوري يحبذ وجوده الأكراد. وكحلٍ لهذا الأمر فقد استدعى نور الدين الاثنين حفاظاً على وحدة المسلمين وعدم انتشار الفوضى والضعف في الصفوف. وسلم ابن أبي عصرون عصرونية حلب وسلم القطب النيسابوري مدرسة النضري في حلب أيضاً، لتهدئة النفوس[١].

ثم لو أن هذه المدرسة عام ٥٥٠هـ لكان استدعى لها نور الدين شرف الدين من دمشق لا من سنجار أو الموصل.وما دام استدعاه من سنجار فإن المدرسة بنيت عام ٥٤٥هـ، وهو العام الذي قدم فيه شرف الدين بن أبي عصرون إلى حلب من سنجار أو الموصل.

ولم يقتصر تقدير نور الدين لابن أبي عصرون على استخدامه في التدريس فقط بل بنى له المدارس الكثيرة في كل من حلب ومنبج وحماة وحمص وبعلبك ودمشق.

ولكن مهما يكن من أمر فإن المدرسة العصرونية في حلب تقع في محلة الفرافرة في المدينة على الجادة الكبرى شمالي جامع الحياث المعروف قديماً بالمدرسة الناصرية.

ونقل طلس عن الغزي في نهر الذهب ٢/ ١٤٠ [٢] أن الإعصار قد تغلبت على هذه المدرسة حتى ضاع معظم وقفها وأشرفت على الخراب وأغلق بابها مدة قرنين. ثم في حدود عام ١٢٨٠هـ عمَّر المتولي عليها قبلتها وبقيت

([1]) أبو شامة: كتاب الروضتين ١٣/١
الطباخ الحبي: اعلام النبلاء ٧٦/٢ ناقلاً الحادثة عن ابن العديم.
محمد أسعد طلس: الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب ص ٢٢٦.
أحمد بدوي: الحياة العقلية في بلاد الشام. ص٧٠

([2]) محمد أسعد طلس: : الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب ص ٢٢٧.

مغلقة حتى عام ١٢٩٩هـ حيث عمر والي خلب جميل باشا من عائغد وقفها منكاناً واسعاً على يمنة الداخل إليها، اتخذتنه الحكومة مكتباً ابتدائياً لتعليم الصبيان(١). ثم عمَّر في وجهتها الشرقية بعض الحجر صار يسكنها بعض الطلبة الغرباء ثم هجرت وصارت مسكناً للفقراء.

وقد هربت الأوقاف العصرونية عام ١٣٤٣هـ وأقامت بدلاً منها دوراً للسكن يضاف ريعها لواردات الأوقاف العامة في المدينة(٢). وقد وجد على باب المدرسة مكتبو((يتولى ابن أبي عصرون)). وهذه المدرسة محصورة والدليل على ذلك ما تقدم من قول ابن شداد أنو نور الدين قد جعل فيها مساكن للمرتبين بها(٣). وفوَّض إلى شرف الدين ابن أبي عصرون أن يولي التدريس في العصرونية وبغيرها من مدارسه من شاء من العلماء شرط أن يكون أهلاً للتدريس(٤).

ومساحة سماوي المدرسة ٢٠ ×٢٠ ذراعاً.وفي الجهة الشرقية منها رصيف على طول السماوي في غرض بضعة اذرع. وفي الجهة الغربية أربع حجرات حديثة البناء. وفي الجهة الجنوبية قبلية في شرقها حجرة، وفي شرقيها باب يدخل منه إلى ميضأة واسعة. وفي غربي القبلية مغارة لها باب إلى السماوي.

---

(1)الطباخ الحبي: أعلام النبلاء ٢٨٣/٤

(2) الطباخ الحلبي: المصدر السابق نفسه.

محمد كرد علي: خطط الشام ١٠٥/٦

يقول كان لها بقية حتى عام ١٣٤٣هـ إذ شرعت إدارة الأوقاف لخرابها وإقامة دور للسكن مكانها يضاف ريعها إلى الأوقاف العامة

(3) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ج/١ ق١ ص ٩٨

(4) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ج/١ ق١ ص ٩٩

وإذا دخلت من باب المدرسة رأيت فسحة في جنوبيها فيها المكان الذي تعلم فيه الأطفال.وفي شماليها الغربي حوض عالٍ تجاهه بئر، وقد عمرت على مصيفها دار وفتح لها باب على الجادة(١).

ولكن للأسف فلقد خربت هذه المجرسة التاريخية عام ١٩٥٤م ، عندما فتحت الطريق العام المار في المدينة(٢).

ويقول الطباخ الحلبي: وهذه المدرسة يدخل إلى داخلها بدرج ولها باب آخر من الغرب وبها قاعة لمدرسيها ووقف لها واقفها أوقافاً، حوانيت وقرى داخل حلب وخارجها(٣).

ثم بعد المحنة التيمورية لما قدم المؤيد إلى حلب جدد سوقها وجعله نصفين نصفاً للمدرسة العصرونية بحلب والنصف الآخر لمدرسته في القاهرة وذلك بطريق شرعي لأنه كان قادراً على استئجاره بأجرة بخسة وذلك بإشارة من القاضي ناصر الدين بن البارزي كاتب سره، وقام بعمارته القاضي شهاب الدين بنم السفاح ورتب الفقهاء على السوق المذكور.وفي عام ٨٧٠هـ، كان عدد الفقهاء المرتبين يربو على المئة فقيه.

وقد أصاب هذه المدرسة الخراب أكثر من مرة فبعد إنشائها بحوالي عشر سنين وفي أثناء مرض نور الدين أمير ميران فطمع بالعرش واستمال الحلبيين وملك المدينة دون القلعة وأذن للشيعة أن يزيدوا في الآذان

---

(1) محمد أسعد طلس: الآثار الإسلامية في حلب ٢٢٧-٢٢٨
(2) محمد أسعد طلس: المصدر السابق ص ٢٢٨ حاشية ١
(3) الطباخ الحلبي: أعلام النبلاء ٢٨٢/٤
(٤) ابن العديم: زبدة الحلب ٣٠٩/٢

((حي على خير العمل)) فثارت الفتنة ونهب الشيعة مدرسة ابن أبي عصرون في المدينة فيما نهبوا وخسر بعض مؤلفاته في تلك المدرسة[١].

ويصفها صاحب كنور الذهب[٢] بأنها((روضة العلماء)) وتقع شمالها المدرسة المنصورية.

وليست هذه المدرسة هي الوحيدة التي تنسب إلى ابن أبي عصرون في حلب بل هناك حمامان لابن أبي عصرون وهما بسويقة حاتم بالأبارين أحدهما تعطل وصارا وقفاً على رباط بالقدس وغزة. والآن لا يزال لفظ العصرونية يطلق عليها في حلب .ويسمى حمام النعيم[٣].

وقد ذكر طلس حماماً لابن أبي عصرون في ٢٦٩ نقلاً عن ابن شداد أن الحمامين في باطن حلبي ثم تقل في ص ٢٧٣ أنهما في ظاهر حلب . وعند العودة إلى الأعلاق الخطيرة لابن شداد[٤] رأيناه يذكر الحمامين بظاهر حلب[٥] وسمى أحدهما حمام ابن أبي عصرون والثاني حمام بني عصرون لظاهر حلب[٦]. ويزيد أن هناك درب مدرسة بني عصرون أيضاً[٧].

وقف المدرسة:

تروي المصادر أن نور الدين زنكي قد ولّى شرف الدين بن أبي عصرون

(1) ابن العديم: زبدة الحلب ٢٩٣/١
محمد أسعد طلس: الآثار الإسلامية ص ٢١٧
(2) محمد أسعد طلس: المصدر السابق ص ٢٦٩ حاشية ٦
(3) محمد أسعد طلس: المرجع السابق ص ٢٦٩-٢٧٣
(4) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ج/١ ق١ ص ١٣١
(5) المصدر السابق ص ١٣٤
(6) المصدر السابق ص ٦٠

التدريس والنظر في مدرسته وغيرها من المدارس وفوَّض إليه أمر تعيين من يراه أهلاً لمهنة التدريس، ووقف عليها أوقافاً تكفي المصروفات المفروضة لهذه المدرسة.ووقف عليها حوانيت وقرى داخل حلب وخارجها[١].

ومن وقفها حمام العتيقة. ويعلق أبو ذر على هذا بقوله:/ وهي الآن خراب بالقرب من خندق القلعة من جهة الغرب وهي وقف العصرونية[٢].

ثم مر بنا أن المؤيد عندما حضر إلى حلب جدد سوقها(سوق العصرونية) وجعله قسمين: قسم يصرف ريعه على المدرسة العصرونية بحلب واقسم الآخر يصرف على مدرسة المؤيد في القاهرة[٣].

ولاشك في أن أوقافها كثيرة وكانت تكفي المصروفات اللازمة بدليل أن المرتبين فيها عام ٨٧٤هـ كانوا يربون على المئة فقيه. وهذا يبرهن لنا على أهميتها ويلقي الضوء على دورها في العملية التعليمية على مر العصور والأزمان.

مدرسو عصرونية حلب:

تولى شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون هذه المدرسة نظراً وتدريساً بتفويض من نور الدين زنكي وظل هذا يتولى هذين المنصبين حتى عام ٥٧٠هـ حيث غادر حلب متوجهاً إلى دمشق.

ولما غادر حلب استخلف(نيابة) فيها ولده نجم الدين أبو البركات عبد الرحمن. وظل هذا حتى ولي قضاء حماة فغادر المدينة والمدرسة متوجهاً إلى مقر وظيفته الجديدة واستناب في العصرونية ابن أخيه عبد السلام ابن

---

(1) الطباخ الحلبي: أعلام النبلاء ٢٨٢/٤
(2) محمد أسعد أطلس: الآثار الإسلامية ص ٢٧١
(3) الطباخ الحلبي: أعلام النبلاء ٢٨٢/٤

المطهر بن عبد الله شرف الدين أبو سعد.وظل عبد السلام يتولى نيابة التدريس في العصرونية حتى عاد إيه نجم الدين من حماة إلى حلب فأخذ تدريسها منه وذلك أيام الملك الظاهر غياث الدين غازي عام ٥٩٨هـ[١].

وظل نجم الدين مدرساً إلى أن رحل هن حلب إلى حماة ثانية حيث توفي فيها في ١٨ رمضان ٦٢٢هـ[٢] فاستلم التدريس بها بعد ذلك فخر الدين سرخاب بن الحسن بن الحسين الأرموي نيابة عن أبيه الشيخ شرف الدين ولم يزل مدرساً بها نيابة ثم استقلالاً إلى أن خرج من حلب عام ٦٠٥هـ متوجهاً إلى إربل[٣]. وهمنا عاد شهاب الدين عبد السلام بنم المطهر ثانية إلى التدريس بها واستناب بدلاً منه ولده قطب الدين أحمد إلى أن توفي بدمشق عام ٦٣٢هـ[٤].

ولما توفي شهاب الدين ولي تدريس العصورنية في حلب كل من ولجه قطب الدين أحمد وعز الدين عبد العزيز بن نجم الدين عبد الرحمن بن شرف الدين أبي سعد عبد الله بن أبي عصرون.

واستمر هذان في التدريس حتى حصلت منهما أعمالاً مخلة في شرف المهنة فعزلا وحبسا مدة.ثم أخرجا عام ٦٣٦ه، فقصد قطب الدين أحمد دمشق وأقام بها، بينما قصد عز الدين عبد العزيز مصر واتصل بالصالح أيوب[٥] وسفر له مرتين إلى بغداد. وتوفي في المرة ا لثانية بالقض\ادس في رمضان أو شوال عام ٦٤٣هـ[٦].

---

(1) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ج٣ ق١ ص٩٩.
(2) ابن شداد: المصدر السابق نفسه.
(3) المصدر السابق نفسه.
(4) المصدر السابق نفسه.
(5) ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ج/٣ ق١ ص١٠٠.
(6) المصدر السابق نفسه.

وتولى تدريس العصرونية في حلب بعد ذلك شرف الدين عثمان بن محمد بن أبي عصرون المعروف بالتركي مدة ثم رحل بعد ذلك إلى دمشق وتصدر التدريس بعده نجم الدين أحمد بن عز الدين عبد العزيز السالف الذكر.؟ إلا أن هذا لم يكن نبيهاً محمود السيرة كفئاً لعملية التدريس ولكنه بقي رغم ذلكم يدرس بالعصرونية حتى مجيء التتار إلى حلب وحصلت الكارثة عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.

ويبدو أن المدرسة في زمنه بدأ ذكرها يخبو وسمعتها تنحدر لأن شهرة المدرسة من شهرة مدرسيها,.

وقال أبو ذر في كنوز الذهب: وبعد المحنة التيمورية درس بالعصرونية في حلب شيخنا المؤرخ دروساً حافلة سيما وأن قصروه كافل حلب اعتنى بتعمير المدارس وترميمها فعمر شيخنا العصرونية ودرس بها دروساً تدل على سعة علمه وغزارته وسعة اطلاعه. وكان قد حر معه الكافل وفضلاء حلب كوالدي(والد أبي ذر) والشيخ عبيد والشيخ بدر الدين بن سلامة ثم درس بها بعد شيخنا.

القاضي جمال الدين الباعوني وكانت أيامه أيام قطع حيث قطع معلوم كل من يأخذ معلوماً من وقف المدرسة وبدأ بنفسه[١].

ثم درس بها الشريف الحسيني قاضي حلب ودرس بها دروساً بليغة تنم عن سعة اطلاعه وحسن أدائه وغزارة علمه وهو آخر من درس بها في حلب[٢].

ويقول الطباخ الحلبي أن التاج الكركي أخذ تدريس العصرونية بحلب

([1]) الطباخ الحلبي: أعلام النبلاء ٢٨٣/٤

([2]) المصدر السابق نفسه.

وذلك لينكشف عن طلب القضاء[١].

وبين قول ابن شداد السابق وقول أبي ذر في كنوز الذهب ذكرت المصادر عدداً من الذين مارسوا عملية التدريس في عصرونية حلب لا بأس أن نأتي على ذكرهم ومنهم:

حجة الدين أبو جعفر النحوي اللغوي محمد بن عبد الله بن محمد بن ظفر المكي الصقلي[٢] المولود في مكة. وقد تنقل ما بين مصر والمهدية في شمال أفريقيا وصقلية ثم مصر وحلب وأقام بالمدرسة العصرونية وصنفا كتباً قيمة في علوم شتى كالتفسير، ثم جرت الفتنة بين السنة والشيعة والظن أنها فتنة عام ٥٥٤هـ، فأصابه سوء وخسر جزءاً من مؤلفاته فرحل إلى حماة وظل بها إلى أن توفي عام ٥٦٥هـ[٣].

والظاهر أنه لقي الرعاية في حماة وأجري له راتب شهري وصنف مصنفاته الكثيرة حتى مات. وكان مشهوراً باللغة أكثر من النحو ولا بأس أن نذكر طرفاً من مؤلفاته وهي:

ينبوع الحياة في التفسير، التفسير الكبير، الاشتراك اللغوي، الاستنباط المعنوي، سلوان المطاع، القواعد والبيان والنحو، الرد على الحريري في درة الغواص، أساليب الغاية في أحكام آية. المطول في شرح المقامات، التنقيب على ما في المقامات من الغريب، ملح اللغة فيما اتفق لفظه واختلف معناه على حروف المعجم خبر البشر بخير البشر، نجباء الأنبياء، معاتبة الجريء

---

(1) المصدر السابق نفسه ٤/ ٣٩٦.
(2) السيوطي: بغية الوعاة ج/ ١ ١٤٢- ١٤٣. ياقوت معجم الأدباء ٤٨/١٩.
(3) السيطي: بغية الوعاة ١٤٢/١.
الحموي: معجم الأدباء ٤٨/١٩-٤٩.

على معاقبة البريء، إكسير كيمياء التفسير، أرجوزة في الفرائض والولاء وغير ذلك[١].

وإبراهيم بن عمر بن المنجا التبريزي الحلبي الملقب جمال الدين بن الحكم، والمولود عام ٦٩٠هـ. وتفقه ببلده على مشايخها وبرع ثم ناب في القضاء بحلب عن الكمال المصري. وكان هذا مدرساً بالعصرونية فناب عنه إبراهيم بن عمر. وسمع إبراهيم من الواد آشي وحدث عنه. وسمع منه أبو بكر بن المخصوص ، ومات تقريباً حوالي ٧٧٠هـ[٢].

ورشيد بن كامل الرقي المولود عام ٦٢٥هـ وكان هذا قد اشتهر بالفقه والأدب وسمع من شيوخ عصره كابن مسلمة ومكي بن علان وغيرهما ثم تولى كتابة ديوان الإنشاء ودرس في العصرونية بحلب وأصبح بعد ذلكم شخصية متميزة في المجتمع الحلبي حيث تولى وكالة بيت المال وهو منصب مالي مرموق لصاحبة أهمية خاصة[٣].

وقد مدحه الذهبي بقوله:((كان ذا عقل وصيانة وله النظم والنثر وولي نظر الحسبة بدمشق)) [٤].

وقال ابن الزملكاني:((كان عنده أدب وفضل وكان حسن النظم والنوادر وولي ديوان الإنشاء مدة ثم ولي وكالة بيت المال بحلب وكان قليل الشروحات مات بحماة عام ٧١١هـ[٥].

([1]) السيوطي: المصدر السابق ١٤٣/١
الحموي: المصدر السابق نفسه.
([2]) العسقلاني: الدرر الكامنة ٥٢/١
([3]) العسقلاني: الدرر الكامنة ١١٠/٢
([4]) العسقلاني: نفس المصدر
([5]) المصدر السباق نفسه.

ومحمد بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر بن هبة الله الحلبي المعروف بابن النصيبي تاد الدين أبي المكارم المولود عامك ٦٤١هـ تفقه للشافعي وتتلمذ على مشايخ عصره كابن العجمي وغيره، ودرس بالعصرونية وولي وكالة بيت المال وكتابة الدرج وكان من الرؤساء المشهورين، توفي في ذي القعدة عام ٧١٥هـ[١]، عن عمر يناهز الرابعة والسبعين.

قال الذهبي: كان مدرس العصرونية ووكيل بيت المال وولي مرة نظر الأوقاف وكتابة الإنشاء[٢].

وشيخ زادة ابن جمال الدين أحمد بن نعمة الله بن جنيد بن جمال الدين محمد بن أحمد بن مسعود بت عبد الله الأنصاري الشهير، جده الأعلى شيخ الإسلام الهروي صاحب منازل السائرين نزيل حلب,.

وكان قد تفقه على المذهب الشافعي ونزل خلب وولي بها تدريس العصرونية، وكان يتعاطى الكيف وهو مستغرب من مثله. وقد أتقر في سحنته، وأبوه من شيوخ العلم المشهود لهم، ومن بيت الرئاسة والعلم وتوفي في حلب عام ٩٦٧هـ[٣].

ثانيا: عصرونية دمشق:

تقع هذه المدرسة داخل بابي الفرج والنصر شرقي القلعة وغربي الجامع بمحلة حجر الذهب[٤] عند سويقة باب البريد.ويزيد ابن كثير((قبالة داره))

---

(1) المصدر السابق ج/٣/٣٥٥-٣٥٦

(2) الذهبي: ذيول العبر ص ٨٥.

(3) الغزي(نجم الدين): الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة تحقيق جبرائيل جبور دار الآفاق الجديدة بيروت- لبنان ط/٢ سنة ١٩٧٩ ٣/ص ١٥٩. في ثلاثة أجزاء.

(4) النعيمي: الدارس ٣٩٨/١
عبد القادر بدران: منادمة الأطلال ص ١٣١. =

دار عبد الله بن أبي عصرون، بينهما عرض الطريق(١).

وذكر النعيم أن جاره في زمنه قد أصبحت قيسارية العمارة للغير والأرض لذريته لا للمدرسة، وبقي آثار عمارته خراباً(٢).

ويقول الشيخ عبد القادر بدران في منادمة الأطلال: وهي الآن(في زمنه) بسويقه العصرونية في الجانب القبلي منها وهي مشهورة. وقد أخذت السويقة اسمها من اسم المدرسة العصرونية وصاحبها وقد تناولتها أيدي المختلسين على مر الأيام. ثم استخلص أحدج المخلصين قسماً منها وحوله مسجداً. وليس بها الآن سوى بركة ماء في ساحتها وإيوان للصلاة في الجهة القبلية. والمدرسة ينزل إليها بدرج.وتحول ما بقي منها على حوانيت للبيع والشراء(٣). والقيسارية المشار إليها سابقاً قد تحولت هي الأخرى بدورها على خان لربط الدواب(٤).

وقد أنشأها الفقيه العلامة قاضي القضاة شرف الدين عبد الله بن محمد بن أبي عصرون السابق ذكره.وقد بنى له نور الدين عدة مدارس في حلب ودمشق وحماة وحمص وبعلبك ومنبج وبنى لنفسه مدرسة بحلب وأخرى بالشام(دمشق).

وأما بالنسبة إلى بناء مدرسة له في حلب فلم أجد في المصادر المتوفرة أنه بنى لنفسه مدرسة في حلب بل مدرسة حلب فالثابت أنه بناها نور الدين

= محمد كرد علي: الخطط ٨٦/٦

(1) ابن كثير: البداية والنهاية ٣٣٣/١٢

عبد القادر بدران: المرجع السابق نفسه.

(2) النعيمي: الدارس ٣٩٨/١ مصدر سابق ذكره.

(3) عبد القادر بدران: منادمة الأطلال المرجع السابق نفسه

(4) عبد القادر بدران: المرجع السابق نفسه.

لشرف الدين عبد الله بن أبي عصرون كما مر[١]. وأما بالنسبة لمدرسة دمشق فقد وردت نصوص تفيد أنه أي شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون قد بنى لنفسه مدرسة بدمشق بالإضافة إلى النصوص التي تفيد بان نور الدين قد بنى له مدرسة في دمشق.

والذي نراه حسب النصوص أن مدرسة دمشق هذه بناها ابن أبي عصرون ولا يمنع أن يكون نور الدين قد بنى له غيرها في دمشق. ولكننا لم نسمع المصادر تفصح عن مثل هذا مما يجعلنا نقبل مؤقتاً بأن شرف الدين بن أبي عصرون هو باني العصرونية بدمشق.

وقد حرقت هذه المدرسة العصرونية بدمشق عام ١٣٢٨هـ-١٩١٠م. ولم تعد إلى ما كانت عليه وبقي اسم السوق منسوباً إليها ورم قبر من أسسها بعض الشيء[٢]. وجاء في مخطط المنجد أنها قد أحرقت عام ١٩١٠م ١٣٢٨هـ ولم يعد بناؤها وإليها ينسب سوق العصرونية حتى يومنا هذا[٣].

---

(1) ابن العديم: زبدة الحلب ٢٩٣/١، ٤٨/٢

ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥٣/٣ يقول له بنى له نور الدين المدارس في حلب وحماة وحمص وبعلبك ولم يذكر دمشق مما يؤيد أن باني عصرونية دمشق هو شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون وهذا ما ذهبنا إليه ونرضاه.

ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ج/ ١ ق/١ ص٩٨

النعيمي: الدارس ٤٠١/١ ويقول: بنى نور الدين المدارس في حلب وحماة وحمص وبعلبك لعبد الله بن أبي عصرون. وهذا بنى لنفسه مدرسة في حلب وأخرى في دمشق. ولم أجد في ابن خلكان أنه بنى مدرسة له في حلب بل بناها نور الدين وهو بنى لنفسه مدرسة دمشق العصرونية.

(2) محمد كرد علي: خطط الشام ٨٦/٦ نفس قول المنجد في حاشية النعيمي ٣٩٩/١.

(3) النعيمي: الدارس ٣٩٩/١ حاشية.

الوقف:

عشر قراريط ونصف قيراط في قرية هريرة(٣٠كم شمال غرب دمشق) وفي بعلبك مزرعتان معروفتان بدير النبط(دير النبط على بعد ١٠٠ كم من بعلبك) وقدرهما عشرة قراريط، شركة الخانقاه السميساطية، ومزرعة قرية حمارا بالمرج الشمالي، ومساحتها قيراط ونصف وربع القيراط، ومنه بالثابتية خارج باب الجابية بدمشق بستان يعرف بالسنبوسكي[١].

وشرط في كتبا الوقف أن لا يزاد في عدة فقهائها عن عشرين شافعياً وغيرهم، وأن التدريس فيها يكون وقفاً على ذرية الواقف شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون ويستتاب عن غير من لم يكن منهم أهلاً للتدريس. وأن يدرس بها من تصانيف الواقف الآتي ذكره:((الانتصار)) وغيره لا من تصانيف الشريف فإن تعذر من تصانيفه فيدرس فيها بالخلاف وأن يكون لكل من أرباب وظائفها كذا وكذا من القراطيس وهذا ما أخبر به أقضى القضاة نور الدين ابن منعة الحنفي زوج بنت من ذرية الواقف تسمى زينب وتوفيت في مكة عام ٦٢٠هـ ولها بنت اسمها بركة[٢].

المدرسون في عصرونية دمشق:

شغل منصب التدريس في العصرونية بدمشق عدة مشايخ وعلماء أجلاء أفاضل نرى لزاماً علينا أن نعرف بهم ما أمكننا البحث إلى ذلك.

وأول من زاول مهنة التدريس فيها بلا شك بانيها شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون ثم من بعده ولداه قاضي القضاة محيي الدين محمد

---

(1) النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ٣٩٨/١-٣٩٩
بدران: منادمة الأطلال ص ١٣١

(2) المصدران السابقان: النعيمي ٣٩٩/١
بدران: ص ١٣٢

ونجم الدين أبو البركات عبد الله. ثم من بعده ابن ابنه المطهر بن أبي عصرون المدعو شهاب الدين عبد السلام المتوفى عامك ٦٣٢هـ[١].

وكان ينوب عن عبد السلام بالتجريس نجم الدين ابن الشيرجي المتوفى عام ٦٥٧هـ، وهو الصدر نجم الدين مظفر بن محمد بن الياس الأنصاري الدمشقي. وقد ولي تدريس العصرونية بالنيابة والوكالة ثم ولي الحسبة ونظر الجامع[٢].

وهنا نلاحظ أن شرط الواقف مطبق هنا لأن منصب التدريس ومحصور في نسل شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون باني المدرسة وكلن في حالة عدم أهلية أحدهم يستناب عنه.

ثم درس فيها بعد ذلك شرف الدين عثمان بن محيي الدين محمد بن عبد الله بن أبي عصرون شرف الدين عبد الله أبو سعد الجد الأكبر لآل عصرون ولعدم أهليته كان ينوب عنه علم الدين أبو القاسم الأندلسي النحوي[٣].

ولما توفي شرف الدين عثمان عام ٦٥٨هـ وليها ولده كمال الدين محمد المعروف بالجنيد ثم وليها بعده شرف الدين محمد بن ناصر بن أبي عصرون وبعده تولى أمر التدريس فيها قطب الدين أحمد بن عبد السلام بن المطهر بن عبد الله بن أبي عصرون[٤].

وتولى التدريس في هذه المدرسة بعد ذلك محي الدين أبو الخطاب عمر بن أبي عصرون المتوفى عام ٦٨٢هـ والسابق الذكر.

---

(1) النعيمي: الدارس ٤٠٢/١.
(2) النعيمي: الدارس ٤٠٣/١.
(3) المصدر السابق نفسه.
(4) المصدر السابق نفسه.

وممن تولى التدريس في العصرونية بدمشق جماعة كثيرة منهم:

أحمد بن محمد بن نصر الله تاج الدين الحموي الشافعي، وكان فاضلاً فقيهاً وتولى منصب مشيخة الشيوخ ودرس بالعصرونية وتوفي عام ٦٨٧هـ(١).

وشمس الدين ابن غانم، وهو شمس الدين محمد بن سليمان بن حمايل بن علي المقدسي المعروف بابن غانم، وكان من أعيان الناس وأكثرهم مروءة تولى التدريس في العصرونية وتوفي عام ٦٩٩هـ، وقد جاوز الثمانين وهو والد علاء الدين بن غانم(٢). وقيل مات عام ٧٠١هـ.

والإمام جمال الدين القلانسي: وهو احمد بن محمد ابن القلانسي عاش في الفترة ما بين ٦٦٩-٧٣١هـ(٣).

وأمين الدين محمد بن جمال الدين ابن القلانسي الذي عاش(٧٠١-٧٦٣هـ) وهو أبو عبد الله محمد. وقد أجاز له شرف الدين الحافظ الدمياطي وآخرون. وحدث عن جماعة.ثم ولي قضاء العسكر بدمشق ووكالة بيت المال ودرس بالعصرونية ثم أصبح كاتباً للسر عوضاً عن القاضي ناصر الدين بن شرف الدين يعقوب الحلبي، ومشيخة الشيوخ ودرس بالناصرية والجوانية والشامية الجوانية(٤). وعزل عام ٧٦٢هـ وأوذي

---

(1) النعيمي: الدارس ٤٠٣/١ نقلاً عن الذهبي.

(2) ابن كثير: البداية والنهاية ٣٣٢/١٣-٣٣٣، ١٤/١٤

النعيمي: الدارس المصدر السابق نفسه.

محمد أديب آل تقي الدين الحصني: منتخبات التواريخ لدمشق ٣ أجزاء في مجلد واحد دار الآفاق الجديدة – بيروت ١٩٧٩/١٣٩٩م ص ٥٢٣.

(3) النعيمي: الدارس ١٩٧/١.

(4) النعيمي: الدارس ١٩٩/١، ٤٠٤، ٣٠٧. =

وصودر[١].

وقد ترك تدريس العصرونية له عمه علاء الدين بن القلانسي والذي تولى تدريسها عوضاً عن أخيه جمال الدين السالف الذكر وذلك عام ٧٣٢هـ[٢].

والعالم جمال الدين المفتي المدرس القاضي أبو المحاسن يوسف بن الإمام العلامة الزاهد الورع شيخ الشافعية شمس الدين محمد القاضي نجم الدين عمر الأسدي المعروف بابن قاضي شهبة والذي عاش في الفترة ما بين عامي ٧٢٠-٧٨٩هـ.

وكان قد تفقه على والده وجماعة واشتهر بالإفتاء وقد نزل له والده عن وظائفه ومنها تدريس العصرونية إذن فالوالد وولده هما من مدرسي

= فلما كان في أثناء عام ٧٦٢ هـ أعيد ناصر الدين المذكور إلى كتابة السر في دمشق واهين أمين الدين وصودر على نحو ثمانية آلاف دينار، وباع جميع ما يملك حتى الوظائف ثم أفرج عنه فطرح الرئاسة وصار يمشي من غير أبهة ودام على ذلك سبعة شهور ثم ضعف يومين ومات في ربيع آخر عام ٧٦٣هـ كمداً.

وقال ابن كثير/: هو آخر من بقي من رؤساء دمشق انظر البداية والنهاية ٢٩٢/١٤ وابن كثير هنا يضيف معلومات مع ما أورده ابن حجر العسقلاني فيما بعد حيث يقول:

تولي أمين الدين تدريس العصرونية عام ٧٣٦هـ ويقول صودر على مبلغ ٢٠٠ ألف دينار

النعيمي: الدارس ٣٠٨/١

(1) العسقلاني: الدرر الكامنة ٣٦٢/٣ ويقول: في عام ٧٦٠هـ تولى أمين الدين محمد كتابة السر بدمشق عوضاً عن ناصر الدين وانتقل ناصر الدين إلى كتابة السر في حلب عوضاً عن الصفدي وانتقل الصفدي إلى دمشق وكيلاً لبيت المال وموضع الدست.

(2) ابن كثير: البداية ١٥٦/١٤، ٢٩٢.

النعيمي: الدارس ٤٠٤/١، ٣٥٢.

العصرونية في دمشق وظل جمال الدين يوالي التدريس والإفتاء حتى انتقل إلى جوار ربه عام ٧٨٩هـ[1].

والشيخ شهاب الدين الزهري، وهو شهاب الدين بقية السلف الصالح صدر المدرسين، شهاب الدين أحمد أبو العباس بن صالح بنم أحمد بن خطاب بن ترجم العلوي الزهري البقاعي الدمشقي(٧٢٢-٧٩٥). ورد دمشق وهو صغير وسمع بها من الشيوخ كالبرزالي والمزي ثم رجع إلى بلده ثم قدم ثانية وهو في سن الأربعين ولازم فخر الدين المصري ثم بهاء الدين أبو البقاء القاضي وكان يقرئ أولادهما وأخذ عن شمس الدين بن قاضي شهبة كذلك وعن غيره من مشايخ العصر. وأخذ الأصول عن الشيخ الأردبيلي ثم بهاء الدين الأخميمي وبرع وأصبح أهلاً للإفتاء عام ٧٥٣هـ وقد درس في عدة مدارس منها العصرونية. نزل له عنها ابن قاضي شهبة في ربيع عام ٧٩٩هـ. وناب في القضاء عن البلقيني ثم عن كنال الدين الغزي وظل يدرس، ويلاحظ أنه ولي القضاء والتدريس معاً ٧٩٢ هـ مدة شهر ونصف ثم انعزل بانعزال من ولاه وهو الأمير منطاش. وظل منقطعاً حتى وفاته عام ٧٩٥هـ[2]. ودرس كذلك في العادلية الصغرى وغيرها.

وتقي الدين أبو بكر الفقيه الفرضي وشهاب الدين أبي العباس أحمد بن شيخ الشافعية، شمس الدين محمد السابق الذكر مرة ثانية.

والشيخ تقي الدين الأذرعي أحد الثقاة المشهود لهم.

وبدر الدين بن قاضي شهبة.

---

(1) النعيمي: الدارس ٤٠٤/١-٤٠٥، ٤٥٤.

(2) النعيمي: المصدر السابق نفسه بالإضافة إلى ص ٣٧٠.
ابن طولون: قضاة دمشق ص ١١٩-١٢٠.

وبرهان الدين النفراوي.

والقاضي محي الدين بن غازي.

وشهاب الدين، أحمد محمد بن محمد المقدسي الواعظ المتوفى عام ٩٠٥هـ[١]. ويجب أن لا ننسى أن علاء الدين ابن القلانسي أخ جمال الدين السابق الذكر هو وابنه قد درسا في العصرونية بدمشق. وهو عم أمين الدين ابن القلانسي السابق الذكر وتوفي عام ٧٣٦هـ[٢].

وفي عام ٧٣١ هـ وصل الخبر بتولية القاضي جلال الدين ابن القلانسي مناصب أخيه جمال الدين ومنها تدريس العصرونية والظاهرية والأمينية عوضاً عن أخيه علاء الدين السابق الذكر قبله[٣].

المعيدون في عصرونية دمشق وعمالها:

ذكرت المصادر المتوفرة فئة ممن تولوا الإعادة على كبار المشايخ في عصرونية دمشق نذكر منهم:

شهاب الدين بن حجي الحافظ العالم المتقن ذو الخصال الكريمة الزكية والأخلاق المرضية وهو شيخ الشافعية شهاب الدين أبو العباس أحمد بن سعدي الحسباني الأصل الدمشقي المولد. مولده عام ٧٥١هـ، بخانقاه الطواويسية بالشرف الأعلى ظاهر دمشق.

قرأ القرآن على شمس الدين بن حبشي وختمه وأخذ عنه علم الميثاق وسمع عدة منهم: أبو الفضل بن عساكر ودرس وأعاد بالعصرونية وبغيرها من

---

(1) النعيمي: الدارس ١/ ٤٠٥.

(2) النعيمي: الدارس ١/ ١٩٨.

(3) النعيمي: الدارس ١/ ١٩٩.

المدارس[١].

ونضيف مجموعة من العمال والموظفين منهم عبد الرحيم بن إبراهيم بن كاميار القزويني ثم الدمشقي، زين الدين المولود عام ٦٥٠ أجاز له عثمان بن خطيب القرافة والفقيه أبو عبد الله اليونيني وعبد الله بن الخشوعي وغيرهم حدث بالكثير وخرج له البرزالي جزءاً وكان صالحاً خيراً من طلبة دار الحديث الأشرفية وكان عاملاً في العصرونية وانتقل إلى جوار ربه في ١٣ صفر عام ٧٤٣هـ، وهو آخر من حدث عن خطيب القرافة[٢].

وممن تولى نظارة المدرسة بالإضافة إلى شرف الدين عبد

الله بن أبي عصرون السيدة بركة بنت القاضي ابن منعة، وزوجة القاضي شمس الدين الشيخ عيسى الفلوجي، وحماة القاضي أبي اليمن بن الخيضري. ولما ماتت دفنت بالروضة شرقي صفة الدعاء. وذلك بعد وفاتها يوم الاثنين ١٨ ذي القعدة من عام ٩٢٥هـ أكتوبر ١٥١٩م[٣].

وهنا يعلق العلموي[٤] على تسليم التدريس في العصرونية لغير أبناء شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون وأبنائهم قائلاً: إن ذلك يخالف شرط الواقف ثم قال:((وكأنه والله أعلم لما انقطعت الذرية من العلم بينهم في التدريس من ليس من الذرية كأحمد بن نصر الله وشمس الدين بن غانم وجمال الدين القلانسي فولده أمين الدين وأمثال من يأكلون حراماً. وقد كان ذلك سائغاً لو تعذرت الذرية)).

([1]) النعيمي: الدارس ١/٣٨-١٤٣

([2]) العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ٢/٣٥٢

([3]) ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان في تاريخ مصر والشام وهو قسمان: وزارة الثقافة والإرشاد القاهرة المؤسسة المصرية العامة ١٣٨٤/١٩٦٤م. ٢/.٨٩

([4]) بدران: منادمة الأطلال ص ١٣٢

ثالثاً: عصرونية حماة:

تقع هذه المدرسة في باب حمص على ضفة العاصي قرب بستان الجبل وكانت داراً للقرآن ولها جامع وداران متصلان بها. وتتصدر جدارها الأمامي كتابة حجرية مفادها: عن الأمير نجم الدين التوتان بن ياروق أنشأ هذه المدرسة عام ٥٨٤هـ وعمر مسجدها وكتب عليها.

أمر بعمل هذه الدار السيد الفقير إلى الله محمد بن محمد بن أبي بكر الشافعي خلا قبلها وما استثنى جعلها داراً للقرآن ووقف عليها أوقافاً كثيرة، وذلك لتقوم بأود من يسكن هذه الدار من فقراء المسلمين الغرباء الذين قيمون فيها ليلاً ونهاراً، يتلون كتاب الله ويتذاكرونه بينهم ويدعون للواقف ولوالده وللمسلمين. وقد قرر الواقف وجود شيخين يعلمان النزلاء القرآن الكريم.ويكون مقام الفقير خمس سنوات فيها فإن ختم القرآن أو انقضت المدة المعينة يكسى ثوباً أو جبة خالصة لوجه الله الكريم(١).

وذكرنا من قبل بناء على ما توفر لنا من مصادر أن باني هذه المدرسة هو محمود نور الدين زنكي إكراماً لشرف الدين عبد الله بن أبي عصرون وعرفاناً بفضله وذلك قبل عام ٥٦٩هـ، سنة وفاة نور الدين محمود بن زنكي نفسه.

ومن المحتمل أن يكون الأمير نجم الدين التوتان بن ياروق قد انشأ هذه المدرسة بأمر من نور الدين محمود قبل وفاته ٥٦٩هـ، وإلا فإن ما أضافه نجم الدين يكون بعد وفاة نور الدين لينسب المدرسة إليه.

وقد ذكر ابن جبير أثناء رحلته ومروره بحماة أن بها ثلاث مدارس لا شك

---

(1) محمد كرد علي: خطط الشام ١٢٦/٦
أحمد الصابوني تاريخ حماة ط/٢ المطبعة الأهلية بحماة ص ١١٢

في أن أحدها العصرونية لأن زيارته كانت في حدود ٥٨٠هـ[١].

وقد فوض نور الدين شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون النظر في مدارسه كلها ومنها مدرسة حماة وأوكل إليه يقين من يراه مناسباً للتجريس[٢].

وأشهر من درس في عصرونية حماة، تاج الدين بن المغيزل الحموي أحمد بمن محمد بن محمد بن نصر الله أبو العباس العبدي الحموي الشافعي المولود عام ٦٠٢هـ وقد سمع من ابن رواحه ومات بحماة عام ٦٨٧هـ[٣].

وكان تاج الدين فقيهاً مفتياً مدرساً ولي مشيخة الشيوخ بحماة ودرس بالعصرونية وكان مشهوراً بالدين والورع وله مهابة في النفوس ترك مناصبه لأولاده من بعده واشتغل بنفسه وأولاده هم:

ناصر الدين، وفخر الدين وزين الدين وأشهرهم ناصر الدين.

وممن درس في العصرونية بحماة أيضاً عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن محمد بن نصر الله الزاهد، ناصر الدين ابن الشيخ أحمد تاج الدين بن المغيزل المار ذكره.واشتغل كثيراً وأصبح أهلاً للتدريس فدرس بالعصرونية وكان ديناً متواضعاً عابداً كأبيه زاهداً في الحياة مات أواخر جمادى الآخرة عام ٧٠٧هـ[٤].

ومنهم علي بن أبي بكر البعلبكي المعروف بابن اليونيني نزيل حماة ومدرس العصرونية فيها وقد اشتهر بالفضل والعلم والإفادة وظل كذلك

---

(1) ابن جبير: رحلته ص ٢٣١
(2) أحمد بدوي: الحياة العقلية في بلاد الشام ص ٧٢
(3) الصفدي: الوافي بالوفيات ١٢٣/٨
(4) العسقلاني: الدرر الكامنة ٣٢٥/٢

حتى وفاته عام ٧٧٨هـ[١].

رابعاً عصرونية حمص:

ومر بنا كذلك أن نور الدين قد أنشأ المدارس لابن أبي عصرون في حمص وغيرها من بلاد الشام.

وقد ذكر ابن جبير أثناء رحلته حوالي ٥٨٠[٢] إلى الشام ومروره بحمص أن بها مدرسة واعتقد أنها العصرونية لأن المصادر تجمع على أن نور الدين المتوفى عام ٥٦٩هـ قد أقام مدرسة في حمص لابن أبي عصرون.

ولم أستطع العثور على نصوص أصيلة تميط اللثام عن وصف هذه المدرسة أو ممن علم بها أو عن وقفها أو أحد موظفيها. وكل ما حصلت عليه نصوصاً تبرهن وتثبت أن في حمص أقيمت مدرسة أقامها نور الدين محمود زنكي إكراماً لشرف الدين عبد الله بن أبي عصرون فقط. وعرفت بالمدرسة العصرونية.

خامساً: عصرونية بعلبك:

تذكر المصادر فيما تذكره أن نور الدين زنكي أقام مدرسة في بعلبك إكراماً لشرف الدين عبد الله بن أبي عصرون كما مر[٣]. ولكن هذه المصادر لم تعطي مزيداً من التفاصيل عن هذه المدرسة عن موقعها وسنة إقامتها وموظفيها ومدرسيها كغيرها من المدارس العصرونية مثلاً.

سادساً: عصرونية منبج:

وهذه المدرسة هي الأخرى من جملة المدارس العصرونية التي أنشأها نور

---

(1) العسقلاني: الدرر الكامنة ٣/ ٣٤.
(2) ابن جبير: رحلته ص ٢٣٢.
(3) ابن خلكان:وفيات الأعيان ٣/ ٥٤.

الدين محمود بن زنكي لعبد الله بن أبي عصرون والمؤكد انه أقامها قبل وفاته عام ٥٦٩هـ[١]. وقد ذكر ابن جبير أثناء مروره في منبج أن أهلها شافعيون. وهي مطهرة بهم من أهل المذاهب المنحرفة والعقائد الفاسدة. ولا يتأتى هذا إلا بانتشار العلم والتعليم. ولا شك أن مدرسة ابن أبي عصرون والتي لم يذكرها ابن جبير صراحة لها دور الصدارة في هذا الموضوع ولعل عدم ذكره لها أنها لم تكن كبيرة البناء تلفت النظر إليها لوصفها ولكنها من المؤكد أنها بقيت عاملاً هاماً وسبباً رئيساً في إبقاء أهل منبج على شافعيتهم لأن المدارس العصرونية شافعية وشرط الواقف أن تظل كذلك[٢].

سابعاً: عصرونية الرحبة:

ورد في وفيات الأعيان لابن خلكان[٣] أن هناك مدرسة أخرى في الرحبة تدعى بالعصرونية وهي من جملة المدارس النى أقامها نور الدين لابن أبي عصرون وقد قامت بدورها في نشر العلم والنهضة بعملية التعليم في المنطقة.

ولم يرد في المصادر الأخرى تركيز على هذه المدرسة أو إعطاء المزيد من المعلومات المفيدة عنها بل ظلت معلوماتنا الأكيدة عنها من خلال ما كتبه ابن خلكان، ولا يستبعد نول الدين أنه أقام مدرسة في الرحبة وغيرها من مدن الشام والجزيرة وغيرها من البلاد التي ضمنتها دولته جرياً على سياسته في نشر المدارس هنا وهناك لينتج شعباً متعلماً يدعم دولته الكبيرة.

= أحمد بدوي: الحياة العقلية في بلاد الشام ص ٧٤

([1]) ابن خلكان: وفيات الأعيان ١٨٥/٥

محمد علي كرد: خطط الشام ص ١٣٠

أحمد بدوي: الحياة العلمية في بلاد الشام ص ٧٤

([2]) ابن جبير/ رحلته ص ٢٢٣-٢٢٤

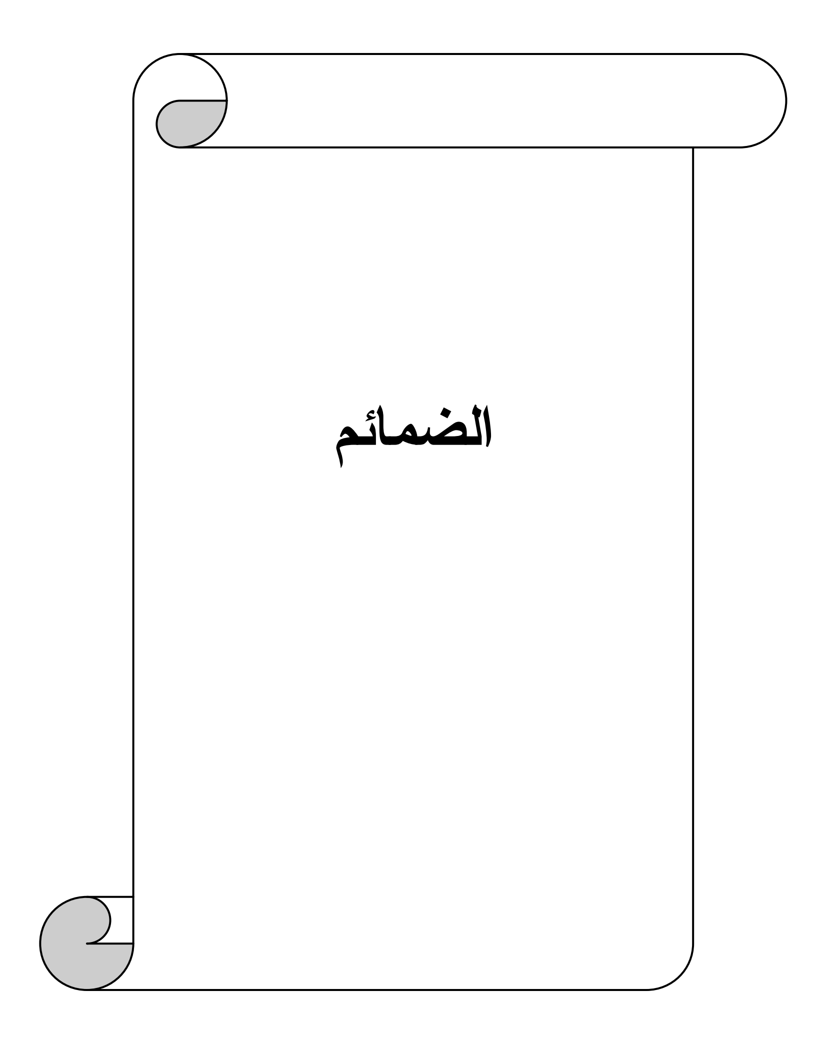
([3]) ابن خلكان: وفيات الأعيان ١٨٥/٥

الخاتمة

يعتبر القرن الخامس الهجري بداية ازدهار المدارس منذ أيام نظام الملك الوزير السلجوقي الذي أقام نظامياته العشر في سائر بقاع المشرق الإسلامي..ثم جاء الزنكيون والايوبيون من بعده وسلكوا نفس النهج وتوسعوا في إنشاء المدارس حكاماً وأمراء وقادة، نساءً ورجالاً.

وفي مثل هذا الجو العلمي ظهر الإمام عبد الله بن أبي عصرون وقد استطاع أن يحوز على ثقة نور الدين محمود زنكي وصلاح الدين الأيوبي فيما بعد. وهذا ما أظهرته من خلال البحث. ثم أقام نور الدين لعبد الله بن أبي عصرون عدة مدارس في مدن الشام الشمالية في حلب وحمص وحماة ومنبج وبعلبك والرحبة بالإضافة إلى مدرسة دمشق.

وقد تتبعت إنشاء هذه المدارس وأظهرت أن مدرسة دمشق قد أقامها عبد الله بن أبي عصرون نفسه. وقد أرخت لهذه المدارس بمقدار ما أمدتني به المصادر من معلومات أكيدة وترجمت لعلمائها وموظفيها ما وسعني الجهد والبحث.



الضمائم

ضميمة رقم ((١))

أبو سعد، شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون (بوت ٥٨٨٥هـ)

ضميمة رقم ((٢))

كتاب كتبه نور الدين محمود بن زنكي إلى شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون ليوليه قضاء مصر بينما كان الأخير في حلب هذا نصه:

((حسبي الله وكفى وفق الله الشيخ الإمام شرف الدين بن أبي عصرون لطاعته وختم له بخير غير خاف على الشيخ ما أنا عليه وفيه كل غرضي ومقصودي في مصالح المسلمين وما يقربني إلى الله. والله ولي التوفيق والمطلع على نيتي وأنت تعلم بنيتي كما قال عز من قائل(ومن عنده علم الكتاب) أنت تعلم أن مصر اليوم قد لزمنا النظر فيها فهي من الفتوحات الكبار التي جعلها الله تعالى دار إسلام بعدما كانت دار فر ونفاق فلله المنة والحمد إلا أن المقدم على كل شيء أمور الدين التي هي الأصل وبها النجاة وأنت تعلم أن مصر وإقليمها ما هي قليلة وهي خالية من أمور الشرع وما تدخر الدموع إلا للشدائد وأنا ما كنت ولا اشتهي مفارقتك والآن فقد تعين عليك وعليّ أيضاً أن ننظر إلى مصالحها وما لنا أحد اليوم لها إلا أنت ولا أقدر أولى أمورها ولا أقلدها إلا لك حتى تبرأ ذمتي عند الله فيجب عليك وفقك الله أن تشمر عن ساق الاجتهاد وتتولى قضاءها وتعمل ما تعلم أنه يقربك إلى الله وقد برئت ذمتي وأنت تجاوب الله فإذا كنت أنت هناك وولدك أبو المعالي وفقه الله فيطيب قلبي وتبرأ ذمتي وقد كتبت هذا بخطي حتى لا يبقى عليّ حجة تصل أنت وولدك عندي حتى أسيركم إلى مصر والسلام. بموافقة صاحبي واتفاق منه صلاح الدين وفقه الله فأنا منه شاكر كثير كثير كثير جزاه الله خيراً وأبقاه ففي بقاء الصالحين والأخيار صلاح عظيم ومنفعة لأهل الإسلام الله تعالى يكثر من الأخبار وأعوان وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً[1].

---

(1) أبو شامة: عن: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ١/ ١٧٤.

ضميمة رقم ((٣))

ولما توفي القاضي شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون عميد أسرة آل عصرون وبلغ الخبر إلى القاضي بمصر كتب رسالة بهذه المناسبة يغري بشرف الدين ويرد على الرسالة التي وردته بالخبر من الشام.

ووصل كتاب الذات الكريمة جمع الله شملها وسر بها أهلها ويسر إلى الخيرات سبلها وجعل في ابتغاء رضوانه قولها وفعلها. وفيه زيادة هي نقص الإسلام وثلم في البرية يتجاوز رتبة الانثلام إلى الانهدام وذلك ما قضاه الله تعالى وقدره من وفاة الإمام شرف الدين بن أبي عصرون رحمه الله تعالى. وما حصل بموته من نقص الأرض من أطرافها ومن مساءة أهل الملة ومسرة أهل خلافها فلقد كان علماً للعلم منصوباً وبقية من بقايا السلف الصالح محسوباً.

والعلم بالشام زرعه وكل من أنتفع فعليه كان وإليه ينسب نفعه رضي الله عنه وأرضاه ونضح بماء الرحمة مثواه. وما مات من أبقى تلك التصانيف التي هي المعنى المغني بل ما مات من ولده المحيي فإنه والله لآثاره ولعلمه لمحيي والحضرة تنوب عني في تغريته والقيام بحق تسليته وقد ساءتني الغيبة عن مشهده وتغيير القيام وراء سريره والتوسل إلى الله في ساعة مقدمه ولقد علم الله اغتمامي لفقد حضرته واستيحاشي لخلو الدنيا من بركته واهتمامي بما عدمت من النصيب الموفور(كان) من ادعيته. وما مات بحمد الله حتى أحرز غيبته بأولاد بررة وأنشأ طلبة للعلم نقله وللمدارس عمره وحتى بنى الله المدارس والمساجد واحيا نهاره وليله بين راكع وساجد فهو حي لمجده وإنما نحن الموتى بفقده وتعذر عليه أن ينتقل بقايا الخبر وإعقاب السلف وإن نفارق من ليس لنا منه لولا خلفه خلق)).

= ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣/ ٥٥ – ٥٦.

ضميمة رقم ((٤))

كتاب البشارة التي سار بها أبو المعالي المطهر بن عبد الله بن أبي عصرون إلى بغداد بمناسبة إحياء الخطبة العباسية في القاهرة وسائر أنحاء مصر عام ٥٦٧هـ بعد إلغاء الخلافة الفاطمية وهو على لسان نور الدين إلى بغداد ومنه:

((وأصدرنا هذه المكاتبة على جميع البلاد الإسلامية عامة بما فتح الله على أيدينا رتاجة وأوضح لنا منهاجه وهو ما اعتمدناه من إقامة الدعوة الهادية العباسية بجميع المدن والبلاد والأقطار والأمصار المصرية والإسكندرية ومصر والقاهرة وسائر الأطراف الدانية والقاصية والبادية والحاضرة وانتهت إلى القريب والبعيد وإلى قوص وأسوان بأقصى الصعيد وهذا شرف لزماننا هذا وأهله نفتخر به على الأزمنة التي مضت من قبله. وما برحت همنا إلى مصر مصروفة وعلى افتتاحها موقوفة وعزائمنا في إقامة الدعوة الهادية بها ماضية والأقدار في الأزل بقضاء آرائنا وبتنجيز مواعدنا قاضية حتى ظفرنا بها بعد يأس الملوك منها وقدرنا عليها وقد عجزوا عنها. وطالت مرت عليها الحقب الخوالي وآبت دونها الأيام والليالي وبقيت مائتين وثمانين سنة ممنوة بدعوة المبطلين مملوة بحرب الشياطين سابغة ظلالها للضلال مقفرة المحل إلا من المحال مفتقرة إلى نصرة من الله بملكها ونظرة ستدركها رافعة يدها في اشكائها متظلمة إليه ليكفل بإعدائها على أعدائها حتى أذن الله لعتمتها بالانفراج ولعلتها بالعلاج وسبب قصد الفرنج لها وتوجيههم إليها طمعاً في الاستيلاء عليها واجتمع داءان الكفر والبدعة وكلاهما شديد الروعة فملكنا الله تلك البلاد ومكن لنا في الأرض وقدرنا على ما كنا نؤمله في إزالة الإلحاد والرفض من إقامة الفرض وتقدمنا إلى من استنبناه أن يستفتح باب السعادة ويستنجح باب ما لنا من الإرادة ويقيم الدعوة الهادية العباسية هناك ويورد الأدعياء

ودعاة الإلحاد وبها المهالك)).

وهو كتاب طويل.

- أبو شامة: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ج١/ ١٩٨.
- ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ٢/ ٤٧٢.

ضميمة رقم ((٥))

جزء من كتاب كتبه صلاح الدين إلى القاضي الفاضل بمصر يستشيره بجواز قضاء الأعمى بعد أن أصيب شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون بالعمى وتعصب عليه الفقهاء فاضطر هو أن يقف ضدهم وألف جزءاً في جواز قضاء الأعمى فاحتار صلاح الدين وكتب إلى الفاضل ليساعده في حل هذا الإشكال، فرد عليه الفاضل وإليك رسالة صلاح الدين للقاضي الفاضل الرسالة:

((إن ابن أبي عصرون يقول: إن قضاء الأعمى جائز وأن الفقهاء قالوا: أنه غر جائز فتجتمع بالشيخ أبي طاهر بن عوف الإسكندراني وتسأله عما ورد من الأحاديث في قضاء الأعمى، هل يجوز أم لا؟)).

- ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣/ ٥٤.
- الصفدي: نكت الهميان. ص١٨٥.

ضميمة رقم ((٦))

رد القاضي الفاضل على كتاب صلاح الدين الأيوبي الذي أرسله إليه يستشيره في قضية((هل يجوز قضاء الأعمى أم لا؟)) والرد موجه إلى صلاح الدين في الشام. وإليك فصلاً منه.

((وحديث قاضي دمشق لا يعجل في أمره ولا يستبدل به إلا بعد ظهور الخيرة فيمن تقدمه فالمنتصب كبير وجميع شروط الاختيار عسير وإيلام قلب رجل قد شارف منتهى عمره مع كونه لم يظهر منه ما يذم من أثره مما لا يحتاج إليه)).

- البنداري: سنا البرق الشامي. تحقيق: ششن. ص ٢٧٤.
- البنداري: تحقيق: فتحية النبراوي. ص١٤٠.

ضميمة رقم ((٧))

فصل من كتاب يرد به القاضي على كتاب صلاح الدين الذي أرسله يستشيره به هل يجوز قضاء الأعمى أم لا؟ وقدمنا فصلاً في ضميمة رقم ٦ والآن نقدم فصلاً آخر من كتاب آخر فاضلي لصلاح الدين بنفس الخصوص ومنه:

((أما ما أورده المولى دفعة أولى وثانية في معنى الحكم بدمشق فالمولى متوقف في مقام التوقف متردد في مكان التردد، ولن يخلو الأمر من قسمين: والله يختار للمولى خير الأقسام:

إبقاء الأمر باسم الوالد بحيث يبقى رأيه ومشاورته وفتياه ويتولى النيابة ولداه. ويشترط عليهما المجازاة لأولى زلة وترك الإقالة لأقل عشرة فطالما يبعث حب المنافسة الراجحة على اكتساب الأخلاق الصالحة. وأما أن يفوض الأمر إلى الأمام قطب الدين فهو بقيه المشايخ وصدر الأصحاب. ولا يجوز أن يتقدم عليه في بلد ألا من هو أرفع طبقة في العلم منه)).

- البنداري: سنا البرق. تحقيق: ششن. ص ٢٩٧ – ٢٩٨.
- البنداري: سنا البرق. تحقيق: فتحية النبراوي. ص١٥١.
- ابن واصل: مفرج الكروب، ٢/ ٦٧ – ٦٨. وفيه أن يتولى النيابة ولده لا ولداه وبدأ من عند لن يخلو الأمر..

ضميمة رقم ((٨))

كتاب كتبه صلاح الدين وهو في مصر يعتب فيه على الشيخ شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون لسكوته عن معاهدة صلح أمراء دمشق مع الصليبيين الغزاة. عام ٥٧٠هت بعد وفاة القاضي الفاضل نور الدين محمود زنكي والكتاب على لسان صلاح الدين بإنشاء. ويقول الأصفهاني:

((ولما بلغ ذلك صلاح الدين فأنكروه ولم يعجبه(صلح أمراء دمشق مع الصليبيين) وكتب إلى جماعة الأعيان كتباً دجالة على التوبيخ الملام ومن جملتها كتاب بالمثال الفاضلي إلى الشيخ شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون يخبره فيه إنه لما أتاه كتاب الملك الصالح إسماعيل يقصد الفرنج تجهز وخرج وسار أربع مراحل ثم جاءه الخبر بالهدية المؤذنة بذل الإسلام من دفع القطيعة وإطلاق الأساري وسيدنا الشيخ أولى من أطلق لسانه الذي تغمد له السيوف وتجرد. وقام في سبيل الله قيام من يقطع عادية من تعدى وتمرد.

وفي آخره جاء: وكتب من المنزل بفاقوس والفجر قد هم أن يشق ثوب الصباح لولا أن الثريا تعرضت تعرض أثناء الوشاح. وهذه الليلة سافرة عن نهار يوم الجمعة ١٢/ ذي الحجة عام ٥٧٠هـــ بلغة الله فيه أمله وقبل عمله بالغاً اسنى المراد وأفضله)).

ويلاحظ تلخيص الأصفهاني للكتاب الفاضلي لشرف الدين عبد الله بن أبي عصرون في الشام.

- أبو شامة: كتاب الروضتين ١/ ٢٣١. (نقلاً عن الأصبهاني).

ضميمة رقم ((٩))

جملة من الأشعار التي هجا بها ابن عنين الشاعر الهجاء اللاذع اللسان شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون وبنيه:

وما هجوت ابن عصرون اروم له   فضلاً ولا نلت من فخر ولا شرف
لكن أجرب فيه خاطري عبثاً   كما تجرب بيض الهند في الجيف

وقال يهجوه أيضاً من قصيدة أخرى:

لما تشكى ابن عصرون إلى حمى   في سفسله حار فيه كل بيطار
وقال داء عضال قد رميت به   أعيا وقصر عنه كل مسبار
طعنته بقوي المتن معتدل   صدق الأنابيب كخطى خطار
فقال لما بدا رمحي يجوب فلا   اعفاجه مسئداً كالمدلج الساري
لله درك شكراً للضيعة بي   من قابسٍ شيط الوجعاءَ بالنار
وقررت بطنه فانحاز ثم رمى   بسلحه خضبت بالدرس أطماري
وقام ينشد عجباً غير مكترث   لما عراني ولما يخش من عار
الطاعن الطعنة النجلاء جائشة   ترد طاعنها عنها بتيار
فقمت عنه وأذيالي على كتفي   فأشرفت عرسه من شرفة الدار
وأنشدت ودموع العين ساجمة   في وجنتيها سجوم العارض الساري
يا نعمة الله حلي في منازلنا   وجاورينا فدتك النفس من جار
فلم أزل عنده جذلان في دعةٍ   ممتعاً من أياديه بأوطار
حتى انثنت صعدتي عنه وبان له   مني الونى ورأى آثار إقصاري
أضحى يغني وأيدي في يديه لقي   كأنما عل من صهباه خمار
يا عمر ما وقفة في رسم منزلةٍ   آثار شوقك فيها محو آثار

- ديوان ابن عنين. ص ١٩١ – ١٩٣.

وقال ابن عنين يشنع على القاضي شرف الدين وقد شك الناس في موعد عيد الأضحى فقال فيه شعراً منه:

لا غرو إن ضاعت الأعياد بينكم ... رفقاً كأني بكم قد ضاعت الجمع

فليعجب الناس من قوم يقودهم ... إلى الضلالة أعمى وهو مُتبع

قد كذبوا ما رأوه وهو متضح ... وصدقوا ما رواه وهو ممتنع

- ديوان ابن عنين. ص ١٩٣.

وقال ابن عنين يهجو محيي الدين ابن شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون وقد خرج إلى الغزو مع صلاح الدين والهجاء بشكل خطاب موجه إلى صلاح الدين.

صلاح الدين يا خير البرايا ومن ثم عمَّ بالفضل الرعايا

سمعت بأن محيي الدين يغشى الوغى والحرب ضاربة المنايا

فلا تشهد بصفعان قتالاً فقوس الندف لا تصمي الرمايا

وقال ابن عنين يهجو القاضي الحرستاني وأولاده وهو نائب شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون:

تباً لحكمك لا حرستا هل أنت إلا من حرستا

بلد تجمع من حرٍ واستٍ مضار إذن حرستا

وقال يهجو ابني الحرستاني وهما صائن الدين وعلاء الدين:

ابنا الحرستاني في لقبيهما ضد الذي نعتابه بين الملا

فمهتك الأسفار يدعى صائباً والسفلة السفلاء يدعى العلا

- ابن عنين: ديوانه ص ١٨٤ – ١٨٥.

ضميمة رقم ((١٠))

قال ابن الدهان عبد الله بن أسعد الشاعر الموصلي الحمصي المتوفى عام ٥٨١هـ يمدح شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون.

فلما وصلها يبدو فتبلى بلا بلى ولا ليَ صبرٌ منجدٌ فأخونها

نحيلةٌ جفن العين من غير عِلةٍ كذاك سيوف الهند تبلي جفونها

أرى سودها أمضى وافتك في الحشا فما بال أنقاها بياضاً ثمينها

ولم أنسها يوم النوى إذ تحجبت وقد غفل الواشي وغابت عيونها

ففاضت دموع العين حتى رأيتني تلفتُ نحو الدار لا أستبينُها

فما أسبلت إذا أعرضت من مستورها بأمنع مما أرسلْتها جُفونها

ونفسٌ إذا هبت جَنوب تَنفَّست تحن اشتياقاً لو شفاها حنينها

فبالشرف الأعلى هواها وشكرها ندى شرف الدين بن عصرون دينها

متى قصدت في طرُقها دون عزة فلا انفرجت عن سهَلٍ أمر حُزونها

وإن طمعت من غيره في نواله فلا صدقت فيما رجَّتْهُ ظنونها

وقال ابن الدهان يرثي شهاب الدين أبي المعالي ابن أبي عصرون وإليك مقتطفات مما قاله:

يأبى التأسي إنهاء الأسى الجلدا	فان تعسى رواه المغر رَدا
أذكى بقلبي ناراً لا خمود لها	قول النعاة شهاب الدين قد خمدا
فالعين بعدك عين والفؤاد لظىّ	نارٌ فلا رقأت دمعاً ولا بردا
الدهر وهنا كان أصلحه	إذ كنت تُصلح منه كلما فَسَدا
من للفتاوي إذ أعيت غوامضها	تحل مشكلها المستصعَّبُ العُقدا
من للخصوم إذا أبدت شقاشقُها	ومال جامحِهُا في غيّة لددا
ليت بلغت المدى المحتوم في أجل	فمال لوجدي وحزني ما حييت مدا

- ابن الدهان: ديوانه ص ١٠٧ – ١٠٨.

ولم ينلك عزاءٌ في الورى كرماً	إن الورى واردوا الحوض الذي وردا
أن الرزيَّة فضلٌ لست محصيةٌ	ليس الرزية إن لا تُحصىَ العددا
تعجب الناس من حزني فقلت لهم	ما مثل رزئي حزني كائن أبداً
خرقاً يُخال عيباً من تكرّمه	ومات لا سَبَداً أبقى ولا لبدا
قد كنت أقلق من بين أفول غدا	يفنى فكيف ببدين لا أقول غدا
لمن أبقى دموعي بعد فرقته	والدهر لم يبق لي من بعده جلدا
لم تبق لي بعده الأيام منفسةً	فما أبالي أغاب الخلق أم شهدا
لهفي على طيب عيش قد نعمتُ به	من مربع ناضرٍ ف يظله نَفَدا
مهذب الدين أما قائل رشدا	يهدي الأنام وأما فاعل سددا
لا يبعدن كرمٌ في الترب غيبهُ	ريب المنون ولا جودٌ وإن بَعُدا
أبا المعالي وأحزان...	سَلبتُ منه وأعطي الصبر والجلدا
وما للمعالي ثكالى منك موئمةٌ	إذ كنت والدَها والخدن والولدا
ويا سجايا على أهل التقى هطلاً	ويا شهابا لشيطان الخنا رصدا
ويل لدافنه وارى تقى وندىً	....ومدَّ إلى دين السخاء يدا
ويل له إذ يواريه..ز ذا	شماتة فيواري الوجّدَ والكمدا
يلام في الشرف المذموم فاعله	فكيف من لا قضى حقاً وإن جهدا
يلقاك يسألُ أن يُعطى فإن قبلتْ	منه العطايا التي ما مثلها حَمَدا
وإن بكاه الأعالي راحمين ضُحى	لما ثوى فلكم أبكاهُمُ حسَدا
أما كفى الأرض ما ضمّت فقد كفنت	تُقى واطهر خلقٍ فوقَها جسدا

– ابن الدهان الحمصي: ديوانه ص ١٣٨ – ١٤١.

ضميمة رقم ((١١))

قال فتيان الشاغوري (٥٣٠ –٦١٥ هـ) يهجو بني عصرون:

على بيت عصرون العفاء فما لهم	قديم ولا عند الفخار حديث
إذا ركب القوم البغال أو ابتدوا	فما لهم في المكرمات حديث
بغالاً ترى أذنابها كلحاهم	فتضرط من أفواههم وتروث
وما لهم ودٌ بلى إن كلهم	يعوق عن الجدوى وليس يغوث

وقال يمدح القاضي نجم الدين أبي البركات بن أبي عصرون قاضي حماة:

رموا الجمار وفي فؤادي منهم	أفديهم جمر الغضا يتضرم
لما أتوا عرفات اشتملوا على	إنكارنا سلموا فهلاّ سلّموا
وعلى الصفا لم يصف ودهم ولي	قلب هناك متيه ومتيَّم
بيني وبين القوم نجم الدين	أعمل من تصدر بالعلوم وأعلمُ
بحرٌ ولكن بالمكارم منعمٌ	حبر لديه كل حَبر مفحمُ
عزماته شهب ثواقب في العلا	منها شياطين الأعادي تُرحمُ
جاش المديح فلم أجد أهلاً له	أحداً سواه فلم تلمني اللُّوَمُ
عدم النظير له ولو وجد الفتى	في دهرنا ما كان يوجد مُقدمُ
لئن اهتدى بالنجم أقوام فقد	أمست بنجم الدين تهدى الأنجم
بغداد حاسدة حماة به ودجلتها	لعاصيها تطيع وتخدمُ
وهو ابن حبر ليس ينكر فضله	وعلاه في الإسلام يوماً مسلمُ
ولأنت نجم الدين سعدٌ ناشرٌ	فيه أبا سعد فإنه يُترجمُ
لك يا شبيه أبيه همته ومن	يشبه أباه فإنه لا يظلمُ
لك همة عصرونية	فالشهب تحتها تتحمحمُ

– ديوانه فتيان الشاغوري. تحقيق: أحمد الجندي. مجمع اللغة العربية بدمشق. المطبعة الهاشمية ١٣٨٧/ ١٩٦٧م. الصفحات: ٧١، ٤٥٢ وما يليها.

للشافعي بكم فخار بعده	أنواه مشهورةً لا تكتمُ
وإلى أبي البركات نسرج حاملاً	ويفيد علم الخير من لا يعلمُ

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

ابن الأثير (عز الدين علي بن أبي الكرم محمد الجزري) ت ٦٣٠هـ

١) ((الكامل في التاريخ)) ١٣ جـزء. دار صـادر. دار بيـروت- بيروت ١٩٦٥-١٩٦٧م.

٢) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية في الموصل، تحقيق عبد القادر طليمات ملتزم الطبع والنشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة ومكتبة المثنى ببغداد ١٩٦٣م.

٣) ((اللباب في تهذيب الأنساب)) ٣ أجزاء طبعة دار صادر،بيروت

الأسنوي(جمال الدين عبد الرحيم) ت: ٧٧٢هـ.

٤) طبقات الشافعية جزءان، تحقيق عبد الله الجبوري رئاسة ديوان الأوقاف بغداد ط/١ مطبعة الإرشاد. العراق ١٣٩٠/١٣٩١- ١٩٧٠- ١٩٧١م.

الأصفهاني (عماد الدين محمد بن محمد بن حامد) ت: ٥٩٧هـ.

٥) وخريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء الشام ج/٢ تحقيق شكري فيصل المطبعة الهاشمية، بدمشق سوريا ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م.

٦) والفتح القسي في الفتح القدسي)) تحقيق محمود صبح. الدار القومية للطباعة القاهرة. ١٩٦٥م.

بدران (عبد القادر) ت:

٧) منادمة الأطلال ومسامرة الخيال)) المكتب الإسلامي للطباعة والنشر .إشراف محمد زهير الشاويش . دمشق.

البغدادي (إسماعيل باشا).

٨) ((هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين)) طبع وكالة المعارف الجليلة استانبول ١٩٥١م. أعادت طبعة بالأوفست مكتبة المثنى بغداد.

البنداري قوام الدين ابو الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني) ت: ٦٤٢هـ.

٩) سنا البرق الشامي قسم(١) تحقيق رمضان ششن. دار الكتاب الجديد طبعة أولى بيروت ١٩٧١م.

١٠) سنا البرق الشامي تحقيق فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي مصر ١٩٧٩م.

١١) النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ١٦ جزء مطبوع الأجزاء ١٢ الأولى مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٣م. والأربعة أجزاء الأخيرة تحقيق فهيم شلتوت وإبراهيم طرخان ومصطفى زيادة وآخرون القاهرة. الهيئة المصرية العامة ١٩٧٠/١٣٩٠-١٣٩٢هـ.

١٢) الدليل الشافي على المنهل الصافي. تحقيق فهيم شلتوت جزءان مكتبة الخانجي بمصر. نشر جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ١٩٨٣م.

ابن جبير(أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي الشاطبي) ت: ٦١٤هـ.

١٣) رحلة ابن جبير. دار صادر دار بيروت. بيروت ١٣٨٤/١٩٦٤م.

ابن الجوزي(أبو الفرج عبد الرحمن) ت ٥٩٧هـ.

١٤) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم طبعه /١ المطبعة العثمانية بحيدر آباد الدكن ٦ أجزاء الهند ١٣٥٧- ١٣٥٩هـ.

الحسيني (هداية الله أبو بكر) ت: ١٠١٤هـ.

١٥) "طبقات الشافعية" طبع على نفقة نعمان العظمي الكتبي. صاحب المكتبة العربية. بغداد وهو بذيل طبقات الفقهاء للشيرازي المتوفى
الحنبلي (أحمد بن إبراهيم) ت: ٨٧٦هـ.
١٦) شفاء القلوب في مناقب بني أيوب تحقيق ناظم رشيد وزارة الثقافة دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٨م.
الحنبلي(مجير الدين أبو اليمن قاضي القضاة) ت: ٩٢٧ أو ٩٢٨٨هـ
١٧) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل جزءان. دار الجيل مكتبة المحتسب عمان – الأردن ١٩٧٣م.
ابن خلكان(أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد) ت: ٦٨١هـ.
١٨) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٨ أجزاء تحقيق إحسان عباس دار صادر بيروت ١٩٦٨-١٩٧٢م.
١٩) طبعة أخرى، دار الثقافة ٦ أجزاء بيروت – لبنان ١٩٧١م.
ابن الدمياطي(أحمد بن أيبك بن عبد الله الحسيني)ت : ٧٤٩هـ.
٢٠) المستفاد منذ يل تاريخ بغداد لمحب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار البغدادي المتوفى ٦٤٣هـ انتقاء كاتبه ابن الدمياطي تحقيق قيصر أبو فرح دي فل برنستن. مطبعة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن الهند ١٣٩٩-١٩٧٩م.
ابن الدهان(أبو الفرج مهذب الدين عبد الله بن اسعد الموصلي الشافعي الحمصي) ت: ٥٨١هـ.
٢١) ديوان ابن الدهان الحمصي، تحقيق وإعداد التكملة لعبد الله الجبوري مساعدة وزارة التربية، مطبعة المعارف بغداد. ط/١ العراق ١٣٨٨/١٩٦٨م الذهبي(شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الدمشقي) ت: ٧٤٨هـ.

٢٢) العبر في خبر من غبر ٥ أجـــزاء طباعـــة الكويـــت، مطبعـــة الحكومة الجزءان الأول والرابع تحقيق صلاح الدين المنجد ١٩٦٠-١٩٦٣م.
والثاني والثالث تحقيق فؤاد سيد ١٩٦٠-١٩٦١ والخامس بعد ذلك.
٢٣) دول الإسلام جزءان تحقيق فهيم شـــلتوت ومحمـــد مـــصطفى إبراهيم الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.
٢٤) المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي جزءان المجمـــع العليم العراقي تحقيق مصطفى جـــواد. مطبعـــة المعـــارف. بغـــداد ١٩٥١/١٣٧١م.
٢٥) معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار تحقيق محمد سيد جاد الحق ط/١. دار الكتب الحديثة مطبعة دار التـــأليف . القـــاهرة ١٩٦٩م.
٢٦) ذيول العبر تحقيق محمد رشاد. مراجعة صلاح الدين المنجـــد عبد الستار أحمد فراجز مطبعة حكومة الكويت. الكويت ١٩٧٠م.
٢٧) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، مجلد /١٨ تحقيـــق وتعليق بشار عواد معروف ط/١ مطبعة عيـــسى البـــابي. القـــاهرة ١٩٧٧م.
سبط ابن الجوزي(شمس الدين أبو المظفر بنم قزا وغلي التركي) ت: ٦٥٤هـــ،.
٢٨) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ج/٨ دائرة المطبوعات العثمانية بحيدر آباد الدكن ط/١ ومصورة عنها في مكتبـــة المثنـــى ببغـــداد. ١٩٥٢/١٩٥١م.
السبكي(عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي) ت: ٧٧١هـــ.
٢٩) طبقات الشافعية الكبرى تحقيق عبد الفتاح الحلـــو. والطنـــاحي ط/١ مطبعة عيسى البابي الحلبي. ٨ أجزاء مختلفة التواريخ آخرها

الجزء الثامن ١٩٧١م.
السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) ت: ٩١١هـ.
٣٠) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ط/١ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم. مطبعة عيسى البابي الحلبي. القاهرة ١٩٦٤/١٣٨٤-١٩٦٥م.
٣١) حسن المحاضرة جزءان. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب عيسى البابي الحلبي. القاهرة ١٩٦٧/١٣٨٧م.
الشاغوري(فتيان) ت: ٦١٥هـ
٣٢) ديوان فتيان تحقيق أحمد الجندي. مجمع اللغة العربية. المطبعة الهاشمية دمشق ١٣٨٧/ ١٩٦٧م.
أبو شامة(شهاب الدين أو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي) ت: ٦٦٥هـ.
٣٣) كتاب الروضتين في تاريخ الروضتين النورية والصلاحية جزءان في مجلد واحد دار الجيل. بيروت- لبنان.
٣٤) تراجم رجال القرنين السادس والسابع، نشر ومراجعة عزة العطار الحسيني تصحيح محمد زاهر بن الحسن الكوثري. طبعة ١٩٤٧/١٣٦٦م.
ابن شداد(عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم) ٦٨٤هـ.
٣٥) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة
قسم الشام، تاريخ مدينة دمشق نشر وتحقيق سامي الدهان المعهد الفرنسي، دمشق ١٩٥٦/١٣٧٥م القسم الأول من الجزء الأول طبع المعهد الفرنسي،المطبعة الكاثوليكية. تحقيق دومنيك سورديل دمشق ١٩٥٣م.
قسم لبنان والأردن وفلسطين نشر وتحقيق سامي الدهان

١٣٨٢/١٩٦٢م.

قسم الجزيرة ويحمل الجزء الثالث وهو في قسمين تحقيق يحيى عبارة وزارة الثقافة دمشق. مطبعة وزارة الثقافة سلسلة إحياء التراث ٤٩ ١٩٧٨-١٩٨٠م، ابن الشعار(أبو البركات كمال الدين المبارك بن أبي بكر بن حمدان) ت: ٦٥٤هـ.

٣٦) عقود الجمان في شعراء أهل الزمان، ميكروفيلم بجامعة الكويت ٨ أجزاء، ١، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٩، ١٠ تحمل الأرقام ١٢٤٣، ١٢٤٤-١٢٥٠.

الصفدي(صلاح الدين خليل بن أيبك) ت: ٧٦٤هـ.

٣٧)الوافي بالوفيات ٩ أجزاء مطبوعة والباقي مخطوط.

الأول والثاني والثالث والرابع. اعتناء هيلموت رينور. نشر دار النشر فرانز شتاينو فسبادن. انتشارات جيهان طهران. إيران ١٣٨١/١٩٦١م.

الخامس والسادس اعتناء س ديدرينغ دار صادر.بمساعدة المعهد الألماني للأبحاث الشرقية بيروت- ١٩٧٠-١٩٧١م.

الجزء السابع. اعتناء إحسان عباس. دار النشر فرانز شتاينو فسبادن دار صادر.بمساعدة المعهد الألماني للأبحاث الشرقية- بيروت ١٩٦٩/ ١٣٨٩هـ.

الجزء التاسع. اعتناء يوسف ذان. أس. سلسلة النشرات الإسلامية أسسها هيلموت رينر.

٣٨) نكت الهميان في نكت العميان المطبعة الجمالية. نشر أحمد زكي بك مصر ١٩١١م. الطباخ الحلبي(محمد راغب بن محمود هاشم) ت:

٣٩) أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ط/١ ٤ أجزاء المطبعة العلمية حلب- سوريا ١٣٤٣-١٣٤٤، ١٩٢٣-١٩٢٤.

ابن طولون الصالحي(شمس الدين محمد بن علـــي بـــن احمـــد بـــن طولون) ت: ٩٥٣هـــ.

٤٠) قضاة دمشق من الثغر البسام في ذكر من ولي قــضاء الــشام. تحقيق صلاح الدين المنجد. المجمع العلمي العربي. دمشق ســـوريا ١٩٥٦م.

٤١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان في تاريخ مــصر والــشام، قسمان وزارة الثقافة والإرشاد القومي. المؤسسة المــصرية العامــة للتأليف والترجمة والنشر، تحقيق محمد مصطفى القــاهرة. مــصر ١٣٨٤/١٩٦٤م.

العبدري(عبد الله محمد بن محمد العبدري الحيمي) ت:

٤٢) رحلة العبدري الرحلة المغربية تحقيق محمـــد الفاســـي، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي. الربـــاط، المغـــرب ١٩٦٨م.

العدوي(محمود) ت: ١٠٣٢هـــ.

٤٣) كتاب الزيارات بدمشق تحقيق صلاح الدين المنجد.مطبوعـــات المجمع العلمي العربي بدمشق دمشق. سوريا ١٩٥٦م.

ابن العديم(كمال الدين عمر بن أحمد) ت: ٦٦٠هـــ.

٤٤) ((زبدة الحلب من تاريخ حلب)) ٣ أجزاء تحقيق سامي الـــدهان المعهد الفرنسي بدمشق. دمشق. ســـوريا ١٩٥١-١٩٥٤م، ١٩٧٠-١٩٧٣م.

العسقلاني(ابن حجر العسقلاني) ت: ٨٥٢هـــ.

٤٥) ((الدررر الكامنة في أعيان المئة الثامنة)) طبعـــة دار الجيـــل، لبنان ابن العماد الحنبلي(عبد الحي) ت: ١٠٨٩هـــ.

٤٦)((شذرات الذهب في أخبار من ذهب)) مكتبة المقدسي ٤ أجزاء القاهرة ١٣٥٠-١٣٥١هـــ. وطبعات أخرى غيرها أشير إليها في

الحواشي.
ابن عنين(شرف الدين أبو المحاسن محمد بن نصر بن الحسين بـــن عي ابن محمد بن غالب) ت: ٦٣٠هـــ.
٤٧) ((ديوان ابن عنين٩ تحقيق جميل مردم بك ط/٢.
العيني(بدر الدين محمود) ت: ٨٥٤هـــ.
٤٨) ((عقد الجمان بتاريخ عرب الزمان)) ٣ أجـــزاء بـــالميكروفيلم بجامعة الكويت والأجزاء هي ١١، ١٢، ١٣ تحمل الأرقـــام(٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢).
الغزي(نجم الدين محمد بن محمد بـــن محمـــد أبـــو المكـــارم) ت: ١٠٦١هـــ.
٤٩)((الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة)) تحقيق جبرائيل سليمان جبور دار الآفاق الجديدة. ط/ ٢ ٣ أجزاء بيروت– لبنان ١٩٧٩م.
الغساني(الملك الأشرف أبو العباس إسماعيل بن عباس) ت: ٨٠٣هـــ
٥٠)((العسجد المسبوك والجوهر المحكوك)) تحقيق شاكر محمود بعد المنعم دار التراث. دار البيان بيروت وبغداد ١٩٧٥/ ١٣٩٥هـــ.
أبو الفداء(عماد الدين إسماعيل بن نور الدين علي بن جمـــال الـــدين محمود بن عمر بن شاهنشاه) صاحب حماة ت: ٧٣٢هـــ.
٥١)((المختصر في أخبار البشر)) دار المعرفة للطباعة والنـــشر. ٤ أجزاء بيروت– لبنان ابن الفوطي(أبو الفضل كمال الدين عبد الرزاق البغدادي) ت: ٧٢٣هـــ.
٥٢) ((الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة) منسوب لابن الفوطي المكتبة العربية. مطبعة الفرات. بغداد تعليق وتـــصحيح مصطفى جواد العراق ١٣٥١هـــز
٥٣) ((تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب)) ج/٤ ق/١ تحقيق

مـــصطفى جـــواد وزارة ا لثقافـــة المطبعـــة الهاشـــمية. دمـــشق ١٩٦٢/١٣٨٢م.
ابن القاضي(أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي) ت: ١٠٢٥هـــ.
٥٤)((درة الحجال أو ذيل وفيات الأعيان))
تحقيق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور. عدة أجزاء المكتبة العتيقـــة دار التراث. مطبعة الحضارة عـــدة أجـــزاء ط/١ ١٣٩٣/١٣٩٠- ١٩٧٠-١٩٧٤م. ابن قاضي شهبه(بدر الدين أبو الفضل محمد بـــن أبي بكر أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن الوهاب بن فقيه الشام التقي الأسدي الدمشقي الشافعي) ت:٨٧٤هـــ.
٥٥) ((الكواكب الدرية في السيرة النورية)) تاريخ السلطان محمـــود نور الدين زنكي تحقيق محمود زايد. دار الكتاب الجديد ط/١ بيروت ١٩٧١م.
القفطي(جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف) ت: ٦٤٦هـــ.
٥٦)(أنباه الرواة على أنباه النحاة) ٤ أجزاء تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.مطبعة دار الكتب المصرية. نـــشر دار الكتـــب المـــصرية ١٣٦٩- ١٣٧٤هـــ ١٩٥٠-١٩٥٥م.
الكتبي (محمد بن أحمد،ويعرف أيضاً بابن شاكر) ت: ٧٦٤هـــ.
٥٧)(عيون التواريخ) ج/١٢ تحقيق فيصل السامر ونبيلـــه داود وزارة الأعلام العراقية سلسلة كتب التراث رقم(٤٧) بغداد ١٩٧٠م.
٥٨) (عيون التواريخ) ج/١٢ تحقيق فيصل الـــسامر ونبيلـــه داود دار الرشيد للنشر الدار الوطنية للتوزيع.وزارة الإعلام العراقية.
٥٩) (فوات الوفيات) تحقيق إحسان عباس. دار الثقافة- بيروت- لبنان.
ابن كثير(أبو الفداء إسماعيل) ت: ٧٧٤هـــ.
٦٠) ((البداية والنهاية)) ١٣ جزء طبعة دار المعارف ط/٢ وطبعات أخرى

بنفس صفحاتها وأظنها مصورة عنهـــا. ط/١ ١٩٦٦. ط/٢ ١٩٧٧م ط/٣ ١٩٧٨م.
ابن المستوفى(شرف الدين أبو البركات المبارك بن أحمـــد اللخمـــي الأربلي ت: ٦٣٧هــز
٦١) تاريخ اربل أو: نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل) تحقيق سامي السيد خماس الصغار. دراسة وتحقيق في مجلدين وزارة الثقافة والإعلام سلسلة التراث(٩٩) بغداد ١٩٨٠م.
المقريزي(أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي) ت: ٨٤٥هــ.
٦٢)(السلوك لمعرفة دول الملوك) تحقيق محمـــد مـــصطفى زيـــادة ج/٢١ ج/٢ مطبعة دار الكتب المصرية. لجنة التـــأليف والترجمـــة والنشر ٤ أجزاء الأول والثاني ١٩٣٤م، ١٩٧٠ ط/ اولـــم٢ . ج/٣، ج/٤ اشترك في تحقيقها سعيد عاشور.
المنذري(عبد العظيم زكي الدين أبو محمد عبد القوي) ت: ٦٥٦هــ.
٦٣)(التكملة لوفيات النقلة) ٦ مجلدات تحقيق بشار عـــواد معـــروف مطبعة الآداب النجف- العراق ١٣٨٨/١٩٦٨- ١٣٩١، ١٩٧١م.
النعيمي(عبد القادر بن محمد الدمشقي) ت: ٩٢٧هــ,.
٦٤) (الدارس في تاريخ المدارس) تحقيق ونشر جعفـــر الحـــسني. حقوق الطبع للمجمع العلمي العربي بدمشق. مطبعة الترقي جـــزءان ١٩٤٨-١٩٥١م.
ابن واصل(جمال الدين محمد بن سالم بن واصل) ت: ٦٩٧هــ.
٦٥)(مفرج الكروب في أخبار بني أيوب) ٣ أجزاء تحقيـــق جمـــال الدين الشيال القاهرة ١٩٥٣-١٩٥٧-١٩٦٠. الرابع والخامس تحقيق سعيد عاشور وحسنين محمد ربيع. دار الكتب المـــصرية، القـــاهرة ١٩٧٢م.

ابن الوادي (زين الدين أو سراج الدين أبو حفص عمر بـــن مظفـــر الشهير بابن الوردي) ت: ٧٤٩هـــ.

٦٦)(تاريخ ابن الوردي أو تتمة المختصر لأبي الفـــداء) منـــشورات المطبعة الحيدرية ط/٢ جزءان. العراق ١٩٦٩/١٣٨٩هـــ.

الوهراني(ركن الدين محمد بن محمود بن محرز) ت: ٥٧٥هـــ.

٦٧)(منامات الوهراني ومقاماته ورسائله) تحقيق إبـــراهيم شـــعلان. ومحمد نغش. دار الكاتب العربي. المكتبة العربية، مراجعـــة عبـــد العزيز الهواني القاهرة ١٣٨٧/١٩٦٨م.

ياقوت الحموي(شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي) ت: ٦٢٦هـــ.

٦٨)(معجم البلدان) ٥ مجلدات. طبعة دار صادر بيروت.

٦٩)(معجم الأدباء) ٢٠ جزء. نشر أحمد فريد الرفاعي.

اليونيني(قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد بن أحمـــد البعلبكـــي) ت:١٣٢٦/٧٢٦.

٧٠)(ذيل مرآة الزمان) ج/١ ط/١ المطبعة العثمانية. الـــدكن الهنـــد ١٣٧٤/١٩٥٤م ج/٢ ط/١. المطبعـــة العثمانيـــة الـــدكن الهنـــد ١٣٧٠/١٩٥٥م.

ج/٣ ط/١ المطبعة العثمانية الدكن الهند. ١٣٨٠/١٩٦٠م.

ثانياً المراجع الحديثة:

أحمد أحمد بدوي: الدكتور.

٧١)(الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام) الهيئة العامة للكتاب دار نهضة مصر. القاهرة ١٩٧٢، ١٩٧٤م.

أحمد إبراهيم الشريف، وزميله الدكتور حسن محمود، الدكتور.

٧٢) (العالم الإسلامي في العصر العباسي) طبع ونشر دار الفكر العربي ط/٣ القاهرة ١٩٧٧م.
احمد الصابوني:
٧٣) (تاريخ حماة) ط/٢. المطبعة الأهلية. حماة – سوريا.
خير الدين الزركلي.
٧٤) الأعلام قاموس تراجم، طبعة كوستا تسوماتش وشركاه عدة ١٢/جزءً، تواريخ مختلفة اعتمدنا الطبعة الثالثة المنقحة داود الحلبي.
٧٥) (مخطوطات الموصل) مطبعة الفرات. الموصل ١٩٢٧/١٣٤٦م.
عبد الصاحب عمران الدجيلي:
٧٦) (أعلام العرب في العلوم والفنون) ٣ أجزاء ط/٢ النجف العراق ١٩٦٩/ ١٣٨٦.
عماد الدين خليل: الدكتور.
٧٧) (نور الدين محمود زنكي) دار القلم. دمشق- بيروت ط/١ ١٩٨٠/١٤٠٠.
عمر رضا كحالة.
٧٨) (أعلام النساء) قاموس تراجم للنساء ٤ أجزاء مؤسسة الرسالة ط/٣ بيروت ١٩٧٧/١٣٩٧م.
عمر موسى باشا: الدكتور.
٧٩) (الأدب في بلاد الشام في عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك) المكتبة العباسية ط/٢ دمشق ١٩٧٢/١٣٩١م.
محمد أديب آل تقي الدين الحمصي.
٨٠) (منتخبات التواريخ لدمشق) ط/١ منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٧٩/١٣٩٩م.
محمد أسعد أطلس.

٨١) (الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب) مطبعة الترقي. دمــشق ١٩٥٦/ ١٣٧٦هـ.
محمد كرد علي.
٨٢) (خطط الــشام) ٦ أجــزاء مطبعــة المفيــد دمــشق. ســوريا ١٩٢٨/١٣٤٧م.
ناجي معروف: الدكتور.
٨٣) (علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي) طبع بمــساعدة جامعة بغداد مطبعة الإرشاد ١٩٧٣/١٣٩٣م.

الفهارس العامة

الفصل الثالث

الفصل السابع